جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

معوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية

إعداد
سميرة محمد عمر جمجوم

بإشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور/ بركات عبد الفتاح دويدار

١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ
١٩٨٤ - ١٩٨٥م

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره، والصلاة والسلام على رسوله رافع الشك، ومدحض الشرك وماحق الافك " الذى جاهد فى الله حق جهاده " فأحق الله به الحق وأبطل الباطل .

وبعد : فقد كان الحافز لاختيار موضوع رسالتى " المعوقون للدعوة الاسلامية فى عهد النبوه وموقف الاسلام منهم " أهدافا منها :

أولا : رغبتى فى اختيار موضوع يتعلق بالعقيده والدعوه، والتعرف على المعوقات التى اعترضت سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيفية التغلب عليها ، لأضعها أمام الدعاة لتكون لهم فيها القدوه الحسنى ، والاسوه المثلى .

ثانيا : لقد سجلت الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه موقف الاسلام من خصومه ، وموقفهم منه منذ أول يوم صدع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد ، وإلى أن انتقل الى الرفيق الأعلى .

ثالثا : سجلت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القوليه والعمليه مواقف أعداء الإسلام العدائيه من الدعوه الإسلاميه ، وصورت نفسية المسلمين وخصومهم ، وما دار بينهم طوال تاريخ الدعوة .

رابعا : فى الحياة الخير ، والشر، والحق والباطل ، والهدى والضلال والإيمان والكفر ، وهذه القوى المتقابله لها اتباع من بنى الإنسان منذ خلق الله البشريه ، واقتضت سنته تعالى أن يحتدم الصراع بينها ، وأن يكون للحق من ينصره لدرء الفساد وإزالة العقبات والمعوقات التى تعترض طريق الدعاة الى الله ، فالحق اذا لم تكن له قوه تحميه تضافرت جهود الباطل عليه لاخماد جذوته ، واستئصال شأفته مصداقا لقوله تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز.) (١)

---

(١) الحج آية : ٤٠

وقد شاء الله ان يجعل حمايته للإيمان والهدى والحق بالجهـــــاد في سبيله فاستنفر المؤمنين لنصرة دينه، حتى يحشدوا طاقاتهم للمعركـــة انتصارا لعقيدتهم ، فان الحق لاينتصر وحده، إنما ينتصر بازالة المعوقين من طريق الدعاه، والصادين عن سبيل الله .

ولذا فقد رأيت من واجبي أن أبين هؤلاء حتى يعرفهم المؤمنـــون المجاهدون على حقيقتهم ويتمكنوا من القضاء عليهم.

خامسا : ان هذا الموضوع جديد بدراسة علميه متأنيه متعمقه ،لانه موضـــوع جديد لم يتناوله أحد من الباحثين من قبل في دراسة مستقلـــــة متخصصه شامله تستوعب جوانبه المختلفة . . ولأنه موضوع الساعـــه وكل ساعه لأن الصراع بين الخير والشـــر دائم مستمر حتى قيـــــام الساعه ، ومهمة الانبياء والعلماء هداية الناس الى الخيـــــــر ، ومهمة الشياطين وأعداء الدين هي صد الناس عن الخير وايقاعهـــم في الشر.

فالدعاة يدعون ، وشياطين الانس والجن يصدون ، كما قال تعالـــــى : (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهـــــم الى بعض زخرف القول غرورا .) (١)

ولهذه الأسباب وكثير غيرها ، رأيت أن من واجبي ، وواجب الباحثيـــــن والدارسين بذل الجهود المستمره ، للكشف عن اعداء الدين ووسائلـــم الخبيثه في نشر الفساد والإلحاد ، والصد عن سبيل الله ، وبيان موقفهـــم من الدين ، وموقف الدين منهم ، حتى يكون الجميع على بينه من الأمر.

وقد اقتضى موضوع الرسالة وأهدافها أن يكون منهج البحث فيهــــا ممثلا في تمهيد وبابين وخاتمه.

أما التمهيد : فقد جعلته لبيان أسباب اختيار الموضوع وأهميته ومنهـــج دراستـــــه .

ووزعت الرساله بعد ذلك على بابين ، جعلت الباب الأول منهما لدراســة " عناصر الدعوه الأساسيه" وكان لابد من تقديم هذا الباب ، لأنـــــه

---

١ - الانعام آية ١١٢ .

بمثابة الأساس الذى يعتمد عليه البحث كله ، فهو الأصل وماعداه الفرع.
وقد قسمت هذا الباب الى ستة فصول :

جعلت الفصل الاول : لدراسة الإيمان بالله عز وجل ، وتكلمت فيه عن توحيد الربوبيه ، والالوهيه ، والأسماء والصفات ،ثم ذكرت الأدله الكونيه على وجوده ووحدانيته .

أما الفصل الثاني : فقد جعلته (للإيمان بالملائكه والجن) وقمت فيه بتبيان ماهية الملائكة ، وصفاتهم الخلقيه والخلقيه ، ووظائفهم وما اختصهم الله تعالى به دون غيرهم من المخلوقات ،ثم المفاضله بينهم وبين البشر ، وعرضت آراء العلماء فى ذلك ، ثم بينت أثر الإيمان بهم .

وتحدثت أيضا عن الجن وصفاتهم ،وبأنهم مكلفون كالبشر وليس لهم فضل على غيرهم .

أما الفصل الثالث : فقد جعلته لدراسة (الايمان بالكتب) وقد ذكرت فيه الكتب السماويه التى أنزلها الله تعالى على رسله ،وما أصابها من تحريف وتزييف وتبديل وتغيير ،وبينت كيف تكفل الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم من كل ما أصاب غيره من الكتب تحقيقا لقوله تعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) (1)

ثم رأيت أن أتكلم عن ظاهرة الوحى وأنواعه ،وجمع القرآن وكتابته .

أما الفصل الرابع : فقد جعلته لدراسة ((الإيمان بالرسل)) .

وقد قمت فيه بتعريف الرسول ،والتفريق بينه وبين النبى ، ووجوب الإيمان بالرسل دون تفريق بين أحد منهم ، ووظائفهم وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم وصفاتهم ، ثم ذكرت أولي العزم منهم ،وما امتازوا به على سائر الأنبياء ثم تحدثت عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته وما اختصه الله به ، وفضله على غيره ،وآراء العلماء فى ذلك .

أما الفصل الخامس: فقد جعلته للحديث عن ((الإيمان باليوم الآخر))

---

١ - الحجر آية ٩

ومعنى الإيمان به ،والأدله على وقوعه ،وأثر الإيمان به على صلاح الأعمال ثم ذكرت فتنة القبر ، وعذابه ونعيمه ،ثم البعث ،والنشر والحشر ، والعرض ،والحساب والصراط والشفاعه ، والجنه أو النار.

أما الفصل السادس : القضاء والقدر .

فقد قمت في هذا الفصل بتعريفه ووجوب الإيمان به ، ومراتبه ،ورأى العلماء في أفعال الناس،ثم ذكرت مسألة احتجاج الناس بالقدر ،وبينت أثر الايمان بالقدر في حياة الناس .

أما الباب الثاني : من أبواب هذه الرسالة : فقد جعلته للحديث عن ((المعوقين للدعوة الاسلاميه، وموقف الإسلام منهم)) .
وقد قسمت هذا الفصل الى أحد عشر فصلا .

الفصل الاول : الوثنيون وعقائدهم .

وقد تحدثت في هذا الفصل عن عقائد الوثنين الباطله ،وأول من أدخل الوثنيه الى الجزيره العربيه .

أما الفصل الثاني :

فقد تحدثت فيه عن موقف الوثنين من الإسلام.
وقد استعرضت فيه صدهم عن سبيل الله كثيرا وموقفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،واضطهادهم له، وتعذيبهم للذين آمنوا معه.

أما الفصل الثالث : فكان للرد على الوثنين .

فقد بينت في هذا الفصل طريقة القرآن في محاجة المشركين والرد عليهم بالدليل الناصع،والبرهان القاطع .

الفصل الرابع : اليهوديه .

وقد ذكرت في هذا الفصل سبب تسميتهم ، وعقائدهم المحرفه، وكتبهم المزيفة.

الفصل الخامس : موقف اليهود من الاسلام .

وقد ذكرت فيه وسائل اليهود الخبيثه ، وأفعالهم الماكره ، وكيفية مقابلتهم للرساله والرسول ومالاقاه هو والذين آمنوا معه من مؤامرات وكيد ود س.

الفصل السادس : تحدثت فيه عن موقف الاسلام من عقائد اليهود والرد على شبهاتهم ، وضلالاتهم ، وانحرافاتهم .

أما الفصل السابع : فقد تحدثت فيه عن النصارى وعقائدهم المحرفه ، وأناجيلهم ، وما جاء فيها من تحريف وتزييف وتبديل .

أما الفصل الثامن : فكان للحديث عن ((موقف النصارى من الإسلام)) .

وقد تحدثت فيه عن مواقفهم العدائيه من الإسلام والمسلمين ، ووسائل كيدهم وصدهم عن سبيل الله .

أما الفصل التاسع: فقد جعلته للحديث عن ((موقف الإسلام من النصارى)) وكيفية الرد على عقائدهم المحرفه ، وعلى شبهاتهم وانحرافاتهم .

وأما الفصل العاشر: فقد تحدثت فيه عن ((المنافقين)) .

الذين يشكلون خطورة كبيره على الدعوه ، ويعد ون من أكثر المعوقين ، والمثبطين والمخذلين عن اتباع الطريق المستقيم ، بما يكنونه من كفر باطن ، ويظهرونه من إسلام كاذب ، فكان عداؤهم أشد وأنكى ، وتعويقهم أبعد أثراً وأكثر خطرا .

أما الفصل الحادي عشر: فكان للحديث عن موقف القرآن من المنافقين وكيفية فضح عقائدهم ، وكشف ألاعيبهم ، وأساليبهم في الصد عن سبيل الله وايذاء من آمن بالله .

وأخيرا جاءت الخاتمة : تحمل الغايه من هذا البحث وفيها سجلت الفكرة التي تعبر تعبيرا جامعا عن ((المعوقين للدعوة الإسلامية في عهد النبوه وموقف الاسلام منهم)) والتي جاءت نتيجة وثمرة لهذه الدراسة التفصيليه .

هذا وقد سرت فى دراستى لهذا الموضوع على هدي الطريقه العلميه الموضوعيه ، لا الاستهوائيه العاطفيه ، حيث حاولت تأصيل الموضوعات بالاعتماد على الآيات القرآنيه ، أولا والأحاديث النبوية ثانيا ، ثم إلى عبارات المفسرين المعتمدين ، فكنت أسعى لتبيان الحقيقة بحسب الظفر بالدليل الصحيح دون التعصب لرأى معين ، ولا تحميل للنص فوق مالا يحتمل ، فقد كان همي ايراد النصوص الصحيحه ، والأدله الواضحه ، دون أن أقحم نفسى فيها ، حتى يستطيع القارئ أن يتبين الحق دون أدنى جهد وايحاء مباشر أو غير مباشر .

ولذا فقد كان المصحف الشريف هو المصدر الأول لهذا البحث الذى اعتمد عليه ودار حوله ومعه ، ثم تنوعت بعد ذلك مصادر الرساله ومراجعها من كتب للتفسير القديم والحديث ، وعلوم القرآن ، ومن كتب الحديث والفقه وغيرها .

والحق ، أنني قد بذلت قصارى جهدى فى هذا البحث الصعب ، والذى تكلفت فى سبيل اخراجه على هذه الصوره الكثير من العناء .
فاذا كان البحث فى فرع من فروع المعرفه صعباً ، فهو فى هذا البحث أشد صعوبة اذ يدور كله حول العقيده والدعوه ، وما أدراك ما العقيده ؟ فالخطأ فيها غير محتمل من غير المتخصصين فما بالك فيمن يتصدى للحصول على أعلى الدرجات العلميه فى جزئيّة منهما ؟ ومما زاد فى صعوبة هذا البحث المنهج العلمى ، والتجرد الموضوعى الذى التزمت به ، وتنوع الموضوع ، وتعدد جوانبه ، وكثرة الإختلافات حوله .

وما كان لى أن أصل الى ماوصلت اليه لولا توفيق الله أولا ، ومساعدة أستاذى المشرف الدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار ثانيا ، فقد منحنى من فضله ، وعلمه ، ووقته الكثير ، وكان لارشاداته ، وتوجيهاته ، وتشجيعه لى مادفعنى لاستكمال جوانب بحثى ، واجتياز الصعوبات ، وازالة المعوقات . فاليه والى كل من أسهم فى توجيهي وارشادي والاطلاع على رسالتى لمناقشتى فيها أتوجه بخالص شكري وعظيم تقديري ، ودعواتى بأن يجزيهم الله عني وعن المسلمين خير الجزاء .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا لخدمة كتابه، وسنة رسوله، وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع الذي بذلته لنشر دعوته ولإعلاء كلمته. انه سميع قريب مجيب الدعاء، وماتوفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

سميرة محمد عمر جمجوم

البَابُ الأَوَّلُ

الدَّعْوَةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَعَنَاصِرُهَا الأَسَاسِيَّةُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الإِيمَانُ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ

الفصل الأول

الإيمان بالله عز وجل

الإيمان بالله عز وجل هو أساس العقيده الإسلاميه، وروح الدين الإسلامى، وهو روح كل الأديان الإلهيه فهو الاصل وكل أركان العقيده مضافه اليه، وتابعه له، فالقرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها. قال تعالى: (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.) (١)

وقال: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.) (٢)

وقال: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا.) (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام ردا على جبريل حين جاءه فى صورة إعرابى يسأله عن الإيمان (أن تؤمن بالله وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.) (٤)

فالإيمان بالله عز وجل يتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بوحدانيته فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

وجود الله

إن وجوده تعالى من الحقائق البدهيه التى لا تحتاج الى براهين وأدله لأن وجوده أظهر من النهار جلاءً أو وضوحا، والذين أنكروا وجوده قلة قليلة فى كل عصر ومعظمهم من الذين جرفتهم الشهوات والتيارات والأهواء، فبرروا فسادهم، وانحرافهم بإنكار الله عز وجل، حتى لا يحاسبهم أحد على أفعالهم السيئه. لذلك لم تكن مهمة الانبياء جميعا إثبات وجود الله،

---

(١) البقره آية ٢٨٥ . (٢) البقره آية ١٧٧ (٣) النساء آية ١٣٦ .

(٤) رواه ابن ماجه جـ١ ص ٢٤ تحقيق فؤاد عبد الباقى . ومسلم

وإنما كانت مهمتهم إخلاص التوحيد ونقائه من الشرك ،وافراد الله بالعبوديه وحده دون سواه،وأول ماكان يدعو إليه كل رسول هو: (أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره.) [1] و (اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) [2]

فالإيمان بالله عز وجل هو : شعور فطري فطر الله الناس جميعا وجبلهم عليه بالأدله الآتيه :

أولا : طريق الفطرة :

تعريف الفطرة :

هى الخلقه التى خلق الله عليها المولود فى رحم أمه. [3]
وخلق الله كل مولود على الفطرة اى على الإسلام.

ومن العلماء الذين يقولون بالفطرةابن تيميه فيقول : (ان العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينيه ،وأعظمها فى الفطرة الإ قرار بالخالق.) (٤)
والله قد فطر الخلق على معرفته والإيمان بـه:
قال تعالى : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم،وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا.) (٥)

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآيه : أنه تعالى استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم،ومليكهم ،وأنه لا إله الا هو، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك ، وجبلهم عليه. قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التىفطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله. [6]) (٧) . ويقول إبن كثير فى تفسير هذه الآيه : (فسدد وجهك

---

(١) الأعراف آية ٥٩ - ٦٥ - ٧٣ (٢) النحل آية ٣٦.
(٣) القاموس المحيط ،تأليف محى الدين بن يعقوب الفيروز آبادى ج١ - ٢ ص ١١٤.
(٤) الفتاوى ج١٦ ص ٣٣٦ طبعة مكتبة الرباط - المغرب.
(٥) الأعراف آية ١٧٢
(٦) الروم آية ٣٠
(٧) راجع تفسيرابن كثير ج ٢ ص ١٦١.

واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفيه ملة إبراهيم الذى هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال ،وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمه التى فطر الله الخلق عليها ، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره .) (١)

ويقول الرازي فى تفسير آية (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى .) وهذا قول أصحاب النظر وأرباب المعقولات (انه تعالى أخرج الذريه ،وهم الأولاد من أصلاب آبائهم ،وذلك الإخراج أنهم كانوا نطفه ، فأخرجها الله تعالى في أرحام الأمهات،وجعلها علقه ،ثم مضغة ، ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بماركب فيهم من دلائل وحدانيته ، وعجائب خلقه وغرائب صنعه . فبالإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى ، وان لم يكن هناك قول باللسان ولذلك نظائر منها قوله تعالى : (فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين .) (٢) .

ويقول الرازى فى تفسير قوله تعالى : (فطرت الله) أى ألزم فطرة الله وهى التوحيد فان الله فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم : (ألست بربكم فقالوا بلى .) (٣) .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (مامن مولود إلا يولد على الفطره ، ثم يقول : اقرأوا فطره الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

وقال : (مامن مولود إلا يولد على الفطره ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمه جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء . ثم يقول : واقرأوا إن شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله .)[٤]

ولكون الإيمان بالله مغروسا فى النفس تجده هو الذى يظهر عند الشده يبين ذلك قول الله تعالى : (هو الذي يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبه وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم

---

(١) تفسيرابن كثير جـ٣ ،ص ٤٣٢ . (٢) تفسير الرازى جـ٤ ،ص ٣١٤ ، الطبعة الثانية ،المطبعة العامره،الشرفيه عام ١٣٢٤ .

(٣) تفسير الرازى ،جزء ٢٥ ص ١١٩ - ١٢٠ . (٤) صحيح مسلم جزء ١٦ باب القدر ص ٢٠٧ - ٢٠٩

الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .) (١) .

وقال : (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه .) (٢) .

وقال : (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون .) (٣) .

وقد أجمع الباحثون فى تاريخ الأمم والأديان والحضارات على أن الفطرة حقيقه ثابته ، فقد وجدوا الانسان منذ أقدم العصور يتدين ويتعبد ، ويؤمن بإله حتى قال أحد المؤرخين : (لقد وجدت فى التاريخ مدنا بلا قصور ، ولا مصانع ، ولا حصون ولكن لم توجد مدن بلا معابد .) (٤) .

كما يظهر ذلك من مسلك الرسل مع قومهم أنهم لم يدعوهم إلى الإقرار بوجود الله وإنما دعوهم الى عبادته وتوحيده .

قال تعالى : (أعبدوا الله مالكم من إله غيره) (٥) .

وخاطبوهم خطاب من لا شبهة عندهم فى الإقرار بوجود الله تعالى وليس فى حاجة للإستدلال عليه .

قال تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والارض) (٦) .

كما يتبين من مسلك العرب حين نزول القرآن الكريم أنهم كانوا يؤمنون بوجود الله ، لذلك عجبوا حينما دعاهم إلى عبادة الله وحده ، وقالوا : (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشيء عجاب .) (٧)

---

(١) - يونس آية ٢٢ .

(٢) - الاسراء آية ٦٧ .

(٣) - الانعام آية ٦٤

(٤) - الايمان والحياه - يوسف قرضاوى ص ٩٩ .

(٥) - الآعراف آية ٥٩

(٦) - ابراهيم آية ١٠

(٧) - ص آيه ٥

ولم ينكر وجود الله إلا قلة قليله منهم واجههم القرآن بأمرين وهي :

أ ـ نفي العلم عنهم وقصور الحجه لديهم حين قالوا : (ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر .) (١) .

فرد الله عليهم بقوله تعالى : (ومالهم بذلك من علم إن هم الا يظنون) (٢)

ب ـ مطالبتهم بالدليل على اعتقادهم الفاسد ودعواهم الباطله بأنهم خلقوا من غير شيء .

فقال تعالى : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون .) (٣) .

والرسل صلوات الله عليهم وسلامه كما يقول إبن تيميه : بعثوا لتكميل الفطره وتقريرها .

عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا .)

فالإقرار بالخالق سبحانه وتعالى والإعتراف بوجود موجود واجب الوجود قديم أزلي كما أنه مركوز في الفطره مستقر في القلوب فبراهنيه وأدلته متعدده جدا .) (٤) .

ومن الأدلة الكثيره التي وردت في القرآن الكريم نختار دليلين هما :

١ ـ دليل العنايه .

٢ ـ دليل الإختراع .

يقول إبن تيميه عن إبن رشد : (يجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات، وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ، ووجود السموات ، وهذه الطريقة تنبني على أصلين موجودين بالقوه في جميع فطر الناس .

---

(١) ، (٢) الجاثيه آية ٢٤

(٣) الطور آية ٣٥ .

(٤) ـ درء تعارض العقل والنقل جزء ٣ صفحة ٧٠ ـ ٧٢ .

أحد هما : أن هذه الموجودات مخترعه ، وهذا معروف بنفسه في الحيوان والنبات ، كما قال تعالى : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولوا اجتمعوا له .) (١) .

فإنا نرى أجساما جماديه ثم تحدث فيها الحياه فنعلم قطعا أن هٰهنا موجدا للحياه ومنعما بها وهو الله تبارك وتعالى وأما السموات فنعلم من قبل حركاتها التى لا تفتر أنها مأمورة بالعنايه بما هٰهنا ومسخره لنا ، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة .

وأما الأصل الثاني : فهو أن كل مخترَع فله مخترِع ، فيتضح من هذين الأصلين أن للموجود فاعلا مخترعا له ، ومن هذا الجنس دلائل كثيره على عدد المخترعات .

وكذلك كان واجبا على من أراد معرفة الله تعالى حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الإختراع الحقيقي في جميع الموجودات ، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع ، ولهذا أشار تعالى وتقدس بقوله : (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء) (٢). وكذلك من تتبع معنى الحكمه في موجود موجود عن معرفة السبب الذى من أجله خلق الغاية المقصوده به كان وقوفه على دليل العنايه أتم فهذان الدليلان هما دليلا الشرع.

ويرى ابن رشد أن دليل العنايه ينبني على أصلين :

أحد هما : أن جميع الموجودات التى هٰهنا موافقة لوجود الإنسان .

الثانى : أن هذه الموافقة هى ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد اذ ليس ممكن أن تكون هذه الموافقة بالإتفاق . (٣)

الآيات التى تتضمن دليل العنايه ، مثل قوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا الى قوله ألفافا .) (٤) . وقوله : (تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا الى قوله أو أراد شكورا) (٥) .

---

(١) - الحج آيه ٧٣

(٢) - الاعراف آيه ١٨٥ (٣) مناهج الادله في عقائد الملة ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) - النبأ آيه ٦ - ١٦ (٥) - الفرقان آية ٦١ - ٦٢ .

وقوله : (فلينظر الانسان الى طعامه) (١) . ومثل هذا في القرآن كثير .
الآيات التي تضمنت دلالة الإختراع مثل قوله : (فلينظر الإنسان مما خلق
خلق من ماء دافق) (٢) . وقوله : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)(٣).
وقوله : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من
دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له .) (٤) . وقوله حكاية عن إبراهيم
(إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض) (٥) .

أما الآيات التي تجمع بين الدلالتين فهي كثيره ، بل هي الأكثر مثل
قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم
لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءا وأنزل من السماء
ماءا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون .) (٦)
وقال : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) (٧) .
وقوله : (ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار .) (٨) .

إننا لو نظرنا إلى جميع المخلوقات لوجدناها تهدف إلى غاية معينه
وهي ليست وليدة الصدفه إنما هي من لدن حكيم خبير .) (٩) .

هذا هو بيان ابن رشد لمنهج القرآن في الإستدلال على وجود الله
سبحانه وتعالى وقد رواه ابن تيميه مظهرا رضاه ولكنه يرى فيه بعض التقصير
الذى بينه بقوله : (ذكره لهذين النوعين كلام صحيح حسن في الجملة ، وإن كان
في ضمنه مواضع قصر فيها . . حيث لم يستقص .) (١٠)

---

(١) - عبس آية ٢٤ . (٢) - الطارق آيه ٥ (٣) - الغاشيه آية ١٧
(٤) - الحج آيه ٧٣ (٥) - الانعام آية ٧٩ .
(٦) - البقرة آية ٢١ - ٢٢ .
(٧) - يس آية ٣٣ .
(٨) - آل عمران آية ١٩١ .

(٩) ، (١٠) - راجع كتاب نقض تأسيس الجهمية - تأليف ابن تيميه تصحيح
وتكميل محمد بن عبد الرحمن قاسم صفحة ١٧٢ - ١٧٦ ،
جزء ١ .

إذ أحين تفسد الفطرة تكون أدلة القرآن هي الهاديه (وقد نصب الله الأدلة وأزاح بها العله ووسع من وجوهها ، وكثر من عددها فهي على اختلاف مراتبها في الوضوح والغموض معروضة للإستدلال بها والإستشهاد بمواضعها ، فلا أحد يعقل من آحاد الناس إلا وله في جليها مستدل ، وفي وضحها مستشهد وإن كان نزل فهمه عن دقيقها ولطيفها فالواجب على كل من الناس أن يبذل وسعه فيه ، ويبلغ جهده في دركه فإن الله تعالى يقول : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (١) ، (٢) .

والذي يقرأ بتفهم ما جاء في القرآن الكريم لايحتاج الى غيره في معرفة اصول العقيده . (فكل مايحتاج الناس الى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا قاطعا للعذر اذ هذا من أعظم مابلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو من أعظم ما أقام الله الحجه على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه .) (٣) .

نحن إذا لانحتاج بعد ما جاء في كتاب الله إلى شيء آخر ولكن مع هذا نأتي برأي العلم الحديث من وجود الله سبحانه وتعالى وسنرى أن هذه الأدلة التي جاءت عن العلماء المحدثين ماهي إلا تعبير عما جاء في القرآن الكريم وإن كان بأسلوب آخر فأدلة القرآن هي سمعيه وعقليه .

ثالثا : منهج العلماء المحدثين في الإستدلال على وجود الله .

يقول بول كلارنس ابرسولد استاذ الطبيعه الحيويه : (إننا نستطيع أن نصل الى أن الله تعالى يتصف بالعقل والحكمه والاراده وعلى ذلك فان لله وجودا ذاتيا ، وهو الذى تتجلى قدرته في كل شيء ، وبرغم أننا نعجز عن ادراكه إدراكا ماديا أو وصفه وصفا ماديا فهنالك مالايحصى من الأدله على وجوده ، تعالى ، وتدل أياديه في خلقه على أنه العليم الذي لانهاية لعلمه الحكيم الذي لاحدود لحكمته القوي إلى أقصى حدود القوه .) (٤) .

---

(١) نقض تأسيس الجهميه جزء ١ ، ص ١٧٧

(٢) العنكبوت آيه ٦٩

(٣) درء تعارض العقل والنقل جزء ١ صفحة ٢٧ . (٤) الله يتجلى في عصر العلم صفحة ٣٧ .

ويقول جورج ايرل دافيز عالم الطبيعة : (إن التطور الذي تكشف عنه العلوم في هذا الكون هو ذاته شاهد على وجود الله فمن جزئيات بسيطه ليس لها صورة معينه وليس بينها فراغ نشأت ملايين من الكواكب والنجوم والعوالم المختلفة لها صور معينه وأعمار محدوده تخضع لقوانين ثابته يعجز العقل البشرى عن الاحاطه بمدى إبداعها ، وقد حملت كل ذره من ذرات هذا الكون ، بل كل مادون الذره مما لا يدركه حس ولا يتصوره صغره عقل قوانينها وسننها وماينبغي لها أن تقوم به أو تخضع له .

هذه أدله كافية ولكن هنالك ماهو أشد إعجازا وأكثر دلالة على وجود الله ، فمن تلك الجزئيات البسيطه لم تنشأ النجوم والكواكب فحسب بل نشأت كذلك أنواع متطوره من الأحياء ، بل كائنات تستطيع أن تفكر وأن تبتكر وتخلق أشياء جميله بل هي تبحث عن أسرار الحياه والوجود .
إن كل ذره من ذرات هذا الكون تشهد بوجود الله ، وإنها تدل على وجوده حتى دون حاجة إلى الإستدلال بأن الأشياء الماديه تعجز عن خلق نفسها .) (١)

أصدرت الكنيسه المسيحيه في كيرالا جنوبى الهند كتيبا بعنوان :
((الطبيعة والعلم يتحدثان عن الله)) .
واعتقد أن هذه الكلمات هي أفضل عنوان لهذا الباب .
((إن أكبر دليل على وجود الإله هو مخلوقه ، هذا الذى نجده أمامنا ، وأوثق ماعلمنا من حقائق الطبيعه يدعونا إلى الايمان بأنه لاريب أن لهذه الدنيا إلها واحدا ، ونحن لانستطيع أن نفهم أنفسنا وأن نفسرها بله الكون - مجردين من الإيمان بوجود الإله .
ان وجود الكون ، والنظام العجيب الذي اشتمل عليه ، وأسراره الدقيقه لايمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه قد خلقته قوة وأن هذه القوه عقل لا حدود له ، وأنها ليست بقوه عمياء .) (٢) .

وصدق الله العظيم حيث يقول :
((سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)) (٣) .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ، ص ٤١
(٢) الاسلام يتحدى ، تأليف ، وحيد خان ، ص ٥٣
(٣) فصلت آية ٥٣ .

التوحيـــد

إن توحيد الله هو الذى دعا اليه جميع الأنبياء والرسل ، وهو أقـــوى وحدة جامعة بين رسالات الله إلى خلقه .

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ، والذي أوحينا اليـــك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيـــه) (١)

يقول إبن تيميه : (إن الذى شرع لنا : هو الذى وصى به الرسل ، وهـــو الأمر بإقامة الدين والنهي عن التفرق فيه .) (٢) .

وقال سبحانه : (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه ،إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله ، اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) (٣) .

وقال أيضا : (وإلى عاد أخاهم هودا ، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من الـــه غيره ان أنتم الا مفترون .) (٤) .

وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلـــه غيره هو الذى أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليـــه ان ربى قريب مجيب .) (٥) .

وقال : (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من إلـــه غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير ، وإني أخاف عليكم عذاب يـــوم محيط .) (٦) .

وقال عن إبراهيم : (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا علـــى ذلكم من الشاهدين .) (٧) .

---

(١) الشورى آيه ١٣ .

(٢) الفتاوى لابن تيميه جـ١ ، ص ١٣ .

(٣) هود آيه ٢٥ - ٢٦

(٤) هود آيه ٥٠

(٥) هود آيه ٦١

(٦) هود آيه ٨٤

(٧) الأنبياء آيه ٥٦ .

وقال عن موسى : (قال فرعون ومارب العالمين . ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .) (١) .

وقال عز وجل : (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذ وني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافي نفسي ، ولا أعلم مافي نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن آعبدوا الله ربي وربكم ، وكنتُ عليهم شهيدا ، مادمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم ، وأنتَ على كل شيء شهيد .) (٢) .

وقال جل وعلا : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .) (٣) .

هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم تبين أن دعوة جميع الرسل والأنبياء هي توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له وهو دليل واضح على وحدة دين الله ووحدة اتجاه جميع الرسل والانبياء .

فالتوحيد هو أول مايدخل به الانسان في الإسلام وآخر مايخرج به من الدنيا . وإذا رجعنا إلى الفطرة في وجود الله نجدها كذلك في التوحيد قال تعالى : (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) (٤) . فحين الشده يذهب عن خاطر الانسان كل معبود ويبقى في نفسه الله وحده .

أقسام التوحيد :

ينقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

١ - توحيد الربوبيه .

٢ - توحيد الألوهيه .

٣ - توحيد الأسماء والصفات .

---

(١) الشعراء آية ٢٣ - ٢٤ .

(٢) المائدة آية ١١٦ - ١١٧ .

(٣) الانبياء آية ٢٥ .

(٤) الاسراء آية ٦٧ .

توحيد الربوبيـــــه .

وهـــو الإقرار بأن الله عز وجل خالق كل شيئ وأنه ليس للعالـــــم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال وهو حق لاريب فيه ولم يذهـــب الى نقيضه طائفه معروفه من البشر بل القلوب مفطورة على الإقـرار بـــــه كما قال تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطـر السموات والأرض.) [1]. وقال : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ؟ ليقولن الله .) [2] .

فلو نظرنا إلى الكون ومافيه من نظام وإحكام بديع ولاحظنا عدم الاضطـــرا ب والفوضى والفساد فيه لم يسعنا إلا الإذعان والإيمان بان المهيمن والمنظـــم والموجه له هو واحد لاشريك له ، وحده ، وهذا المعنى هو مانسميــــــــه (بصفة الوحدانية) أو (توحيد الربوبيه) أى أن الله واحد لاشريك لــــه في الخلق والأمر والتدبير والملك والرزق وغير ذلك من الصفات التي يـــــدل عليها اسم الرب .

وقد وصف الله نفسه بأنه واحد لاشريك له قال تعالى : (قل هو اللـــــه أحد) . [3]

وقال تعالى يعلم الرسول أن يقول للمشركين : (قل إنما أنا منذر ومامـــن إله إلا الله الواحد القهار . رب السموات والأرض ومابينهما العزيز الغفار .)[4]

كما أقام سبحانه وتعالى الدليل العقلي على وحدانيته . فقال : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ،لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحـــــان الله رب العرش عما يصفون) . [5]

وفي هذا النص دليل على نفي الآلهه المشاركة للـــه عـز وجل .

---

(١) إبراهيم آية ١١

(٢) لقمان آيـه ٢٥

(٣) الاخلاص آيه ١

(٤) ص آيه ٦٥ - ٦٦

(٥) الانبياء آيه ٢١ - ٢٢ .

ومعنى قوله أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يَنشرون) أى اذا كانوا غير قادرين على أن يُحيوا ويُميتوا ويَضروا ويَنفعوا فأي عقل يجوّز اتخاذهم آلهة وذلك على سبيل التهكم والتجهيل بهم ومعنى قوله : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) قال اهل النجو إلا ههنا بمعنى غير أي لو كان يتولاهما ويدبر أمورهما شيىء غير الواحد الذي فطرهما لفسدت ولا يجوز أن يكون بمعنى الاستثناء .) (١)

فلو تعددت الآلهة في الكون لفسد نظام السموات والأرض واختل تماسكهما القائم على وحدة النظام وهذا مايسمى بدليل التمانع، وهو : (أنه لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر تسكينه أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته فإما أن يحصل مرادها ، أو مراد أحدهما ،أو لا يحصل مراد واحد منهما . والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون ، وهو ممتنع، ويستلزم عجز كل منهما ،والعاجز لا يكون إلها ،واذا حصل مراد احدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجز لايصلح للإلهية) (٢)

يقول شارح الطحاويه : (وتمام الكلام على هذا الأصل معروف في موضعه وكثير من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله : (لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لاعتقادهم أن توحيد الربوبيه الذى قرروه هو توحيد الإلهيه الذى بينه القرآن ودعت اليه الرسل عليهم السلام وليس الأمر كذلك ،بل التوحيد الذى دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الالهيه المتضمن توحيد الربوبيه وهو عبادة الله وحده لاشريك له .) (٣) .

وقال تعالى : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا الى ذى العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا .) (٤) .

---

(١) تفسير الرازى جـ٦ ،ص ٩٢

(٢) ، (٣) شرح العقيده الطحاويه ،ص ٧٨ - ٧٩ .

(٤) الاسراء آيه ٤٢ - ٤٣ .

يقول إبن كثير : ((يقول الله تعالى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى لو كان الأمر كما يقولون وأن معه آلهة تَعبد لتُقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويبتغون اليه الوسيله والقربى فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعون من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطه بينكم وبينه فانه لايحب ذلك ولا يرضى بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمه وقدسها فقال :
(سبحانه وتعالى عما يقولون) أى هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى (علوا كبيرا) أى تعاليا كبيرا ،بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .) (١) .

من هذا يتبين لنا أنه لو كان مع الله آلهه أخرى تحكم وتتصرف وتحيى وتميت وترزق وتشفي ومن أجل ذلك يعبدها المخلوقات لأدت هذه الآلهة الى منافسة ومنازعة ومقاتلة إله العرش الذى يعترفون أنه الرب الخالق ، ولا ينكرون وجوده وقدرته ، وإنما يشركون معه آلهة أخرى. وبما أن الآلهة لم تتخذ السبيل لمنازعة إله العرش ورضيت بضعفها وإلهيتها المزعومه فى الأرض فدل ذلك على بطلانها ، وفسادها وعدم ألوهيتها ، وإثبات الربوبية والألوهيه لله عز وجل .

قال تعالى : (ما أتخذ الله من ولد وماكان معه من إله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون .) (٢) .
وهذا النص دليل على نفي الآلهة المتعددة .

يقول إبن كثير : (إن الله تعالى ينزه نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك فى الملك والتصرف ، والعباده ، ولو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بما خلق فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض فى غاية الكمال (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه فيعلو بعضهم على بعض.) (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٣ ص ٤١ .

(٢) المؤمنون آيه ٩١ (٣) تفسير ابن كثير جـ٣ ،ص ٢٥٤ .

ويقول الرازى : (أنه سبحانه ذكر الدليل المعتمد بقوله (إذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) والمعنى لانفرد كل واحد من الآلهه بخلقه الذى خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا عن ملك الآخر ولغلب بعضهم على بعض كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزه وهم متغالبون وحيث لم تروا أثر التمايز فى الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيئ) (١)

إذاً لو كان مع الله خالق آخر لجمع كل اله خالق مخلوقاته ، وذهب متصرفا مستقلا ثم علا بعضهم على بعض ، ونفذ إرادته وان تعارضت مع الآخرين فيؤدي ذلك الى التنازع وغلبة القوى على الضعيف ، ومن ثم يقال أن الضعيف لايصلح أن يكون ربا ولا إلها ، وبما أن ذلك غير واقع فوجب أن يكون الله واحداً لاشريك له فى الألوهيه والربوبيه وفى الأسماء والصفات وصدق القائل : وفى كل شيئ له آيه تدل على أنه الواحد .

الأدلة على وحدانية الله من خلال الكون والإنسان والنبات والحيوان .

١ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الكون .

قال تعالى : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .) (٢) .

يقول إبن كثير فى تفسيره : (يقول الله تعالى مادحا نفسه الكريمه وحامدا لها على خلقه السموات والأرض قرارا لعباده . وجعل الظلمات والنور منفعه لعباده فى ليلهم ونهارهم فجمع لفظ الظلمات ووحد لفظ النور لكونه أشرف ، ومع هذا كله كفر به عباده وجعلوا له شريكا وعدلا واتخذوا له صاحبة وولدا تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا) . (٣)

وفي هذه الآيات رد على الثنويه الذين يقولون بأصلين (النور والظلمه) ويرون أن النور أصل الخير والظلمه أصل الشر فهنا يخبرنا تعالى أن كلا من النور والظلمه مخلوقان لله .

---

(١) تفسير الرازى ، جـ٦ ، ص ٢٠٥ .

(٢) الانعام آية ١

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ، ص ١٢٣ .

وقال تعالى : (قل لمن مافى السموات والأرض قل لله .) (١) .

يخبر الله عز وجل بأنه مالك السموات والأرض ومن فيهما فكل مافي الكون هو ملك لله عز وجل وهو مالكه وحده لاشريك له .

وقال تعالى : (وله ماسكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطْعِم ولا يُطْعَمُ .) (٢)

يقول إبن كثير (ان كل دابه فى السموات والأرض الجميع عباده وخلقه وتحت قهره وتصرفه وتدبيره لا إله إلا هو السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وضمائرهم وسرائرهم ثم قال للرسول عليه الصلاة والسلام : (قل أغير الله اتخذوا وليا فاطر السموات والأرض والمعنى لا أتخذ وليا الا الله وحده لاشريك له فانه فاطر السموات والأرض أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق ، وهو الرّزاق لخلقه من غير احتياج لهم .) (٣) .

وقال تعالى : (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون .) (٤) .

يخبر الله تعالى أنه خالق الضياء والظلام، فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح فيضيء الوجود ، ويستنير الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بسواده وظلام رواقه ويجيء النهار بضيائه وإشراقه ، فيبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضاده المختلفه الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه ، وجعل الليل ساجيا مظلما لتسكن فيه الأشياء ، والشمس والقمر يجريان بحساب مقنن مقدر لايتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا فالجميع جار بتقدير العزيز الذى لايمانع ولايخالف ، العليم بكل شيء ، فلا يغرب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وهو الذى جعل النجوم زينة

---

(١) الانعام آية ١٢

(٢) الانعام ايه ١٣ - ١٤

(٣) تفسير ابن كثير حـ٢ ، ص ١٢٥ .

(٤) الانعام آيه ٩٦ - ٩٧ .

للسماء ورجوما للشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والله فصل الآيات وبينها ووضحها لقوم يعرفون الحق ويعقلون ويتجنبون الباطل.(١)

٢ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الانسان .

فالله هو وحده الذى خلقه ويكشف عنه الضر ، ويجلب له النفع، وهو الذي يملك أمره ويخضعه لسلطانه، ويحكم ارادته فهو لا يستطيع أن يخرج عن سنن الله وأمره وارادته لأن الله هو القاهر الحكيم الخبير.

قال تعالى : (هو الذى خلقكم من طين ،ثم قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده، ثم أنتم تمترون .) (٢) . وقال : (وإن يمسسك الله بضرفلاكاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير .) (٣) . وقال : (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .) (٤) .

٣ - الأدله على وحدانية الله من خلال النبات .

قال تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانيه وجنات من أعناب والزيتونَ والرمانَ مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون .) (٥) .

يقول الله عز وجل بأنه هو الذى أنزل من السماء ماءً بقدر مباركا ورزقا للعباد وإحياءً وغياثا للخلائق رحمة من الله بخلقة فأخرج منه شجراً أخضر وزرعا وخلق فيه الحب والثمر والنخل قريبةً فى متناول الأيدى والحدائق من الأعناب والزيتون والمتشابه فى الورق والشكل والمتخالف فى الثمر والطعم والله عز وجل يوجه الأنظار لكى يتفكروا فى قدرة الله الذى خلق الوجود من العدم فهذه آيات دلائل لقوم يؤمنون بالله عز وجل .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ،ص ١٥٨ .

(٢) الانعام آية ٢

(٣) الانعام آيه ١٧ .

(٤) الانعام آيه ١٨ .

(٥) الانعام آيه ٩٩ .

٤ - الأدلة على وحدانية الله من خلال الحيوان .

قال تعالى : (ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .) (١)

الله عز وجل هو الذي خلق الإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه ويركبه الانسان وخلق الغنم ليأكل الانسان من لحمه ويشرب من لبنه ويتخذ من صوفه ملابس وفرشا وكذلك البقر فكل هذه الأنعام نعمه من الله لخلقه ،ثم ينهاهم الله عن اتباع طرق الشيطان فلا يستجيبون لوسوسته لأنه عدو واضح العداوة للإنسان يريد له الغوايه والضلال حتى يكون معه في جهنم يوم القيامه .

وقال تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) (٢) .

قال مجاهد : أي أصناف مصنفه تعرف بأسمائها ،وقال قتاده : الطير أمه ،والأنس أمه، والجن أمه وقال السدي : (إلا أمم أمثالكم) أى خلق أمثالكم سواء كان بريا أو بحريا .) (٣)

---

(١) الانعام آيه ١٤٢ .

(٢) الانعام آيه ٣٨

(٣) تفسير ابن كثير ص جـ٢ ،ص١٣١ .

توحيد الألوهية

ومعناه إفراد الله بالعبادة والخضوع والطاعه المطلقه وعدم الاشراك معه في شيء في الأرض ولا في السماء. وهذا التوحيد هو الذى دعت اليه جميع الرسل فهو يتضمن توحيد الربوبيه ، فمن كان ربا خالقا رازقا مالكا متصرفا محييا مميتا بيده كل شيء وجب أن يكون إلها واحدا لا شريك له .

إن المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبيه قال تعالى :
(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله .) (١) وقال : (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ؟ ليقولن : الله) (٢) .

ولم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله في الخلق ، وانما كانوا يتخذونها شفعاء عند الله ويتوسلون بها إليه . قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل : أتنبئون الله بما لايعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٣) .
وقال : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .) (٤) .

إن المشركين لم يعبدوا إلها واحدا وإنما عبدوا آلهة متعددة لكي تتشفع وتتوسط لهم عند الله ، وهذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، لذلك لم يعتبرهم الله مؤمنين رغم اعترافهم بتوحيد الربوبيه ، واعتبرهم كفاراً بشركهم غيره في العباده .

والعباده : إسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال مثل : الدعاء ، والخوف ، والحب ، والرجاء ، والنذر ، والذبح ، والتوكل ، والإستعانه ، والإستغاثه الى غير ذلك من العبادات التي يجب أن تكون كلها خالصه لله عز وجل . قال تعالى : (٥)

---

(١) العنكبوت آيه ٦١ (٢) العنكبوت آيه ٦٣
(٣) يونس آيه ١٨ . (٤) الزمر آيه ٣ (٥) شرح العقيده الطحاوية ص ٧٤ - ٨٤ .

(قل ان صلاتي و نسكي ومحيايي ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .) (١) .

ومن صرف شيئا من العباده لغير الله ،فقد أشرك مع الله والله اذا شاء يغفر كل الذنوب ماعدا الشرك به . قال تعالى : (ان الله لايغفر أن يشرك بـــه ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .) (٢) .

---

(١) الانعام آيه ٦٢

(٢) النساء آيه ٤٨ .

توحيد الاسماء والصفات

وهو أن نعتقد ونجزم بأن الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال ، ومنزه عن جميع صفات النقص ، وذلك بأن نثبت لله ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات الوارده في القرآن والسنه من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف .

قال تعالى : (ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير .) (١)

وقال : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون .) (٢) .

وقال : (قل ادعوالله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى .)(٣)

ولقد وصف الله عز وجل نفسه في القرآن فيعدة مواضع بأنه سميع بصير ، عليم حكيم ، لطيف خبير قوى عزيز ، وأنه كلم موسى ، واستوى على العرش ويحب المحسنين ورضي عن المؤمنين اليغير ذلك من الصفات الذاتيه والفعلية كمجيئه ونزوله واتيانه كما ورد في القرآن والحديث .

وقد أقر الصحابه والتابعون وأئمة المسلمين فيكل العصور بصفات الله سبحانه وتعالى وعدم تأويلها أو تحريفها . (٤)

وكان الامام الشافعي رحمه الله يقول : (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله . وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله) (٥) .

---

(١) الشورى آيه ١١

(٢) الأعراف آيه ١٨٠

(٣) الاسراء آيه ١١٠

(٤) الفتاوى لابن تيميه جزء ٣ ،صفحة ٢ - ٤

(٥) الأسئلة والأجوبة الأصوليه ص ٥٠ .

الفصل الثاني

الملائكة

الفصل الثانى

الملائكـــــة

معنى الملائكـــــة :

يقول ابن حجر : (الملائكة جمع ملك بفتح اللام ، وقيل مخفف من مالـــك، وقيل مشتق من الألوكة ، وهى الرساله ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصلـــه لاك ، وقيل أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة .

وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين : الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قـــدرة التشكل بأشكال مختلفه ، ومسكنها السموات .) (١)

والإيمان بالملائكة هو الركن الثانى من الإيمان لقوله تعالى : (آمن الرســـول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته .) . (٢)

وعنه صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عن الإيمان فقال عليه الصـــلاة والسلام : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمـــن بالقدر خير وشره .) .(٣)

فوجود الملائكة ثابت بالدليل القطعى الذى لايمكن أن يلحقه شك ، ومـــن ينكر وجود الملائكه يكون كافرا لقوله تعالى : (ومن يكفر بالله وملائكتـــه وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) (٤) .

صفاتهم الخلقيـــه :

أنهم خلقوا قبل آدم كما أخبرنا الله عز وجل بأنه أخبرهم بأنه سيخـــلق الانسان ويجعله خليفه فى الأرض قال تعالى : (واذ قال ربك للملائكـــه : إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسـد فيها ويسفـــك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إنى أعلم مالا تعلمون .) (٥)

---

(١) فتح البارى ، جـ٦ ، ص٣٠٦ (٢) البقره آيه ٢٨٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١ صفحة ١٥٧ .

(٤) النساء آيه ١٣٦ . (٥) البقره آيه ٣٠ .

وأنهم خلقوا من نور قال عليه الصلاة والسلام : (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) . (١)

ولهم القدرة في أن يتمثلوا في صورة البشر بإذن الله كما قال تعالى عن جبريل حين ما تمثل للسيده مريم في صورة رجل : (واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا ،فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشر اسويا) (٢) .

وفي حديث جبريل المشهور حين جاء يعلم الصحابه معنى الإسلام والإيمان والاحسان وأشراط الساعه . ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه جاء على هيئة رجل شديد بياض الثياب ،شديد سواد الشعر ،لا يرى عليه أثر السفر ، وأنه جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ثم شرع في السوءال) (٣) .

ومن صفاتهم الخلقيه التي أخبر الله عز وجل عنها في القرآن أن لهم أجنحة يتفاوتون فيها : قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحه مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شيء قدير .) (٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (أنه رأى جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح) (٥).
والملائكة تعبد الله وتطيعه ولا تعصيه :

قال تعالى : (لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايوءمرون .) (٦) . وهم عباد مكرمون :

قال تعالى : (عباد مكرمون . لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .) (٧) .

---

(١) اخرجه مسلم في باب الزهد

(٢) مريم آيه ١٦ - ١٧

(٣) رواه مسلم بشرح النووي جـ١ ص ١٥٧

(٤) فاطر آيه ١ (٥) مسلم كتاب الإيمان

(٦) التحريم آيه ٦

(٧) الانبياء آيه ٢٦ - ٢٧ .

والملائكة تختلف عن البشر بأنه ليس لها اختيار وإنما طبيعتها الطاعة وعدم العصيان . قال تعالى : (ولله يسجد مافى السموات ومافى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون) [١] . وهم خائفون من الله ومن خشيته مشفقون :

قال تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايوءمرون) [٢] . وقال : (وهم من خشيته مشفقون) [٣] وهم يتحركون ويصعدون وينزلون :

قال تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) [٤] . وقال : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[٥] وهم كرام على الله مقربون اليه :

قال تعالى (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون .) [٦]
والملائكة تتكلم :

قال تعالى : (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال : سلام قوم منكرون .) [٧] . وهم ذوو حياء :

قال عليه السلام : (ألا استحى من رجل تستحى منه الملائكه .) [٨] ويعنى بذلك عثمان رضى الله عنه .

والملائكة لا تعلم الغيب الا ما أعلمهم الله عز وجل به :

قال تعالى : (قالوا : سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم .) [٩]

---

(١) النحل آية ٤٩
(٢) النحل آيه ٥٠
(٣) الانبياء آيه ٢٨
(٤) المعارج آيه ٤
(٥) الشعراء آيه ١٩٣ - ١٩٤
(٦) النساء آيه ١٧٢
(٧) الذاريات آيه ٢٤ - ٢٥
(٨) رواه مسلم فى فضائل عثمان جزء ١٥ صفحة ١٦٨ - ١٦٩ .
(٩) البقره آيه ٣٢

ومن صفات الملائكة :

أنهم يحبون من احب الله :

قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال : انـى احب فلانا فأحبه . قال : فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء ويقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء . قال : ثم يوضع له القبول فـى الأرض .) (١) وهم لا يفترون فى عبادة الله عز وجل ولا يكسلون .

قال تعالى : (وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ، يسبحون الله والنهار ولا يفترون .) (٢) وقال : (وإنا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون .) (٣) .

وهم لا يتناكحون ولا يتناسلون ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثه .

قال تعالى : (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون .) (٤) وقال : أم خلقنا الملائكة اناثا وهـم شاهدون ء ألا انهم من افكهم ليقولون . ولد الله وانهم لكاذبون . أصطفى البنات على البنين .) (٥)

وقال سعيد بن المسيب : (الملائكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ، ولا يتوالدون .) (٦)

وظائف الملائكة

للملائكة وظائف عدة كلفهم الله بها ومن أهمها إبلاغ الوحى إلى الرسل الكرام .

قال تعالى : (الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا .) (٧) .
وقال : (الله يصطفي من الملائكة رسلا .) (٨)

---

(١) فتح البارى جـ٦ ص٣٠٣ (٢) الأنبياء آيه ١٩ - ٢٠
(٣) الصافات آية ١٦٥ - ١٦٦ (٤) الزخرف آيه ١٩
(٥) الصافات آيه ١٥٠ - ١٥٣ .
(٦) فتح البارى جـ٦ ص٣٠٦ (٧) فاطر آيه ١
(٨) الحج آيه ٧٥

ومنهم الحفظه الذين يقومون بحفظ الإنسان وبمراقبة أعماله وتسجيلها :
قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين ـ يعلمون ماتفعلون) (١)
و أخرون يوءيدون الرسل ويثبتونهم :

قال تعالى : (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس .) (٢)
وتتنزل الملائكه على الموءمنين تواسيهم وتبشرهم بالجنة :

قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياءكم فى الحياة الدنيا وفى الآخره .) (٣) .

والملائكة تتنزل بأمر من الله لمشاركة المسلمين المقاتلين فى سبيل الله :

قال تعالى : (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكه مردفين .) (٤) . ومنهم من يتوفون أهل الأرض ويقبضون روحهم بأمر من الله :

قال تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون .) (٥)
وقال : (وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظه حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون .) (٦) .
ومنهم من يؤنس العبد عند وفاته

قال تعالى : (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق .) (٧) . ومنهم من يستغفرون للموءمنين :

---

(١) الانفطار آيه ١٠ - ١٢
(٢) البقره آيه ٨٧
(٣) فصلت آيه ٣٠ - ٣١
(٤) الأنفال آيه ٩
(٥) السجده آيه ١١
(٦) الأنعام آيه ٦١
(٧) الأنفال آيه ٥٠

قال تعالى : (ويستغفرون للذين آمنوا .) (١) .

ومنهم حملة العرش :

قال تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .) (٢) .

وقال تعالى : (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقُضيَ بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين .) (٣) .

ومن الملائكة خزنة الجنة وخزنة النار الذين يستقبلون أهل الجنة بالسلام والدعاء ، ويستقبلون أهل النار بالتأنيب والوعيد .

قال تعالى : (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين . قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين . وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها : سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .) (٤) . ومنهم من يحضر مجالس العلم والذكر :

قال عليه الصلاة والسلام : (ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكه ونزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمه وذكرهم الله فيمن عنده .) (٥) .

ومنهم من يكتب رزق الانسان وأجله وعمله ومصيره وهو فى بطن أمه :

---

(١) غافر آيه ٧

(٢) غافر آيه ٧

(٣) الزمر آيه ٧٥

(٤) الزمر آيه ٧١ - ٧٣

(٥) رواه بن ماجه جـ١ ، ص ٨٢

قال عليه الصلاة والسلام: (إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع : برزقه ، وأجله ، وشقى أو سعيد) (١) . إلى غير ذلك من الأعمال التي وكلهم الله بها .

يقول ابن القيم : (والملائكة الموكله بالإنسان من حين كونه نطفه الى آخر أمره ، لهم وله شأن آخر ، فانهم موكلون بتخليقه ، ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه فى أطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه ، وعمله ، وأجله وشقاوته وسعادته ، وملازمته فى جميع أحواله واحصاء أقواله وأفعاله ، وحفظه فى حياته ، وقبض روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وفاطره . وهم الموكلون بعذابه ونعيمه فى البرزخ ، وبعد البعث . وهم الموكلون بعمل آلات النعيم والعذاب ، وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ماينفعه ، والمقاتلون الذابون عنه ، وهم أولياؤه فى الدنيا والآخره ، وهم الذين يُرونه فى منامه مايخافه ليحذره ، ومايحبه ليقوى قلبه ، ويزداد شكرا . وهم الذين يعدونه بالخير ، ويدعونه إليه وينهونه عن الشر ، ويحذرونه منه . فهم أولياؤه وأنصاره ، وحفظته ومعلموه وناصحوه ، والداعون له ، والمستغفرون له ، وهم الذين يصلون عليه مادام فى طاعة ربه ، ويصلون عليه مادام يعلم الناس الخير .

ويبشرونه بكرامة الله تعالى فى منامه ، وعند موته ، ويوم بعثه . وهم الذين يزهدونه فى الدنيا ، ويرغبونه فى الآخره وهم الذين يذكرونه إذا نسي وينشطونه إذا كسل ، ويثبتونه إذا جزع . وهم الذين يسعون فى مصالح دنياه وآخرته . فهم رسل الله فى خلقه وأمره وسفراؤه بينه وبين عباده تتنزل بالأمر من عنده فى أقطار العالم ، وتصعد اليه بالأمر .) (٢) .

عدد الملائكة

وهم كثير لايعلم عددهم الا الله عز وجل : قال تعالى : (ومايعلم جنود ربك الا هو ، وماهى إلا ذكرى للبشر .) (٣)

---

(١) رواه البخارى أول كتاب القدر جـ٧ ص ٢١٠ .

(٢) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان جـ٢ ص ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) المدثر آيه ٣١ .

وقال عليه الصلاة والسلام : (أطت السماء وحق لها أن تئط مافيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد .) (١) وقال فى حديث المعراج : (فرفع لى البيت المعمور فسألت جبريل فقال : (هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك) (٢) . ويجب أن نؤمن بجميع الملائكه سواء الذين ذكرتاسماؤهم فى القرآن أو السنة أو لم يذكر .

لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته) (٣) .

رؤساء الملائكة

ورؤساء الملائكة ثلاثه وهم جبرائيل ، وميكائيل واسرافيل ،الموكلون بالحياه . فجبرائيل موكل بالوحى الذى به حياة القلوب والأرواح ، وميكائيل موكل بالقطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان ، واسرافيل موكل بالنفخ فى الصور الذى به حياة الخلق بعد مماتهم. (٤)

عصمة الملائكة

هل الملائكة معصومون أم غير معصومين . ؟؟

فالذى عليه الجمهور أن الملائكة معصومون وقد خالفهم البعض .

الدليل على عصمة الملائكة :

١ - قوله تعالى : (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون .) (٥) .

وقوله : (لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون .) (٦) فقوله تعالى (ويفعلون مايؤمرون .) يتناول فعل المأمورات وترك المنهيات عن شيئ مأمور بتركه .) (٧)

---

(١) فتح البارى ،شرح صحيح البخارى جزء ٦ ص ٣٠٦ .

(٢) فتح البارى جزء ٦ ،ص ٣٠٣

(٣) البقره آيه ٢٨٥ . (٤) شرح العقيده الطحاويه ص ٣٣٦- ٣٣٧ .

(٥) النحل آيه ٥٠ (٦) التحريم آيه ٦

(٧) تفسير الرازى جـ٢ ،ص ١٦٦

٢ - وقوله تعالى : (بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)(١) فهم متوقفون في كل الأمور فلا يفعلون شيئا الا بمقتضى الأمر والوحي) (٢) .

٣ - وقوله : (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (٣) . فهم مشتغلون بالعباده دائما فلا يسأمون ولا يفترون ، ومن كانت حاله هذه لا يَعصى .) (٤).

المفاضلة بين الملائكة والبشر

اختلف الناس في ذلك فيذكر شارح الطحاوية : (أنه يُنسب الى أهل السنه تفضيل الأنبياء وصالحي البشر على الملائكة ، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة ، وأتباع الأشعرى على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأولياء ، ومنهم من يقف ولا يعطى في ذلك قولا .

وحكى عن بعضهم ميلهم الى تفضيل الملائكه ، وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنه وبعض الصوفيه .

وقالت الشيعه : (إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكه ، ومن الناس من فضل تفضيلا آخر ولم يقل أحد ممن له قول يوءثر أن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض .

وذُكر أن أبا حنيفه رضى الله عنه توقف في الجواب عن هذه المسأله .) (٥) .
ان الكفره والمنافقين غير داخلين في هذه المفاضله فهم أضل من البهائم كما قال تعالى : (أولئك كالأنعام بل هم أضل .) (٦) .
وإنما المفاضله بين صالحي البشر والملائكه .

---

(١) الأنبياء آيه ٢٦ ، ٢٧

(٢) تفسير الرازى ، جـ٢ ، ص ١٦٦

(٣) الأنبياء آيه ٢٠

(٤) تفسير الرازى ، جـ٢ ، ص ١٦٦

(٥) شرح العقيده الطحاويه ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨

(٦) الاعراف آيه ١٧٩ .

حجة الذين يفضلون صالحى البشر على الملائكة :

الدليل الاول : أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم فلولا فضله لما أمروا بالسجود له. قال تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر.) (١)

ورد بعضهم أن السجود كان لله عز وجل وآدم كان قبلة لهم، ولو كان هذا صحيحاً لقال : (اسجدوا الى آدم ، ولما قال : (اسجدوا لآدم) .

ولو كان المقصود اتخاذ آدم قبله لما امتنع ابليس عن السجود ولما زعم أنه خير من آدم. صحيح أن سجود الملائكه لآدم طاعة لله وعباده الا أنه تشريف وتكريم وتعظيم لآدم عليه السلام.

الدليل الثاني : قوله حكاية عن ابليس : (أرأيتك هذا الذى كرمت على.) (٢)

الدليل الثالث : أن الله خلق آدم بيده، وخلق الملائكه بكلمته والدليل قوله تعالى : (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) (٣) .

الدليل الرابع: قوله تعالى : (إني جاعل في الأرض خليفه) (٤) ، فالخليفه يفضل على من ليس خليفه وقد طلبت الملائكه أن يكون الخليفه منهم بدليل قوله تعالى : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.) (٥) فلولا أن الخلافه درجة عاليه لما طلبوها .

الدليل الخامس: تفضيل آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عن علم الأسماء فلم يجيبوا وأعترفوا أنهم لا يستطيعون حيث قالوا : (سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا) (٦) . وقد قال تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون والذين

---

(١) البقره آيه ٣٤

(٢) الاسراء آيه ٦٢

(٣) ص آيه ٧٥

(٤) البقره آيه ٣٠

(٥) البقره آيه ٣٠

(٦) البقره آيه ٣٢

لا يعلمون) (١) .

الدليل السادس: (ومما يدل على تفضيلهم أن طاعة البشر أشق ، والأشق أفضل فإن البشر مجبولون على الشهوه والحرص والغضب والهوى وهي مفقودة في الملك .

الدليل السابع : أن السلف كانوا يحدثون الأحاديث المتضمنه فضل صالحي البشر على الملائكه وتُروىٰ على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكرا لأنكروه) فدل على اعتقادهم ذلك .

الدليل الثامن : مباهاة الله بهم الملائكه . قال عليه الصلام والسلام : (ان الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء فيقول لهم انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثا غبرا) (٢) .

واحتج الذين فضلوا الملائكه بمثل حديث (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) .

وبأن بني آدم فيهم النقص والقصور ، وتقع منهم الزلات والهفوات، واحتجوا بقوله تعالى : (ولا أقول لكم اني ملك) (٣) ، (٤)

قال الأولون :(إنما تكلمنا في تفضيل صالحي البشر إذا كملوا ، ووصلوا إلى غايتهم وأقصى نهايتهم ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنه ، ونالوا الزلفى ، وسكنوا الدرجات العلى ، وحباهم الرحمن بمزيد قربه ، وتجلى لهم ليستمتعوا بالنظر الى وجهه الكريم . وقال الآخرون : الشأن في أنهم صاروا الى حالة يفوقون فيها الملائكة او يساوونهم فيها ؟ فإن ثبت لهم أنهم يصيرون الى حال يفوقون فيهم الملائكة سلم المدعي ، وإلا فلا .) (٥) .

---

(١) الزمر آيه ٩

(٢) صحيح الجامع جـ٢ ، ص ١٤١ .

(٣) فتاوى ابن تيميه ، جـ٤ ، ص ٣٥٠ – ٩٠

(٤) الانعام آيه ٥٠

(٥) شرح الطحاويه ، ص ٣٤٦ .

وتفضيل البشر على الملائكة أو العكس ،لم يرد في القرآن أو في السنه لذلك ليس من الواجب على الانسان معرفته ،اذ لوكان واجبا لأخبرنا به القرآن كما أخبرنابه الرسول عليه السلام، لذلك لايجب على المسلمين أن يطيلوا الجدل في أمور ليست من العقائد القطعيه ،بل عليهم أن يهتموا بعقيدة التوحيد وتنقيتها من الشرك ،ونشر دعوة الله إلى جميع الأمم.

أثر الإيمان بالملائكة :

وهو زيادة الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته إذ وكل الملائكه لحفظ المؤمنين والدعاء والاستغفار لهم، والامتناع قدر الاستطاعه عن المعاصى لعلمه أن الملائكه تراقبه وتسجل أعماله وأقواله ،كما تحث على الإقدام والشجاعة والجهاد في سبيل الله لعلمه أن الملائكة تؤيده وتساعده وتبشره ،كما يكثر من الأعمال الصالحه ليكون ممن تسلم عليهم الملائكه في الجنة ،ويبتعد عن المعاصى حتى لاتوبخه وتعذبه الملائكه في القبر ويوم القيامه ،ثم تساعد على الصبر، والاستقامة ، والطمأنينه .

الجـــــن

من الأمور الغيبيه التى أخبرنا عنها القرآن والتى يجب الإيمان بها الجن الذين خلقهم الله كما خلق الإنس لعبادته وطاعته .

قال تعالى : (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .) (١)
وقد أخبر القرآن عن خلق الجن وعن صفاتهم .

فقد خلق الله الجان من مارج من نار قال تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار) (٢) .

قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم .) (٣) .

من هنا نعلم أن الله خلق الجان قبل الانسان . أخذاً من قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل .) أى قبل آدم عليه السلام .
والجن يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون وهم محجوبون عن الأبصار ولهم القدره على التشكل بأمر الله كما لهم قوه خارقه أمد همبها الله .

يقول الماوردي : (والجن من العالم المعروف يأكلون ويتناكحون ويتناسلون ويموتون وأشخاصهم محجوبه عن الأبصار وإن تميزوا بأفعال وآثار إلا أن يخص الله تعالى روئيتهم من يشاء وإنما عرفهم الانس من الكتب الإلهيه وماتخيلوه من آثارهم الخفية .) (٤)

والدليل على أن للجن قوة عظيمه خارقه قوله تعالى : (قال عفريت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين .) (٥) .

---

(١) الذاريات ٥٦

(٢) الرحمن آيه ١٤ - ١٥

(٣) الحجر آيه ٢٦ - ٢٧

(٤) أعلام النبوه للماوردى ص ١٤١

(٥) النمل آيه ٣٩ .

وذلك حينما سأل سليمان عليه السلام من يأتيه بعرش بلقيس الذى كان فى سبأ فى اليمن إلى بيت المقدس حيث كان سليمان فقال مارد من الجن : أنا أحضره اليك قبل أن تقوم من مجلسك وأنا قوى على حمله أمين عليه حيث كان من الذهب المرصع بالجواهر والأحجار الكريمه .

والجن منهم المؤمنون ، ومنهم الكافرون .

قال تعالى : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .) (١) .

والجن مكلفون كالإنس تماما :

وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين . قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . ياقومنا اجيبوا داعيَ الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم . } (٢) .

هل إبليس كان من الجن ؟ أو انه كان من الملائكة فلما طرده الله صار من الجن . ؟ اختلفت آراء العلماء فى ذلك ، وقد أورد ابن كثير هذه الإختلافات فى تفسيره وهى :

١ ـ أنه من الجن ، وخانه أصله حيث خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكه من نور كما ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة ، وذلك أنه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل فى خطابهم وعصى بالمخالفه ، ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أى على انه خلق من نار كما قال تعالى : (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) (٣) .

---

(١) الجن آيه ١٤ ـ ١٥

(٢) الأحقاف آيه ٢٩ ـ ٣١

(٣) الأعراف آيه ١٢

وقد قال الحسن البصرى : ماكان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر .

٢ - قول الضحاك عن ابن عباس: كان ابليس من حيي من أحياء الملائكة يقال : لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكه ، وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنه ، وخلقت الملائكه من نور غير هذا الحيي قال وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا التهبت .

٣ - وقيل عن ابن عباس: أن إبليس كان من أشراف الملائكه وأكرمهم قبيلة ، وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض ، وكان ممن سولت له نفسه من قضاء الله أنه رأى بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك فى قلبه كبر لايعلمه الا الله واستخرج الله منه ذلك الكبر حيث أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) .

٤ - وقيل كان من خزان الجنان ، كما يقال للرجل مكي ، ومدني ،.

٥ - وقيل : كان رئيس ملائكة الدنيا .

٦ - وقيل : كان قبل أن يرتكب المعصيه من الملائكة اسمه عزرائيل ، وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما ، فذلك دعاه الى الكبر وكان من حي يسمونه جنا .

٧ - وقيل كان يسوس مابين السماء والأرض فعصى الله فسخطه الله ومسخه شيطانا رجيما . (١)

ولقد خلق الله الجن وجعل لهم قوة خارقه ، وهذه القدره الخارقه عجزت عن الإتيان بمثل هذا القرآن ، كما عجز الإنس عن ذلك ، ولو تعاونا الإنس، والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ماستطاعوا الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

---

(١) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ص ٨٨ - ٨٩

قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . (١)

إعتقاد العرب في الجاهليه في الجن :

كان العرب يتخوفون من الجن ويتعوذون منهم ، فلم تنفعهم هذه الاستعاذه بشيء بل زادتهم خوفا على خوفهم ، وفرقا على فرقهم ، ولم تذهب عنهم الضر ولم تنفعهم بل زادتهم ضرا ، وأذى .

قال تعالى : (وأنه كان رجال من الانس يعوذن برجال من الجن فزادوهم رهقا) (٢) .

يقول إبن كثير : (كانت عادة العرب في الجاهليه يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيء يسوءهم . كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه ، وخفارته ، فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وارهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم .) قال قتاده : (فزادوهم رهقا) أي إثما وازدادت الجن عليهم جرأة . (٣)

فالجان لا يستطيعون أن يضروا أو ينفعوا أحدا الا بأمر الله واذنه . والرسول عليه السلام أرسل الى الجن : كما أرسل إلى الإنس علاوة على ماتقدم يقول تعالى : (قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا .
وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا . وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا .) (٤) .
يأمر الله رسوله أن يخبر قومه بأن الجن استمعوا لقراءة القرآن فآمنوا به وصدقوه واستسلموا له وانقادوا فهو يهدي الى الرشاد والفلاح والنجاح لذلك آمنوا به ولم يشركوا مع الله أحدا .

---

(١) الاسراء آيه ٨٨
(٢) الجن آيه ٦
(٣) تفسير أبن كثير جزء ٤ ص ٤٢٨ .
(٤) الجن آيه ١ - ٥

وأن الله تعالت قدرته ونعمته على خلقه أن تكون له زوجه وولد فهو منزه عن ذلك ،وأن إبليس السفيه وكل من كان مثله فى الكذب والسفه قالوا على الله شططا أى زورا وكذبا حيث نسبوا لله الصاحبة والولد ولم نحسب بأن الجن والانس يتفقون فى الكذب على الله حيث نسبوا إليه الصاحبه والولد ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك .

والجن منهم الصالحون ومنهم الطالحون .

قال تعالى : (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا .) (١) .

وحينما سمعت الجن القرآن آمنت به وبالرسول عليه السلام لأن الذى يوءمن بالله لا يخاف أن ينقص الله من حسناته ولا يزيد عليه سيئات غير سيئاته .

قال تعالى : (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يوءمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا .) (٢) .

والجن قبل الاسلام كانوا يسترقون السمع من السماء ويلقون مما سمعوه الى الكهان فكانوا يأخذون الكلمه ويضيفون اليها أضعافاً كثيرةً كذبا وبهتانا ولكن حينما جاء الإسلام وبعث الرسول عليه السلام طردوا من السماء ومن يحاول منهم الآن لاستراق السمع يرسل الله عليه شهابا يحرقه ويهلكه .

قال تعالى : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا .) (٣)

يقول إبن كثير : (يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله عليه السلام وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهان فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق ،وهذا من لطف الله

---

(١) الجن آيه ١١

(٢) الجن آيه ١٣ (٣) الجن آيه ١٠

تعالى بخلقه ورحمتهبعباده وحفظه لكتابه العزيز .) [1] .

قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .) [2]

والجن لاتعلم الغيب لان عالم الغيب والشهادة هو الله والدليل على أن الجن لاتعلم الغيب قصة سليمان عليه السلام حينما مات ولم تعلم الجن بموته إلا حينما اكلت دودة الأرض عصاه التى كان متكئا عليها وسقط مغشيا على الأرض حينئذ علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب مامكثوا فى العذاب الأليم .

قال تعالى : (فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين .) [3]

فكما تبين لنا بأن الجن خلق من خلق الله منهم المؤمنون ومنهم الكافرون وبأن الرسول عليه السلام أرسل اليهم كما أرسل إلى البشر فآمن بعضهم به واتبعه وبأنهم كانوا قبل بعثة الرسول عليه السلام يسترقون السمع من السماء ولكن بعد بعثة الرسول عليه السلام منعوا من استراق السمع وحرست السماء بالشهب فمن يحاول الآن منهم استراق السمع يرسل الله عليه الشهب لهلاكه .

كما علمنا بأن الجن لايعلمون الغيب ولا يضرون ولا ينفعون إلا باذن من الله لذلك لايجوز الاستعاذه بهم ولا الاستعانه بهم ولا الخوف منهم لأن الاستعاذه والاستعانه والخوف والضر والنفع يجب أن يكون كله من الله ولله . ومن أشرك أحدا من مخلوقاته فى الأمور الخاصه بالله يكون مشركا والله يغفر الذنوب كلها ماعدا الشرك بالله .

قال تعالى : (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء .) [4]

فلايجوز الذبح للجن إنما الذبح يجب أن يكون لله ولا تجوز الكهانه والسحر لأنها كلها كفر وشرك حيث يستعين السحره والكهان بالجن وهذا لايجوز

---

(١) تفسير ابن كثير ، جزء ٤ ص ٤٢٩

(٢) الحجر آيه ٩

(٣) سبأ آيه ١٤

(٤) النساء آيه ٤٨ .

لأن الإستعانه يجب أن تكون من الله. قال تعالى : (إياك نعبد وايـــا ك نستعين .) [1] .

(١) الفاتحه آيه ٥

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

الفصل الثالث

الإيمان بالكتب

يجب الإيمان بأن الله عز وجل أنزل على رسله كتبا فيها أمره ونهيه ووعده ووعيده وما أراده الله عز وجل من خلقه . قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .)[1] وقال : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب)[2] .

وهذه الكتب هي : التوارة ، وهي الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام . قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون .)[3] والتوراه الموجوده الآن ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى بل هي محرفه ومبدله ويطلق النصارى على التوراة العهد القديم وهي تتألف من :
التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنيه - يسوع - القضاه - راعوت صمويل الأول - صمويل الثاني - الملوك الأول - الملوك الثاني أخبار الأيام الأول - أخبار الأيام الثاني - عزرا - نحميا - استير - أيوب - المزامير - الأمثال - الجامعه - نشيد الأنشاد - اشعياء - ارمياء - مرائي ارمياء - حزقيال - دانيال - هوشع - يوئيل - عاموس - عوبديا - يونان - ميخا - ناحوم - حبقوق - حجى - زكريا - ملاخي .[4]

الإنجيل : وهو الكتاب الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام قال تعالى : (وقفينا بعيسى ابن مريم وأتينه الإنجيل .)[5] ويسمى النصارى الإنجيل العهد الجديد ، وقد حرف وبدل وغير كما حرفت وبدلت التوراه ويتكون الإنجيل من : إنجيل متى - ومرقس - لوقا - يوحنا - أعمال الرسل -

---

(١) البقره آيه ٢٨٥
(٢) الحديد آيه ٢٥
(٣) المائده آيه ٤٤ .
(٤) الكتاب المقدس
(٥) الحديد آيه ٢٧ .

الرساله الى أهل روميه ـ الرساله الأولى الى أهل كورنتوس ـ الرساله الثانية الى أهل كورنتوس ـ الرساله الى أهل غلاطيه ـ الرساله الى افسس ـ الرساله الى أهل فيلبى ـ الرساله الى أهل كولوسى ـ الرساله الأولى الى اهل تسالونيكى ـ الرساله الثانيه الى أهل تسالونيكى ـ الرساله الأولى الى تيموثاوس ـ الرساله الثانية الى تيموثاوس ـ الرساله الى تبطس ـ الرساله الى فليمون ـ الرساله الى العبرانيين ـ رسالة يعقوب ـ رسالة بطرس الأولى ـ رساله بطرس الثانية ـ رسالة يوحنا الأولى ـ رسالة يوحنا الثانية ـ رسالة يوحنا الثالثة ـ رسالة يهوذا ـ رؤيا يوحنا ـ[1] .

وجميع الاناجيل لم تكتب فى عهد المسيح ـ وانما كتبت بعد وفاته بسنين عديده .

صحف إبراهيم :

إن الله عز وجل أنزل على إبراهيم صحفا وذكرها فى قوله : (إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .) [2]

ولايوجد الآن شيء من هذه الصحف ، فقد يكون رفعها الله عز وجل اليه أو أحرقت أو فقدت .

الزبور :

لقد أنزل الله على داود عليه السلام الزبور ذكره الله فى قوله : (وآتينا داود زبورا) [3] .

ولا يوجد الآن زبور داود ،فقد يكون مما رفعه الله اليه أو فقد .
وجميع الكتب التى أنزلها الله على رسله لم تحفظ كما حفظ القرآن الكريم والسبب فى ذلك أن كل رسالة تنسخ ماقبلها ، ورسالة سيدنا محمد آخر الرسالات لذلك حفظها الله وحفظ القرآن مما أصاب الكتب السابقه ، لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .) [4] .
ولقد أوجب اللهعزوجل علينا الايمان بجميع الكتب المنزله على انبيائه ورسله ،

(١) الكتاب المقدس.
(٢) الاعلى آيه ١٨ - ١٩
(٣) النساء آيه ١٦٣ .
(٤) الحجر آيه ٩ .

ومن يكفر بها فقد ضل ضلالا بعيدا . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا .)(١)

والإيمان بهذه الكتب لايوجب العمل بها ، وإنما يجب العمل بما جاء في القرآن الكريم لأنه آخر الكتب السماويه المنزله من عند الله ،كما أن محمدا عليه السلام آخر الرسل عليهم السلام .

القرآن الكريم :

وهو الكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد عليه السلام لإخراج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم إلى الرشاد وإلى الصراط المستقيم ولقد كان إنزال القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك .

قال تعالى : (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .) (٢) .

وقد اختلف العلماء في كيفية إنزال القرآن الى ثلاثة أقوال : أحدهما : أنه نزل إلى سماء الدنيا جملة واحدة ،ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنه ، أو في ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ،على حسب الاختلاف في مدة أقامته صلى الله عليه وسلم بمكه .

الثاني : أنه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنه ، وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنه ، وقيل : في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنه ، في كل ليله مايقدر الله سبحانه انزاله في كل سنه ، ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنه على الرسول صلى الله عليه وسلم .

الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما من أوقات مختلفة من سائر الاوقات .

والقول الاول أشهر وأصح ، واليه ذهب الأكثرون ، ويؤيده مارواه الحاكم في مستدركه عن إبن عباس رضى الله عنهما قال : (أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنه . (٣)

---

(١) النساء آيه ١٣٦ (٢) البقره آيه ١٨٥ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن للامام السيوطي جزء ١ ص ٤٠ - ٤١ .
والبرهان للزركشي جزء ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

والقرآن نزل منجما على الرسول عليه السلام أى مفرقا ، وأول مانزل منه (أقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم .)(١)

وآخر مانزل من القرآن آيه : واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون .) (٢)

وحينما كان ينزل القرآن على الرسول عليه السلام يحفظه ثم تحفظه الصحابة ثم يكتب بأمر من الرسول عليه السلام وبمرآى منه ، يقول الزرقانى : (إن همة الرسول وأصحابه كانت منصرفه أولا ، إلى جمع القرآن فى القلوب لحفظة واستظهاره ضرورة أنه نبى أمى بعثه الله فى الأميين ولكن القرآن حظى بأوفى نصيب من عناية النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه ، ولكن بمقدار ماسمحت به وسائل الكتابه وأدواتها فى عصرهم .

فهاهو الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ كتابا للوحى ، كلما نزل شيىء من القرآن أمرهم بكتابته ، مبالغة فى تسجيله وتقييده وزيادة فى التوثق والضبط والاحتياط فى كتاب الله تعالى ، حتى تظاهر الكتابه الحفظ ويعاضد النقش اللفظ .

وقد كان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابه حيث فيهم أبو بكر ، وعمر وعثمان ، وعلى ، ومعاويه ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس وغيرهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يدلهم على موضع المكتوب من سورته فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب(٣) واللخاف(٤) والرقاع(٥) ، وقطع(٦) الاديم ، ثم يوضع المكتوب فى بيت الرسول عليه السلام(٧) .

---

(١) العلق آيه ١ - ٥

(٢) البقره آيه ٢٨١ .

(٣) العسب: جمع عسيب وهو جريد النخل يكشفون الخوص ويكتبون فى الطرف العريض .

(٤) اللخاف : صفائح الحجاره .

(٥) الرقاع : جمع رقعه وقد تكون من جلد أو ورق .

(٦) الاديم : الجلد

(٧) مناهل العرفان جزء ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

والقرآن كما تقدم أنزل منجما الا أن الرسول عليه السلام كان يعلم الصحابه عن موضع الآيات والسور من القرآن الكريم.
وقد كان جبريل عليه السلام يراجع مع الرسول عليه السلام القرآن فى كل عام فى شهر رمضان المبارك ، وفى العام الأخير من حياته راجعه مرتين .

يقول السيوطى : (الإجماع والنصوص المترافده على أن ترتيب الآيات توقيفى لاشبهه فى ذلك .) (١)

وقال أبو بكر الأنباري : (أنزل الله القرآن كله الى سماء الدنيا ، ثم فرق فى بضع وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآيه جوابا لمستخبر ويعلم جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السوره ، والآيه ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله من عند النبى صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة وأخرها أفسدها .) (٢) .

كتابة القرآن وجمعه :

لقد كتب القرآن الكريم فى عهد الرسول عليه السلام وبمرأى منه حيث كان للوحي كتبه من خيرة الصحابه ، يكتبون كل مانزل من القرآن وبأمر منه وهؤلاء الكتبه لايفارقون الرسول عليه السلام لافى حله ولا ترحاله كما تقدم .
أما جمع القرآن فقد جمع فى عهد أبي بكر رضى الله عنه .

روى البخاري فى صحيحه : (عن زيد بن ثابت قال : (أرسل الى أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامه ، فاذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر : ان عمر أتانى فقال : إن القتل قد إستحر يوم اليمامه بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحر القتل بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف نفعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر : والله ان هذا خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، وقد رأيت فى ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا أتهمك ، وقد كنت تكتب الوحى للرسول صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن واجمعه . قال زيد : فو الله لو كلفنى نقل

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن جزا ، ص ٦٢ - ٦٥ .

(٢) البرهان فى علوم القرآن ، جزء ١ ص ٢٦٠

جبل ماكان بأثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن . قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر التوبه (لقد جاءكم) مع أبى خزيمه الأنصارى الذى جعل النبى صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ،لم أجدها مع أحد غيره فالحقتها فى سورتها ،فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله،ثم عند عمر حتى قبض،ثم عند حفصه بنت عمر . (١)

وقول زيد : (لم أجدها مع أحد الا مع أبى خزيمه الانصارى) ليس فيه اثبات القرآن فى الواحد ،لأن زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها ، وكذلك غيره من الصحابه ثم نسيها ،فلما سمع ذكره، وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم. (٢)

وكان زيد لايكتب شيئا إلا إذا استشهد عليه من الحفاظ.

لقد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف،وليس كذلك لما تقدم وهو أن أول من جمعه فى مصحف واحد هو ابو بكر رضى الله عنه.

وانما جمع عثمان رضى الله عنه القراءات الى قراءة واحده ونسخها فى مصحف واحد وزعه على الأمصار الاسلاميه.

روى البخارى فى صحيحه عن أنس أن حذيفه بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق ،فأفزع حذيفه إختلافهم فى القراءة وقال حذيفه لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصه أن ارسلى الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك ،فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف. قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن .

(٢) البرهان فىعلوم القرآن صفحة ٢٣٤ .جزء ١ .

فانما نزل بلسانهم. ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردعثمان الصحف الى حفصه، وأرسل فى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بماسواه من القرآن فى كل صحيفه أو مصحف أن يحرق. (١)

عدد سور القرآن الكريم :

ان عدد سور القرآن مائه وأربع عشره سورة كما هى فى المصحف العثمانى، أولها الفاتحه، وآخرها الناس.

وأطول سور القرآن البقره وأقصرها الكوثر. (٢)

والقرآن ينقسم الى مكي ومدني وللناس فى ذلك ثلاثة أقوال :

أولا : أن المكي مانزل بمكه قبل الهجره، والمدني مانزل بعدها سواء بمكه أم بالمدينه، وهو الأشهر.

ثانيا : أن المكى مانزل بمكه ولو بعد الهجره، والمدنى مانزل بالمدينه ويدخل فى مكه ضواحيها كمنى، وعرفات، والحديبيه، وفى المدينه ضواحيها كبدر، وأحد، وسلع.

ثالثا : أن المكى ما وقع خطابا لأهل مكه، والمدنى ماوقع خطابا لأهل المدينه. (٣)

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن.

(٢) البرهان جزء ١، صفحة ٢٤٩ - ٢٥١.

(٣) الاتقان جزء ١، صفحة ٩

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل عليهم السلام

الفصل الرابع

الإيمان بالرسل عليهم السلام

إن من أركان الإيمان أن نؤمن بأن الله بعث رسلا وأنبياء كراما لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات الى النور، فكانت دعوتهم انقاذا للأمم من براثن الشرك والوثنيه وتطهيرا، للمجتمع من التحلل والفساد، والفوضى والاضطراب .

قال تعالى : (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .) (1) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما : (قال : كان بين نوح وآدم عشره قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . قال : وكذلك فى قراءة عبد الله (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا .) (٢)

وقد بين الله الحكمه من بعثة الرسل الكرام فقال : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما .) (٣) .
(أى يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب وأنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشاره والنذاره، وبين مايحبه ويرضاه، مما يكرهه ويأباه لئلا يبقى لمعتذر عذر .) (٤)
قال تعالى : (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا : (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى .) (٥)

---

(١) البقره آيه ٢١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير، جـ١، ص ٢٥٠ . وكتاب النبوات لابن تيميه ص ١٧٣ .

(٣) النساء آيه ١٦٥ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ١، ص ٥٨٨ . (٥) طه آيه ١٣٤ .

يقول إبن كثير فى تفسير هذه الآيه : (لو أنا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل اليهم هذا الرسول الكريم [illegible]ل عليهم هذا الكتاب العظيم لكانوا قالوا : (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه .) (١)

وجعل الله هؤلاء الرسل منقذين لأقوامهم مخرجيهم من الظلمات الى النور . قال تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور .) (٢) .

لذلك كان البشر فى حاجة إلى الرسل .

حاجة البشر الى الرساله

إن الناس فى حاجه إلى رسل يرشدونهم إلى مافيه الخير والصلاح وإلى مافيه الشر والضلال ، وأهم النواحى التى تظهر فيها حاجة الناس الى الرسالة ثلاثة هى :

أولا : مايتصل بالله وصفاته :

إن الإنسان بفطرته يدرك أن له ربا ولكنه بعد ذلك ـ كما يثبت التاريخ ـ يضل إذا أراد أن يعرف صفات الله سبحانه وتعالى ، واذا تعقبنا الأمم الضاله ، يظهر لنا هذا بوضوح ، فهناك من يقول : بوحدة الوجود ، ومن يقول بالحلول والاتحاد ، ومن يقول : بالطبيعه ، ومن يقول : بأن لله ولداً ، ومن يجعل الله فى صورة البشر ، ومن يجعل بينه وبين الله واسطه الى غير ذلك من ضلال البشر الذين يعتمدون على عقولهم القاصرة فى صفات الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : مايتصل باليوم الآخر :

فقد يدرك الإنسان بفطرته أن وراء هذا اليوم يوماً آخر يحاسب فيه الإنسان على عمله لانه يرى أن المظلوم يُظلم ولايجد من يقتص له ، والظالم يَظلم ، ولايوجد من يقتص منه ، كما يحدث أن كثيرا من الذين استقاموا

(١) تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، ص ١٧٢

(٢) ابراهيم آيه ٥

فى هذه الحياة الدنيا يُظلمون ويموتون دون أن يشعروا بالسعاده ، وأن كثيرا من الطغاه والمتجبرين يعيشون يَظلمون ويتجبرون ويطغون والكل خاضع لهم ، ويموتون دون أن يشعروا بالشقاء الذى شعر به المستقيمون . عند ذلك تدرك الفطره السليمه أن الموت لا يمكن أن يكون هو الخاتمه بل لابد من يوم آخر يحاسب فيه الإنسان ، فالإيمان بالله يقتضى الإيمان باليوم الآخر ، والقرآن الكريم قد أشار إلى هذا فى قوله تعالى : (ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار .) (١)

فالايمان باليوم الآخر هو الايمان بعدل الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء مايحكمون .) (٢)

اذن الايمان باليوم الآخر فطره يؤمن به من آمن بالله سبحانه وتعالى ، ولكن تفاصيل هذا اليوم لا تؤخذ إلا من الشرع ، لذا نجد الإضطراب فى وصف اليوم الآخر عند من لم يأخذ صفته من الشرع فهو قد يتصور الحساب على هيئة التناسخ ، وهو أن تخرج الروح لتنتقل من جسد الى جسد لتكفر ماعليها إن كانت مذنبه ، أو لتلحق بأصلها اذا كانت خيره ، ودراسة مذهب الهنود فى التناسخ يوضح ذلك ، وقد يتصور الحساب بنوع من ألم الضمير إن كان سيئا أو راحته إن كان محسنا .

وهناك من أنكر اليوم الآخر نهائيا كما أخبر القرآن الكريم عن قوم من الدهريين الذين يقولون : (ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر .) (٣)

كذلك المتتبع لمذاهب الباطنيه يجد إنكار اليوم الآخر واضحا فى مذاهبهم يقول يحيى بن حمزة العلوى : وقد اتفقوا على إنكار اليوم الآخر وأن هذا النظام فى الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الإنسان من نطفه ، والنطفه من انسان أو حصول النبات ، وتولد الحيوان من أجناسها

---

(١) آل عمران آيه ١٩١

(٢) الجاثيه آيه ٢١

(٣) الجاثيه آيه ٢٤

لاينصرم أبد الدهر، وان اشادة السموات والأرض لايتصور انعدامها، ولا زوال أجسامها، وتأولوا القيامه، وقالوا : إنها إشاره ورمز إلى خروج الإمام، وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع، وربما قالوا : (إن ذلك أدوار الكلية) تبدل فيها أحوال العالم تبدلا كليا بطوفان أو حدوث حادث بسبب من الأسباب ، فمعنى القيامه : انقضاء دورنا الذى نحن فيه، ويتلوه دور آخر.

وأما المعاد، فقد أنكروا ما جاءت به الرسل وصرح به الأنبياء، ولم يثبتوا الحشر والنشر، واعادة الأجساد ولا الجنه ولا النار على على ماوردت به الشريعه، ونطق به الأنبياء.(١)

٣ - القوانين التي تحكم العالم :

إن الإنسان حينما شرع بنفسه ظهر ظلمه وتخبطه كما حدث فى القديم والحديث ، فالهند تقول : بالطبقات، وكذلك الفرس والعرب فى الجاهليه كانوا ينزلون العبيد منزلة لاتتفق مع الإنسانيه، وفى العصر الحديث لازالت التفرقة العنصريه تعم كثيرا من الأمم ولازال هنالك برغم مايدعون من تقدم ومدنيه أن الملونين لايرتقون الى رتبة الانسانيه التى يجب أن تحترم.

هذه الامور الثلاثة ضلت فيها البشريه فكان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن أرسل الرسل ليبينوا للبشر الحق فى هذه المسائل.

والمتتبع لما جاءت به الرسل يجد أنهم قد بلغوا الرساله وأدوا الأمانه فى هذه الأمور حتى تحققت السعاده من وصف الله بما يليق به من صفات الكمال والإخبار عن اليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاء وجنه ونار ووضع القوانين الشرعيه وتعليمها ، والتى سوت بين البشر جميعا (٢) . قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.) (٣)

---

(١) الافحام لافئدة الباطنيه الطغاة - تأليف : يحيى بن حمزه العلوى المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ، تحقيق فيصل بدير راجعه دكتور سامى على النشار الناشر منشئة المعارف - الاسكندريه.

(٢) الطبعة الثانية من كتاب الوحدانيه التى تحت الطبع تأليف : د . بركات دويدار.

(٣) الحجرات آيه ١٣

تعريف النبي والرسول

النبي لغة : هو الذى أنبأ عن الله ، فترك همزه . وقيل : وإن أخذت النبى من النبوه والنباوة ، وهى الارتفاع من الأرض ، لارتفاع قدره ، ولانه شرف على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، وتصغيره نبي والجمع أنبياء .) (١)

والنبي شرعا : هو من أنبأه الله بخبر السماء ولم يأمره بتبليغ غيره .) (٢)

والرسول لغة : هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذا من قولهم : جاءت الابل رسلا أى متتابعه . وقال اسحاق النحوى فى قوله عز وجل عن موسى وأخيه (فقولا انا رسول رب العالمين) معناه رسالة رب العالمين أى ذو رسالة رب العالمين .) (٣)

والرسول شرعا : هو من أنبأه الله بخبر السماء وأمره أن يبلغه الى غيره .

فالرسول أخص من النبى ، فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا .) (٤)
وذكر التفتازانى : (أن الرسول إنسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط أن يكون معه كتاب من عند الله ، أما النبي فانه أعم .) (٥) .

أما شيخ الإسلام ابن تيميه فهو يعرف النبي والرسول بتعريف آخر فيقول : النبي : هو الذي ينبئه الله وهو ينبىء بما أنبأ الله به ، وهو يعمل بشريعة من قبله ، ولم يرسل هو الى أحد يبلغه عن الله .

والأنبياء يأتيهم وحى من الله بما يفعلونه ، ويأمرون به المؤمنين الذين عند هم لكونهم مؤمنين بهم كما يكون أهل الشريعه الواحده يقبلون مايبلغه

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، ص ٣٠٢ ، جـ ١٥

(٢) شرح العقيده الطحاويه ص ١٦٧

(٣) لسان العرب ص ٢٨٤ ، جـ ١١

(٤) شرح العقيده الطحاويه ص ١٦٧ .

(٥) العقائد النسفيه ص ٣١ .

العلماء عن الرسول ، وكذلك انبياء بنى إسرائيل يأمرون بشريعة التوراه ، وقد يوحى الى أحدهم وحى خاص في قصة معينة ، ولكن كانوا فى شرع التوارة كالعالم الذى يفهمه الله فى قضية معنى يطابق القرآن .

فالأنبياء ينبئهم الله ، فيخبرهم بأمره ونهيه ، وخبره ، وهم ينبئون المؤمنين بهم بما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي .

وأما الرسول : فهو الذى ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به ويرسله إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة الله ، فالرسل هم : الذين يدعون الكفار إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له . (١)

ومما يؤخذ على التعريف المشهور وهو أن النبى ما أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فالواجب أن كل من يعلم علما مأمور بتبليغه ، ويأثم اذا لم يبلغه ، والنبى من باب أولى عليه أن يبلغ ما أوحي اليه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون .) (٢) .

وقال : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون .) (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار .) (٤) .

النبوة هبة من الله :

فهي ليست تدرك بالجد والتعب ، ولا تنال بكثرة العباده والطاعة ، وإنما هى هبة من الله وفضل لمن يشاء من عباده .
قال تعالى : (يختص برحمته من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .) (٥) .

---

(١) كتاب النبوات ، ص ١٧٣ .

(٢) البقره آيه ١٥٩ .

(٣) آل عمران آيه ١٨٧ (٤) حديث صحيح رواه احمد ، جزء ١ ، ١٦٦ رواه ابو داود رقم ٣٦٥٨ . (٥) آل عمران آيه ٧٤

وهى اصطفاء واختيار لمن اختاره الله وأهله لحملها ،فهى حمل ثقيل وتكليف عظيم لايقدر عليه الا أولوالعزم من الرجال ، وهم أهل الجد والاجتهاد قال تعالى : (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .) (١)

والنبوه ليست بالوراثه ولا بالىغلبه والاستعلاء وإنما تكون باصطفاء الله لخيره خلقه الذين يختارهم لحمل رسالته .

قال تعالى : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير .) (٢) .

وقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين .) (٣)
وقال : (وإنهم عندنا لمن المُصْطَفَيْن الأخيار .) (٤)

عدد الرسل

لقد أرسل الله رسلا وأنبياء كثيرين . قال تعالى : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت .) (٥) وقوله : (وإن من امة الا خلا فيها نذير .) (٦)

ولا نستطيع أن نجزم بعدد معين لعدم إخبار الله عنه فى القرآن ،وكل ماورد عن عددهم حديث أبي ذر الغفارى ، وسنده ليس بالقوي كما قيل ، ولفظه : (قلت يارسول الله أي الأنبياء كان أول ،قال : آدم ، قلت يارسول الله أنبي كان ؟ قال : نعم ،نبي مكلم ،قلت: يارسول اللهكم عدد المرسلين ؟ قال :ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا . وفى لفظ كم وفاء عدد الأنبياء؟ قال : مائة ألف

---

(١) المزمل آيه ٥
(٢) الحج آيه ٧٥
(٣) آل عمران آيه٣٣
(٤) ص آيه ٤٧
(٥) النحل آيه ٣٦
(٦) فاطر آيه ٢٤ .

وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة وعشرون جما غفيرا .) [١]

الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن :

وعددهم خمسة وعشرون وهم : آدم ونوح ، وادريس وصالح وإبراهيم وشعيب وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداوود وزكريا وسليمان والياس ويحيي وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد ورد ذكر ثمانيه عشر منهم في قوله تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون ، وكذلك نجزي المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين . وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين .) [٢] .

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن : قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا .) [٣] . وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا .) [٤] . وقال : (وإلى مدين أخاهم شعيبا) [٥] . وقال : (إن الله اصطفى آدم ونوحا) [٦] .

وقال : (وإسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين .) [٧] . وقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .) [٨] .

---

(١) مسند الامام احمد ، جـ٥ ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٦ .

(٢) الأنعام الايات ٨٣ - ٨٦ .

(٣) هود آيه ٥٠ ، الاعراف آيه ٦٥

(٤) هود آيه ٦١ ، الاعراف آيه ٧٣

(٥) الاعراف آيه ٨٥ ، هود آيه ٨٤

(٦) آل عمران آيه ٣٣

(٧) الأنبياء آيه ٨٥

(٨) الفتح آيه ٢٩ .

فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان بهم وبرسالتهم ونبوتهم تفصيلا فلو أنكر إنسان نبوة واحد منهم أو رسالته فقد كفر لأن الله أخبر عنهم في القرآن :

قال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله .) (١) .

والواجب على المؤمن الإيمان بجميع الرسل والأنبياء الذين ذكرهم الله وعدم التفريق بين أحد منهم كما فعل اليهود والنصارى حيث آمن اليهود بأنبياء بني اسرائيل وكفروا بعيسى ابن مريم وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، والنصارى آمنوا بكافة الأنبياء وكفروا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد كفّر الله الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون بالبعض الآخر وتوعدهم بالعذاب المهين ، قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا .) (٢)

وبما أن الله نسخ جميع الشرائع بشريعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا يلزم المؤمن تجاه أولئك الرسل سوى الإيمان بهم واحترامهم وتعظيمهم ، والرسل والأنبياء الذين لم يقصهم القرآن فالواجب الإيمان بهم اجمالا بلا تفصيل لقوله تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما .) (٣) .

---

(١) البقرة آيه ٢٨٥ .

(٢) النساء آيه ١٥٠ - ١٥١

(٣) النساء آيه ١٦٤ .

صفات الأنبياء والمرسلين

يجب توفر أربع صفات للرسل جميعهم وهى : التبليغ - الصدق - الفطانه الامانه - ويستحيل عليهم ضدها .

١ - التبليغ : ومعناه أن يوصل الرسول ما أمره الله بإيصاله إلى من أرسل اليهم ، ويستحيل عليه الكتمان . لأن الكتمان يضيع الفائده من رسالتهم .

قال تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته .) [1] .

٢ - الصدق : يجب أن نعتقد بصدق الرسل عليهم الصلاة والسلام وبأنهم يستحيل عليهم الكذب ، وقد أيدهم الله بالمعجزات التي هى دليل على صدقهم بأنهم رسل الله الى الخلق ، فلو كان الرسل كاذبين لكانت المعجزه أيضا كاذبه ، وهى دليل من الله على صدق الرسول ، ولكن الكذب فى خبر الله مستحيل ، فثبت صدقهم فيما يبلغونه عن الله . قال تعالى : (وصدق الله ورسوله .) [2] . وقال : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين .) [3] .

٣ - الفطانه : وهى حدة العقل والذكاء ، وقوة الفهم ، وسرعة البديهه ، وحضور الذاكره ، كي يستطيع الرسول تبيين الشرائع والأحكام وترسيخ المبادىء وإزالة الشبه بالاقناع والحجه للمؤمنين ، وإقامة الحجه على الكافرين وإبطال حججهم ، ويستحيل عليهم البلاده والغفله التي تضيع فائدة الرساله .

قال تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه .) [4] .

---

(١) المائده آيه ٦٧

(٢) الأحزاب آيه ٢٢

(٣) الحاقه آيه ٤٤ - ٤٧

(٤) الانعام آيه ٨٢

وقال : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه ، وجادلهم بالتي هي أحسن .) (١) .

٤ ـ الأمانة أو العصمة :

يجب للرسل عليهم السلام : الأمانة وهي العصمه ومعناها حفظ ظاهرهم وباطنهم من المعاصي ، ويستحيل عليهم ضدها وهي الخيانه ، فقد حفظ الله ظاهر الأنبياء من الزنا وشرب الخمر والسرقه والكذب ، والربا والظلم إلى غير ذلك من المنهيات التي نهى الله عنها ، وحفظ باطنهم من الشرك والكفر بالله ومن الرياء والحسد والكبر والبطر والحقد وغير ذلك من المحرمات التي حرمها الله عز وجل .

والدليل على وجوب اتصافهم بالعصمه لأنهم لوارتكبوا المعاصي لاقتدى بهم أتباعهم لأن الله أمر أتباع الرسل باتباع رسلهم قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم .) (٢) . وقال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر .) (٣) .
وقال : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (٤) . والسنه كما نعلم هي قول الرسول أو فعله . فكيف يأمر الله باتباع الرسل الذين يرتكبون المعاصي والفواحش :

قال : تعالى : (إن الله لا يأمر بالفحشاء .) (٥)

وقد حفظ الله أنبياءه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي والمنكرات والمحرمات صغيرها وكبيرها فلم يقع منهم مايخالف الله عز وجل بخلاف سائر البشر والحكمه من ذلك أنهم قدوة للبشر يجب الإقتداء والتأسي بهم .

---

(١) النحل آيه ١٢٥

(٢) آل عمران آيه ٣١

(٣) الاحزاب آيه ٢١

(٤) النساء آيه ٦٤

(٥) الاعراف آيه ٢٨ .

ولقد عصم الله الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم منذ طفولته الى شبابه من أفعال الجاهليه حتى أكرمه الله وشرفه بالنبوه فتمت له العصمه بجمله الرساله إلى جميع الخلق .

قال ابن هشام : (فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم و الله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهليه لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ وصار رجلا ، وأفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرماً ، حتى ماكان اسمه في قومه إلا (الأمين) لما جمع الله فيه من الأمور الصالحه .) (١) .

الآراء في عصمة الأنبياء

اختلف العلماء في عصمة الأنبياء هل هي قبل النبوه أم بعدها ؟ وهل تكون العصمه عن الكبائر فقط أم عن الكبائر والصغائر . يقول الرازي في تفسيره : (اختلف الناس في عصمة الأنبياء عليهم السلام إلى أقسام : أحدها مايقع في باب الاعتقاد ، وثانيها مايقع في باب التبليغ ، وثالثها مايقع في باب الأحكام والفتيا ورابعها مايقع في أفعالهم وسيرتهم . أما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند أكثر الأمه وقالت الفضليه من الخوارج أنهم قد وقعت منهم الذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا : بوقوع الكفر منهم ، وأجازت الإمامية عليهم إظهار الكفر على سبيل التقيه .

أما النوع الثاني : وهو مايتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمه على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ وإلا لارتفع الوثوق بالآداء واتفقوا على أن ذلك كما لايجوز وقوعه منهم عمدا لايجوز سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا : لأن الاحتراز غير ممكن . وأما النوع الثالث وهو مايتعلق بالفتيا ، فأجمعوا على أنه لايجوز خطؤهم فيه على سبيل التعمد وأما على سبيل السهو فجوزه بعضهم وأباه آخرون .

---

(١) السيره النبويه ـ الجزء الأول ، ص ١٩٤ .

وأما النوع الرابع : وهو الذى يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الأمه فيه على خمسة اقوال أحدها من جوز عليهم الكبائر على جهة العمد والثانى قول من لايجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر على جهة العمد الا ماينفر كالكذب والتطفيف وهذا قول اكثر المعتزله. القول الثالث أنه لايجوز أن يأتوا بصغيره ولابكبيره على جهة العمد البته بل على جهة التأويل وهو قول الجبائى. الرابع أنه لايقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ ولكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وإن كان ذلك موضوعا عن أمتهم وذلك لأن معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر وأنهم يقدرون من التحفظ على مالايقدر عليه غيرهم. الخامس : أنه لايقع منهم الذنب لا الكبيره ولا الصغيره لاعلى سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل والخطأ وهو مذهب الرافضه.

واختلف الناس فى وقت العصمه على ثلاثة أقوال :

١ - أنهم معصومون من وقت مولدهم وهو قول الرافضه .

٢ - قول من ذهب إلى أن عصمتهم وقت بلوغهم ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوه وهو قول أكثر المعتزله.

٣ - قول من ذهب الى أن ذلك لايجوز وقت النبوه أما قبل النبوه فجائز وهو قول أكثر أصحابنا وقول أبى الهزيل وأبى على من المعتزله.

والمختار عندنا أنه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوه البته لا الكبيرة ولا الصغيره ويدل عليه وجوه :

١ - لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الامة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء كانت فى غاية الشرف والجلال وكل من كان كذلك كان صدور الذنب منه أفحش.

٢ - إن إقدامه على الفحش وجب أن لايكون مقبول الشهاده. لكنه مقبول الشهاده وإلا كان أقل من عدول الأمة وكيف لانقول ذلك وأنه لامعنى للنبوه والرساله.

٣ - إنه بتقدير إقدامه على الكبيره يجب زجره عنها وهذا محرم.

٤ - لو أتى النبى بالمعصيه وجب الاقتداء به.

٥ - لو صدرت منهم معصيه لاستحقوا العذاب واللعن من الله عز وجل .

٦ - أنهم كانوا يأمرون بطاعة الله فلو لم يطيعوه لد خلوا تحت قوله . أتأمـــرون الناس بالبر وتنســون أنفسكم .

٧ - قوله تعالى : (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار .) ينافي صــدور الذنب عنهم .

٨ - أن الله حكى عن إبليس قوله : (بعزتك لأغويتهم أجمعين إلا عبـــادك منهم المخلصين) فاستثنى الأنبياء .

٩ - الرسول أفضل من الملك فوجب أن لا يصدر الذنب من الرسول لانـــه أفضل من الملك والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .) (١)

أما أكثر علماء المسلمين فيقولون : بأن الأنبياء معصمون عن الكبائـــر دون الصغائر كما يقول إبن تيميه : (إن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى أنه قـــول أكثر أهل الكلام كما ذكر (أبو الحسن الآمدى) إن هذا قول أكثر الأشعريه وهو أيضا قول أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن الســلف والأئمه والصحابه والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول . . . وأول مـــن نقل عنهم من طوائف الأمه القول بالعصمه مطلقا وأعظمهم قولا لذلك : الرافضه فانهم يقولون : بالعصمه حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل .) (٢) ورأى إبن تيميه هو الذى اختاره .

هل الانبياء أفضل أم الملائكـة ؟

يقول شارح الطحاوية :

((قد تكلم الناس فى المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر وينسب إلى أهــل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكه ، وإلى المعتزله تفضيــل الملائكه . وأتباع الأشعري على قولين : منهم من يفضل الأنبياء والأوليــاء ،

---

(١) تفسير الرازى ، جزء ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢) الفتاوى جزء ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولا . وحكى عن بعضهم تفضيل الملائكة وحكى ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية . وقالت الشيعة : ان جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة . ومن الناس من فصل تفصيلا آخر . ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر أن الملائكة أفضل من الأنبياء دون بعض.)) (1)

وقال الرازي في تفسيره : (احتج القائلون بأن الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة بقوله تعالى بعد ذكر هؤلاء عليهم السلام (وكلا فضلنا على العالمين) وذلك لأن العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل في لفظ العالم الملائكه فقوله تعالى وكلا فضلنا على العالمين يقتضي كونهم أفضل من كل العالمين وذلك يقتضي كونهم أفضل من الملائكه .) (٢) .

والواجب على المؤمن أن يؤمن بالملائكة والنبيين ولا يجب عليه التفضيل بين أحدهما إذ لو كان هذا من الواجب لبينه الله لنا وأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم .

أفضل الانبياء

إن الأنبياء والرسل ليسوا على درجة واحده من الفضل والمكانه عند الله . (قال تعالى : (ولقد فضلنا بعض النبين على بعض.) (٣) .
وقال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات .) (٤) .
وأفضل الرسل والأنبياء أولو العزم وهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين . قال تعالى فيهم : (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل .) (٥) .

---

(١) شرح العقيده الطحاويه ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٢) تفسير الرازى ،جـ ٤ ،ص ٨٥

(٣) الاسراء آيه ٥٥

(٤) البقره آيه ٢٥٣

(٥) الأحقاف آيه ٣٥ .

ولقد سماهم الله أولي العزم لأن عزائمهم كانت قويه وابتلاءهم كان شديدا وجهادهم شاقا مريرا فجميعهم أوذوا واضطهدوا وشردوا فتحملوا العذاب وصبروا على الشدائد في سبيل الله وابتغاء مرضاته.

قال تعالى عنهم: (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا ومااستكانوا والله يحب الصابرين.) (١).

وأفضلهم جميعا محمد صلى الله عليه وسلم فهو خاتم الأنبياء والمرسلين الذين أرسلهم الله.

الأدلة على أفضلية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

يقول الرازي :١-(قوله تعالى : (ورفعنا لك ذكرك.) (٢) حيث فرض الله ذكر محمد بذكره في الشهادتين والآذان والإقامه.

٢ - قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) فلما كان رحمة لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.

٣ - أنه تعالى قرن طاعته بطاعته فقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)(٤)

٤ - معجزة الرسول أفضل المعجزات فوجب أن يكون أفضل من سائر النبيين عليهم السلام.

٥ - إن معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام هي القرآن وهي باقية حتى تقوم الساعة بخلاف معجزات غيره من الأنبياء فإنها فانيه منقضيه.

٦ - أنه عليه السلام بعث إلى كل الخلق وذلك يقتضي ان تكون مشقته أكثر فيجب أن يكون أفضل ودليل بعثه إلى جميع الخلق قوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس.) (٥).

---

(١) آل عمران آيه ١٤٦

(٢) الشرح آيه ٤

(٣) الأنبياء آيه ١٠٧

(٤) النساء آيه ٨٠

(٥) سبأ آيه ٢٨

٧- ان دين محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأديان لأنه خاتمة الأديان ولأنه ناسخ لجميع الأديان قبله فوجب أن يكون الرسول أفضل الأنبياء.

٨ - ان أمة محمد أفضل الأمم كما قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . [١] فلزم أن يكون محمد أفضل الأنبياء عليهم السلام.

٩ - قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر) .

١٠- الله عز وجل نادى الأنبياء والرسل بأسمائهم أما الرسول فناداه بقوله يا أيها النبيّ - يا أيها الرسول . فدل على فضله عليهم. إلى غير ذلك من الأدلة التى أوردها الرازي في تفضيل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم على سائر النبين والمرسلين . [٢]

ويقول إبن تيميه : (إن الله أرسل رسله ليقوم الناس بالقسط ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم وقد بين الله له من القسط مالم يبينه لغيره ، وأقدره على مالم يقدر عليه غيره فصار يفعل ويأمر بما لا يأمر به غيره ويفعله .) [٣] . وقال : (أفضل الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل كما ثبت فى صحيح مسلم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم (أنه خير البريه) . وكذلك قال العلماء منهم الربيع بن خيثم قال : (لا أفضل على نبينا أحدا ولا أفضل على إبراهيم بعد نبينا أحدا .) [٤] .

ويكفينا دليلا على فضله قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الذي رواه مسلم : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون .) [٥] .

---

(١) آل عمران آيه ١١٠

(٢) تفسير الرازى جزء ٢ ، ص ٣٠٠ - ٣٠١

(٣) الفتاوى جـ ٤ ، ص ٤٨

(٤) الفتاوى جـ٤ ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٥) صحيح مسلم جـ ٥ ، ص ٥ .

محمد صلى الله عليه وسلم

لقد بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهو في الأربعين من عمره ليكون للناس بشيرا ونذيرا كما قال تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون .) (١) .

عموم رسالته عليه السلام:

لقد كان كل رسول يبعث الى قومه خاصة أما سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد أرسله الله إلى الناس جميعا كما قال تعالى : (قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا .) (٢)

وقوله عليه السلام : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من قبلي : (نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ،فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ،وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ،وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة .) (٣) .

وقد أرسله الله الى الإنس والجن . كما قال تعالى : (وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا ،فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين .) (٤) . وأرسله الله رحمة للعالمين كما قال تعالى : (وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين .) (٥) .

وكان خاتم النبين والمرسلين . كما قال تعالى : (ماكان محمد أباأحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين .) (٦) .

---

(١) سبأ آيه ٢٨

(٢) الاعراف آيه ١٥٨

(٣) حديث متفق على صحته البخارى جزء ١ ،ص ٣٦٨ - ٣٧١ .
في التيمم وفي المساجد باب قول النبي (ص) جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وفي مسلم ٥٢١ في أول كتاب المساجد .

(٤) الأحقاف آيه ٢٩

(٥) الأنبياء آيه ١٠٧

(٦) الأحزاب آيه ٤٠

وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي .) (١)

وقد جعله الله قدوة حسنه للناس ، كما قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنه .) (٢) . وقد أيده الله بالمعجزات الكثيرة والتي من أعظمها القرآن الكريم وهذه المعجزات دليل على صدقه وعلى أنه نبي من عند الله .

يقول إبن تيميه : (والدليل على نبوة الأنبياء المعجزات ، والدليل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه .) (٣) .

وقد تحدى الله الانس والجن أن يأتوا بمثل القرآن فما استطاعوا ، كما قال تعالى : (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين .) (٤) . فما استطاعوا ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور ، كما قال تعالى : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين .) (٥) .
فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحده من القرآن فما استطاعوا قال تعالى : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين .) (٦) ولا يزال هذا التحدي قائما حتى تقوم الساعه .

وقد أخبر الله عز وجل في كتابه بأن الجن والإنس لو اجتمعت لا يمكن أن يأتوا بمثل القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .) (٧) _

---

(١) حديث متفق عليه البخاري جزء ٨ - ٤٩٢ في تفسير سورة الصف
وسلم ٢٣٥٤ في الفضائل .

(٢) الآحزاب آيه ٢١

(٣) شرح العقيده الأصفهانيه تقديم حسنين مخلوف ص ١٦٥ .

(٤) الطور آيه ٣٤ .

(٥) هود آيه ١٣

(٦) البقره آيه ٢٣ (٧) الاسراء آيه ٨٨

ولقد كان يأتي القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي ،كما كان يوحى الله عز وجل إلى سائر الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى : (إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .) (١)

وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢) . وقال : (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم .) (٣) .

فالوحي : هو الذى عن طريقه يوصل الله الى أنبيائه ورسله مايريده من علم وحكمه وأمر ونهي وارشاد وغير ذلك .

ويطلق الوحي فى اللغه على التفهيم ، والإعلام بالشيئ فى خفاء سواء كان هذا التفهيم والإعلام بكلام أو كتابه أو اشاره أو رؤيا أو ايحاء وشرعا : الاعلام بالشرع . (٤)

فالوحي بالاشاره كما فى قوله تعالى : (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا)(٥)
الوحي بالالهام كما فى قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه .) (٦)

أنواع الوحي :

قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه علي حكيم .) (٧) .

أ ـ أولا : الوحي عن طريق الالهام فى اليقظه كما قال عليه الصلاة والسلام :
(إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) (٨) .

---

(١) النساء آيه ١٦٣ .
(٢) الأنبياء آيه ٢٥
(٣) الانبياء آيه ٧
(٤) فتح البارى ،جزء ١ ،ص ٩
(٥) مريم آيه ١١
(٦) القصص آيه ٧
(٧) الشورى آيه ٥١
(٨) ابن كثير ،جزء ٤ ،ص ١٢١ .

ب ـ الوحى عن طريق الإلهام في النوم ، كما كان يأتى الرسول عليه السلام في النوم . عن عروه بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :
(أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .) (١) .

ثانيا : تكليم الله نبيه من وراء حجاب :

قال تعالى : (وكلم الله موسى تكليما .) (٢)
وكما كلم الله محمدا عليه السلام حينما أسرى به إلى السماء وفرضت عليه الصلاة .

ثالثا : إرسال رسول من الملائكة لتبليغ كلام الله :

وهذا الرسول هو جبريل عليه السلام ، وقد كان يأتي على هيئة رجل كما جاء في حديث الايمان .
وقد كان الوحى يأتى الرسول عليه السلام فى بعض الأحيان مثل صلصلة الجرس وهو أشده ، كما قال عليه السلام : (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعي مايقول .) (٣)

وقالت عائشه رضى الله عنها : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه يتفصّد عرقا .) (٤) .

وقد كان يظهر جبريل للرسول عليه السلام فى صورته التى خلقه الله عليها وقد سد الأفق وله ستمائة جناح .

قال تعالى : (فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى .) (٥)

---

(١) صحيح البخارى جزء ١ ، ص ٢ .

(٢) النساء آيه ١٦٤ .

(٣) ، (٤) صحيح البخارى ، جزء ١ ، ص ٢

(٥) النجم آيه ٩ – ١٠ .

وقد سُئلت السيده عائشه عن قول الله تعالى : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ؟ قالت: (ذاك جبريل كان يأتيه فى صورة رجل وإنما أتى هذه المره فى صورته التى هى صورته فسد الأفق) [1] وقد أيد الله رسوله عليه السلام بالمعجزات كما أيد غيره من الرسل والأنبياء بالمعجزات وهى دليل على صدقهم بأنهم مرسلون من عند الله عز وجل ، ولقد انتهت معجزاتهم بموتهم أما معجزة الرسول عليه السلام فهى باقيه حتى تقوم الساعه .

المعجزة

لقد أيد الله رسله وأنبياءه بمعجزات تثبت صدقهم فيما يقولون بأنهم رسل الله إلى خلقه ،وسميت معجزة لعدم إتيان البشر بمثلها لأنها فوق طاقتهم وعلومهم ومعارفهم، كما أنها مخالفة للسنه والقوانين المعهودة .

تعريف المعجزة :

هى أمر خارق للعاده داعيه الى الخير والسعاده مقرونه بدعوى النبوه قصد بها إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله . [2]

وهذا يتفق مع رأي الأشاعرة وأكثر المتكلمين فى المعجزة ولكن الإمام إبن تيميه يخالفهم من بعض الوجوه كما يتبين من عرض رأيه .

حيث يقول : (إسم المعجزة يعم كل خارق للعاده فى اللغة، وعرف الائمة المتقدمون كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات . لكن كثير من المتأخرين يفرق فى اللفظ بينهما ،فيجعل المعجزة للنبى والكرامة للولي ، وجماعها الأمر الخارق .) [3] .

فآيات الأنبياء سماها الله دليلا وبرهانا [4] . كما قال تعالى : (فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإيه إنهم كانوا قوما فاسقين .) [5] .

---

(١) فتح البارى جزء ٦ ،ص ٣١٣ .

(٢) التعريفات للعلامه على بن محمد الشريف الجرجانى ص ٢٣٤ .

(٣) الفتاوى جزء ١١ ص ٣١١ - ٣١٢ . (٤) النبوات ص ١٩٢ لابن تيميه والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ،ص ٦٧ .

(٥) القصص آيه ٣٢ .

وما يظهره الله على يدي النبى صلى الله عليه وسلم قد يكون قبل البعثه أو بعدها أو بعد وفاة الرسول عليه السلام. فالمتكلمون يفرقون بين هذه الأنواع.

فما قبل البعثه لايعدونه معجزة وذلك مثل كلام عيسى فى المهد وانشقاق إيوان كسرى وتسليم الحجر على الرسول عليه السلام وانما يعدونه من الإرهاصات وذلك لأنهم يشترطون فى المعجزة التحدى أى أن النبي يتحدى بمعجزته وماسبق لم يتحد به عيسى ولا محمد عليهما السلام.

وأما بعد البعثه فهو معجزة مادام على سبيل التحدي .

وأما بعد وفاة النبى عليه السلام فيكون معجزة إذا كان قد أخبر به النبى أنه سيقع ثم وقع عند ما جاء وقته.

وأما مايقع على أتباعه فهو كرامة لهم كما يقع على يد الأولياء . (١)

أما إبن تيميه فانه يعد ذلك كله معجزة ما كان قبل بعثه النبى وماكان بعدها وماكان بعد وفاته.

ومايقع على يد الولى فهو كرامة للولى ومعجزة للرسول الذي اتبعه ذلك الولى لأن إبن تيميه لايشترط التحدي فى المعجزة.

يقول إبن تيميه : (فمن آيات الأنبياء ماكان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم ومايكون بعد موتهم فإن الآية دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله وهذا الدليل لايختص لا بمكان ولا بزمان ولايكون هذا الدليل إلا من جنس لايقدر عليه الإنس كلهم ولا الجن فلابد أن يكون جنسه معجزا أعجز الإنس والجن .) (٢)

ويقول : (أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لايخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فانهم يقولون : نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا فهؤلاء إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ماهو من جنس ماجرى للأنبياء كما صارت النار بردا

---

(١) كتاب المواقف ، جزء ٣ ص ١٧٧ - ١٧٩ ، تأليف عضد الدين الإيجى شرح السيد الشريف.

(٢) كتاب النبوات ص ١٩٦ .

أو سلاما على أبي مسلم كما صارت على إبراهيم . . . فهذه الأمور هي مؤكدة لآيات الأنبياء وهي أيضا من معجزاتهم .) (١) .

ومن خصائص المعجزة أنها خارقه للعاده ولا يمكن معارضتها وأن تكون أمراً غير معتاد لغير الأنبياء .

معجزات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

لقد أيد الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالمعجزات دليلا على صدقه وهذه المعجزات قسمان :

عقلي : وهو القرآن الكريم .

حسي : وهي كثير .

والآن سنبين إعجاز القرآن الكريم .

ان الله سبحانه وتعالى أرسل محمدا عليه السلام رسولا وهو خاتم الأنبياء والرسل لذلك اقتضت رحمة الله بعباده وحكمته أن يجعل معجزة الرسول عليه السلام باقيه أبد الدهر ليدركها كل من رزقه الله البصيره والفهم في كل عصر من العصور وهذه المعجزه هي القرآن الكريم ،فلو كانت معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام حسيه فقط لانتهت بانتهاء عصرها كما انتهت معجزات الرسل السابقين . فالرسل السابقون بعثوا للإنسانيه في طفولتها وقبل أن تبلغ النضج ، والطفل دائما يميل الى المحسوسات لأنه ليس له طاقة على المعقولات ،ولكن الرسول محمداً عليه السلام بعث للإنسانية وقد بلغت درجة النضج فناسبتها المعجزة العقلية وهي القرآن الكريم بالاضافة إلى المعجزات الحسيه الكثيره .

يقول إبن تيميه : (القرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجه فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال : (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ،وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامه .) (٢) .

---

(١) النبوات لابن تيميه ص ٤

(٢) فتح الباري ،جزء ٩ ،ص ٣ .

والقرآن يظهر كونه آيه وبرهانا له من وجوه جملة وتفصيلا .
أما الجملة فقد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم علما متواترا أنه هو الذى أتى بهذا القرآن ، وتواترت بذلك الأخبار أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء والملوك والفلاسفه وغيرهم .

والقرآن الكريم فيه تحدى الأمم بالمعارضة ، والمتحدى هو أن يحدوهم . (أى يدعوهم ويبعثهم إلى أن يعارضوه .)
بل هو آيه بينة معجزة من وجوه متعدده ، من جهة اللفظ ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغه فى دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التى أمر بها ومعانيه التى أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك .

ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الغيب الماضى وعن المستقبل ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ومن جهة مابين فيه منا لدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التى هى الأمثال المضروبة[1] كما قال تعالى : (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيىء جدلا .) [2]
وقال : (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا .) [3] .

وقال : (ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا ومايزيدهم إلا نفورا .) [4] .

فالبلاغيون يجدون فى القرآن إعجازا من ناحية البلاغة والمهتمون بالدراسات القانونيه بعد أن أتعبوا عقولهم يدركون اعجاز القرآن الكريم فى هذه الناحية فقضية المساواه التى عجز البشر عن تنفيذها ، وقضية إحياء الضمير وجعله حارسا لصاحبه وحائلا بينه وبين ارتكاب المعاصى وقضية عدم الفرح بالإفلات من العقوبة فى الحياة الدنيا لأن هناك حسابا فى الحياه الآخره أصعب

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسح لابن تيميه جزء ٤ ، ص ٧١ - ٧٥
(٢) الكهف آيه ٥٤
(٣) الاسراء آيه ٨٩
(٤) الاسراء آيه ٤١

وأشد من الحساب في الحياة الدنيا .

كل هذه الأمور عجزت عنها القوانين الوضعيه وجاء بها قانون السماء الموجود في القرآن الكريم معجزة الرسول عليه السلام العظيم .

إن المنصفين من أتباع الديانات الأخرى الذين قرءوا القرآن قالوا : بأن سعادة البشرية تبدأ من هنا من القرآن الكريم وماقاله رينيه جينو (عبد الواحد يحيى) وماقاله : (رجاء جارودى وموريس بوكاى وغيرهما ليس ببعيد .

فهؤلاء المنصفون رفعوا صوتهم عاليا معلنين إسلامهم ومناديين للبشريه جميعا بأنها ان أرادت السعادة عليها أن تأخذ بالقرآن الكريم . والاطباء عندما قرأوا القرآن الكريم وعرفوا ما جاء به من معلومات لم يتوصل إليها إلا في العصر الحديث تعجبوا كيف يأتي بها محمد وهو أمي لايعرف شيئا عن هذه المعلومات والتي لم تعرف الى الآن ؟ . بلا شك أنه كلام الله العليم الخبير القدير الحكيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى ليس فيه تناقض مع وجهة النظر العلمية .

ويشهد لذلك موريس بوكاى فيقول : (لايتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلميه مع وجهة النظر العلميه .) [1] .

ويقول : (لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق وبموضوعيه تامه باحثا عن درجة إتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت أعرف قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعا كثيره من الظاهرات الطبيعيه ولكن كانت معرفتي وجيزه . وبفضل الدراسة الواعيه للنص العربي استطعت أن احقق قائمة أدركت بعد الإنتهاء منها أن القرآن لايحتوى على أية مقوله قابله للنقض من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .) [2] .

---

(١) دراسة الكتب المقدسه في ضوء المعارف الحديثه ، ص ١٢ .

(٢) دراسة الكتب المقدسه لموريس بوكاى ، ص ١٢ - ١٣ .

ويقول موريس بوكاى أيضا : (كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة عشر قرنا حقائق علميه فى القرآن لم يكتشفها إلا التقدم العلمى فى القرون الحديثه ،لو لم يكن القرآن وحيا منزلا لاشك فيه ولا ارتياب فى نصوصه .) (١)

ويقول : (فالقرآن هو الوحى الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل . وقد كتب فور نزوله ، ويحفظه ويستظهره المؤمنون عند الصلاة وخاصة فى شهر رمضان ،وقد رتب فى سور بأمر من محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ،وجمعت هذه السور فور موت النبى صلى الله عليه وسلم وفى خلافة عثمان (من السنه الثانية عشرة الى السنه الرابعة والعشرين التاليه لوفاة محمد صلى الله عليه وسلم) - ذلك لتصبح النص الذى نعرفه اليوم .) (٢) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسه لموريس بوكاى ،ص ٢٧٧ .

(٢) دراسة الكتب المقدمة لموريس بوكاى ،ص ١٠

وجوه إعجاز القرآن

يظهر إعجاز القرآن فيما يلي :

١ - الإخبار بالغيب ، وهذا لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إلى معرفته فمن ذلك وعد الله بأنه سيظهر دينه على الأديان كما قال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .) (١) وتحقق ذلك .

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ماوعدهم الله من إظهار دينه حتى يشقوا بالنصر ويستيقنوا النجاح . وكذلك كان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك .

٢ - الرسول عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف شيئا من كتب الأقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم ، ثم أتى بما حدث للأنبياء من آدم الى عيسى .

٣ - بديع النظم ، عجيب التأليف متناه فى البلاغه الى حد يعلم عجز الخلق عنه . (٢) .

ومما يدل على اعجازه فى البلاغه والبيان أن العرب قبل الاسلام كانت أمة مشهورة بالفصاحه والبلاغه والبيان فجاء القرآن متحديا لهم أن يأتوا بمثله فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فما استطاعوا ، ثم تحداهم أن يأتوا بسوره واحدة فما استطاعوا ولا يزال هذا التحدي قائما حتى تقوم الساعه .

والدليل على إعجاز القرآن البياني شهادة الوليد بن المغيره الذى كان من ألد أعداء الاسلام .

---

(١) التوبة آيه ٣٣

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد احمد صقر ، ص ٣٣ - ٣٥ .

قال إبن عباس رضى الله عنهما : (جاء الوليد بن المغيره الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمدا التعرض لما قاله . قال : قد علمت قريش أني من أكثرهم مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له ، قال : وماذا أقول فو الله مافيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول ، حلاوة وان عليه لطلاوه وأنه مثمر أعلاه مغدق أسفله وأنه ليعلو ولا يعلى عليه وأنه ليحطم ماتحته قال : لايرضى عنك قومك حتى نقول فيه قال : فدعني حتى أفكر فلما فكر قال هذا سحر يوءثر .) (١) .

٤ - الاعجاز النفسى :

ان القرآن له تأثير على النفوس والقلوب والجلود .

قال تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد .) (٢) .

ودليل ذلك حينما استمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى القرآن فرق قلبه وتأثرت نفسه فأسلم وأعز الله الاسلام به بعد أن كان ألد أعداء الاسلام .

قال تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله .) (٣) .

يقول الخطابى : (وقد قلت فى اعجاز القرآن وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس ، فانك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ، ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له الى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعه والمهابه فى حال آخر مايخلص منه اليه .) (٤)

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن ، للسيوطى ، ص ١١٧

(٢) الزمر آيه ٢٣ .

(٣) الحشر آيه ٢١

(٤) الاتقان ، ص ١٢١ .

٥ - الإعجاز العلمى فى القرآن :

لقد أورد القرآن آيات لم يعرف حقيقتها قبل ألف وأربعمائة عـــــام وفى العصر الحديث اكتشفت هذه الحقائق التى هى دليل علـــــى أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم الذى كـــان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف أي شيء من هذه العلوم.

وهذه بعض من الآيات التى ذكرها القرآن الكريم والتى اكتشف العلم الحديث ما جاءت به.

قال تعالى : (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجـــاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا .) (١) . إن عدم اختـــلاط المـــاء العذب بالماء المالح ظاهره معروفه منذ القدم ولكن لم يكتشف قانونهـــا إلا منذ بضع سنوات . فقد أكدت المشاهدات والتجارب أن هناك قانونـــا ضابطا للأشياء السائله يسمى (قانون المط السطحى) وهو يفصل بيـــن السائلين لأن تجاذب الجزئيات يختلف من سائل لآخر ، ولذا يحتفظ كل سائل باستقلاله فى مجاله ، وقد استفاد العلم الحديث كثيرا من هذا القانـون الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله : (بينهما برزخ لا يبغيان .) (٢) .
من أخبر محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ انه الله عز وجل .

قال تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها .) (٣) .
فهذه الأعمده التي لا يراها الانسان تتمثل فى قانون (الجاذبيه) وهـــى التى تساعد كل الأجرام على البقاء فى امكنتها المحدده .
والجاذبيه هى قدرة خفيه قدرها الله في الأشياء .

قال تعالى : (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقـــــا ففتقناهما .) (٤) .

---

(١) الفرقان آيه ٥٣

(٢) الرحمن آيه ٢٠

(٣) الرعد آيه ٢

(٤) الأنبياء آيه ٣٠

فالكون بناء على تفسير هذه الآيات كان منضما ومتماسكا . (الرتق : منضم الأجزاء) وهذا ماتوصل اليه العلم الحديث الآن خلال البحوث والكشوفات. بأن السماء والأرض كانتا متماسكه ومنضمه بعضها الى بعض .

جاء فى القرآن الكريم، فى آيات كثيره أن الله أرسى الجبال فى الأرض حفظا على توازنها . قال تعالى : (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم.) (١).

لقد ظل العلم يجهل هذه الحقيقه قرونا كثيره حتى اكتشف قانون التوازن . (٢) قال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ،فكسونا العظام لحما ،ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .) (٣) .

هذه الآيات تذكر مراحل خلق الانسان وتطوره ،فى بطن أمه ،وتبين أن أصله من الطين ،فالعناصر التى يتكون منها جسم الانسان هى عناصر التربه الأرضيه اذ الطين من ماء وتراب وهذا مابرهنت عليه التحاليل العلميه، وصرح به العلماء المختصون .

يقول موريس بوكاى : تطور الجنين فى الرحم كما يصفه القرآن يستجيب تماما لما نعرف اليوم عن بعض مراحل تطور الجنين ،ولا يحتوى هذا الوصف على أى مقولة يستطيع العلم الحديث أن ينقدها .

ويقول إن توافق المقولات القرآنيه مع المعلومات الحديثه يتضح ،ولكن من المهم مقابلتها بالمعتقدات العامه فى هذا الموضوع والتى كانت سائده فى عصر تنزيل القرآن حتى ندرك إلى أى حد كان معاصرو هذه الفتره بعيدين عن حيازة معلومات تشبه تلك التي يعرضها القرآن فى هذه المسائل وليس أدنى شك فى أن هؤلاء المعاصرين لم يعرفوا فى ذلك العصر تفسير هذا الوحى مثلما ندركه نحن اليوم، ذلك أن معطيات المعرفه

---

(١) لقمان آيه ١٠ .

(٢) كتاب الاسلام يتحدى ،تأليف وحيد الدين خان

(٣) المؤمنون آيه ١٢ - ١٤ .

الحديثه تعيننا على تفسيره. الواقع أن المتخصصين لم يكتسبوا معرفه واضحه إلى حد ما عن هذه المسائل إلا خلال القرن التاسع عشر.

فطيلة كل القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية التى لا تتمتع بأى أساس هى قاعدةً مختلف المعتقدات فى هذا الموضوع ،بل لقد سادت أيضا لقرون عديده حتى بعد العصور الوسطى.

ويقول : عرف الناس القرآن بما يربو على ألف عام من قبل هذا العصر الذى كانت المعتقدات الوهميه تسود مان مقولات القرآن عن التناسل البشرى تعبر فى الفاظ بسيطه عن حقائق أُولى انفقت مئات من السنوات لمعرفتها. (١)
قال تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وماأنتم له بخازنين .) (٢)

قال إبن كثير فى تفسير هذه الآيه : (لواقح أى تلقح السحاب فتدر ماءً وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها .) (٣)

وقد أثبت العلم الحديث أن الرياح تقوم بتلقيح السحاب، وقد سبق القرآن العلم الحديث فى ذلك .

هذه بعض من الآيات الكثيره التى لا يتسع المقام لاستقصائها ، وهى معجزات متعدده ممتده حتى تقوم الساعه تثبت بالدليل العلمى القاطع صدق الرسول محمد عليه السلام فى كل ما أخبر به عن الله عز وجل كما تثبت بالدليل العلمى القاطع قصور الانسان وعجزه عن الإتيان بمثل هذا القرآن الذى هو كلام الله المنزل على أشرف الخلق والأنام محمد عليه السلام لذا نستطيع أن نقول بإجمال : أنه ماحرصت مجموعة على دراسة القرآن واستمعت اليه باهتمام إلا خرجت منه بعقيده انه معجز وأنه لايمكن أن يكون من قول البشر يستوى فى ذلك : علماء الفلك والطب والقانون وأى فرع من العلوم، وقد أقر بذلك المسلمون وغير المسلمين وكثير من العلماء دخلوا فى الإسلام بعد أن ادركوا إعجاز القرآن الكريم.

---

(١) دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ٢٣٢ - ٢٣٤ .
(٢) الحجر آيه ٢٢
(٣) تفسير ابن كثير جزء ٢ ،ص ٥٤٩ .

يقول إبن حجر : (وقد جمع بعضهم اعجاز القرآن فى أربعة أشياء :

١ - حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغه.

٢ - صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغه من العرب نظما ونشراً حتى جارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الاتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه.

٣ - ما اشتمل عليه من الاخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفه والشرائع الدائره مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .

٤ - الإخبار مما سيأتى من الكوائن التي وقع بعضها فى العصر النبوى وبعضها بعده.

ومن غير هذه الأربعه آيات وردت بتعجيز قوم فى قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه كتمني الموت لليهود . ومنها الروعه التي تحصل لسامعه ، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعه لا يمسجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة. ومنها أنه آيه باقيه لا تعدم مابقيت الدنيا . ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضى عجائبها ولا تنتهى فوائدها .) (١)

وكل ماذكر من إعجاز القرآن فهو حجه ودليل على اعجازه وليس هناك تناقض بين أنواع الإعجاز.

يقول إبن تيميه : (وكل ما ذكره الناس من الوجوه فى إعجاز القرآن ، هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له .) (٢)

---

(١) فتح البارى ، جزء ٩ ، ص ٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جزء ٤ ، ص ٧٥

المعجزات الحسيه

لقد تكلمنا عن معجزات القرآن والتى كانت دلائل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهي معجزات معنويه وعقليه وقد أيد الله محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزات ماديه حسيه مثل - إنشقاق القمر - حنين الجزع - تفجير الماء بين أصابعه.

انشقاق القمر :

قال إبن عباس: اجتمعت المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم الوليد بن المغيره وأبو جهل فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ان كنت صادقا فشق القمر لنا فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فعلت ذلك تؤمنوا؟ قالوا: نعم، وكانت ليلة بدر فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم الله عز وجل أن يعطيه ما سألوا، فأمسى القمر قد مثل نصفا على أبى قبيس، ونصفا على قعيقعان ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى يا أبا سلمه ابن عبد الأسد والأرقم بن الأرقم اشهدوا. (١)

حنين الجزع :

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع، فلما بنى المنبرحن الجزع فاحتضنه النبى صلى الله عليه وسلم فسكن، قال جابر: وأنا شاهد حين حن، ثم قال عليه السلام: لو لم احتضنه لحن الى يوم القيامه.) (٢)

تفجير الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ حضرت الصلاة وليس معنا إلا شيئ يسير، فدعا رسول

---

(١) كتاب دلائل النبوه لأبى نعيم الأصبهانى ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٢) كتاب دلائل النبوه لأبى نعيم الأصبهانى ص ٣٤١.

الله صلى الله عليه وسلم بماء نصبه في صفحة فجعل كفه فيه فجعل المـــاء يتفجر من بين أصابعه ثم نادى : ألا هلم إلى الوضوء والبركه من اللـــه فأقبل الناس فتوضئوا ، وجعلت أبادرهم إلى الماء أدخله بطني لقول رسـول الله صلى الله عليه وسلم والبركه من الله . (1)

الى غير ذلك من المعجزات الماديه مثل مصارعة ركانه - تكثير الطعام . ردعين قتاده ، وكثير وكثير من المعجزات والدلائل على صدقه ونبوته فصلـــى الله عليه وعلى آله وسلم .

الفرق بين آيات الأنبياء وبين السحر والكهانه .

١ - النبي : صادق في مايخبر به عن الكتب .
والسحره والكهان . كاذبون .

٢ - الأنبياء يأمرون بالعدل وطلب المغفره وعبادة الله وحده .
والسحرة والكهان : يأمرون بالشرك والظلم والفساد .

٣ - السحر والكهانه أمور معتاده معروفه لأصحابها ليست خارقه لعادتهم .
وآيات الأنبياء لاتكون الا لهم ولمن اتبعهم .

٤ - السحر والكهانه : يحصل عليه الإنسان بالسعي والاكتساب أما النبـوة فلا تنال بالاكتساب .

٥ - النبوة تقترن بالصدق والعمل الصالح
أما السحر والكهانه فهو كذب على الله .

٦ - ما يأتي به الكهان والسحره لايخرج عن كونه مقدورا للجن والإنـــس وهم مأمورون بطاعة الرسل .
أما آيات الأنبياء فهي خارقة لعادة كل من أرسل اليه .

٧ - ما جاء به السحره والكهان يمكن معارضته بمثله .
أما آيات الأنبياء فلا يمكن معارضتها بمثلها .

---

(١) دلائل النبوه للأصبهاني ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

٨ - ماجاء به السحره ليست خارقه لعادات ابن آدم .
أما آيات الأنبياء فليست معتاده لغير الصادقين .

٩ - آيات الأنبياء لايقدر عليها مخلوق لا الملائكه ولا غيرهم أما ماجـــاء به السحره والكهان فتقدر عليه الشياطين .

١٠- الملائكه لاتكذب على الله .
أما الشياطين فتكذب .

١١- النبي قد تقدمه أنبياء قبله فهو يعتبر بهم
والسحره والكهان له نظراء يعتبر بهم .

١٢- الأنبياء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .
أما السحره والكهان فهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف . (١)

الفرق بين الكرامه والسحر :

الكرامه : هى مايجريها الله من خوارق العادات على يدى أتباع الرسل وهم الأولياء الصالحون ، وهى كرامة لهم ، ومعجزة للرسول الذى اتبعه الولى .

السحر : هو مايكون من خوارق العادات على يدي المشعوذيـــن والسحره مستعنين بالجن فى ذلك .

---

(١) كتاب النبوات ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الفصل الخامس

اليوم الآخر

الفصل الخامس

اليـــوم الآخـــر

ومعناه الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل فى كتابه ، وأخبر به رسولـــه عليه الصلاة والسلام ، مما يكون بعد الموت من فتنه القبر وعذابه ونعيمـــه والبعث والحشر ، والصحف والحساب ، والميزان ، والحوض والصراط والشفاعه والجنه والنار ولقد اهتم القرآن الكريم وأكد وقوعه ولاتكاد تخلو سوره مـــن سور القرآن الكريم من ذكره ، وقد ربط الإيمان به بالإيمان بالله عز وجـــل كما قال عز وجل (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكـــن البر من آمن بالله واليوم الآخر .) (١)

وقال : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمـــن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهـــم ولا هم يحزنون .) (٢) . وقال : (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن باللـــه واليوم الآخر .) (٣) . وقال : (اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولاتعثوا فـى الأرض مفسدين) (٤) . وقال : (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليـــوم الآخر .) (٥) إلى غير ذلك من الآيات التى وردت فى القرآن الكريـــم وتتحدث عن اليوم الآخر .

أسماء اليوم الآخر كما وردت فى القرآن الكريم :

لقد سمى الله هذا اليوم بأسماء كثيره وكل اسم منها يدل على مايحـــدث فى ذلك اليوم من أحوال . وهى :

---

(١) البقره آيه ١٧٧

(٢) البقره آيه ٦٢

(٣) البقره آيه ٢٣٢

(٤) العنكبوت آيه ٣٦

(٥) التوبه آيه ٢٩

البعث ـ الساعه ـ الآخره ـ القيامه ـ يوم الدين ـ يوم الحساب ـ يوم الجزاء ـ يوم التلاق ـ يوم التغابن ـ يوم الخروج ـ يوم الخلود ـ يوم الحسره ـ يوم التناد ـ الآزفه ـ الواقعه ـ الحاقه ـ الغاشية ـ الصاخه ـ الطامه . الى غير ذلك من الأسماء التي وردت في القرآن الكريم . والحكمه من تكرار ذكر هذا اليوم حتى يقوى الوازع النفسي عند الانسان الذي يرغب في الخير فيقبل عليه ، ويكره الشر فيبتعد عنه ومن حكمته أن الناس في غفلة عنه بسبب انشغالهم بالدنيا ومافيها من ملذات وحبهم لهذه المتع والنعيم فيأتي القرآن ويذكرهم بهذا اليوم الرهيب فيقول : (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخره فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل .) (١)
ومن الحكمة أن الكفار قديما وحديثا تعجبوا من وقوع ذلك اليوم وأنكروه كما قال تعالى : (ق والقرآن المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب أءذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) (٢)

تعريف البعث إصطلاحا :

البعث : مصدر جاء من بعثه بعثا ، بمعنى أحياه ، ويوم البعث : هو يوم القيامه . (٣)

البعث ضربان :

١ ـ بشري كبعث البعير وبعث الإنسان في حاجة .
٢ ـ النهي وذلك ضربان .

الأول : إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع عن ليس : وذلك يختص به الباري تعالى ولا يقدر عليه أحد .

الثاني : إحياء الموتى وقد خص الله به بعض أوليائه كعيسى عليه السلام فقوله : (فهذا يوم البعث ، يعني يوم الحشر) . (٤) .

---

(١) التوبه آيه ٣٨
(٢) ق آيه ١ ـ ٣
(٣) معجم الفاظ القرآن الكريم ص ١٠٩ مجمع اللغه العربيه
(٤) المفردات في غريب القرآن ص٢ ٥-٣ ٥ تأليف ابوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني .

تعريف البعث لغه :

البعث : هو الإحياء من الله تعالى للموتى ، ومنه قوله تعالى : (ثم بعثناكم من بعد موتكم) أى أحييناكم . وبعث الموتى : نشرهم ليوم البعث وبعث الله الخلق يبعثهم بعثا : نشرهم . (١) .

عقيدة البعث قبل الاسلام

إن جميع الأديان السماويه دعت إلى الايمان بالبعث على لسان الرسل كعقيدة تدفع إلى الخير وتتصل بالإيمان بالله .
قال نوح عليه السلام : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا) (٢) . وقال إبراهيم عليه السلام : (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) . (٣) وقال موسى عليه السلام : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى .) (٤) .

وقال عيسى عليه السلام : (والسلام عليّ يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا)(٥)
وقال محمد صلى الله عليه وسلم : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون .) (٦) .
ولكن العرب فى الجزيرة العربيه لم يعرفوا عقيدة البعث قبل الإسلام ، لذلك قابلوها بالإنكار الشديد ، وكانت مثاراً للعجب والدهشة ، ومدعاة للجدل مثل عقيدة التوحيد التى أنكرها المشركون إنكارا عظيما .

إن العرب كانت أمة وثنيه ، وإن كان فيها قلة على دين إبراهيم وهم الحنفاء ، أما البقيه الباقيه فهم صنفان .

---

(١) لسان العرب ص ١١٧ جـ٢ ،

(٢) نوح آيه ١٧ - ١٨ .

(٣) الشعراء آيه ٨٢

(٤) طه آيه ٥٥

(٥) مريم آيه ٣٣

(٦) البقره آيه ٢٨١ .

الصنف الأول :

المعطله : وهم الذين أنكروا الخالق والبعث والإعاده .

الصنف الثاني :

محصلة نوع وتحصيل : وهم الذين أنكروا البعث والإعاده .

فالصنف الاول : أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحي ، والدهر المفني ، وهم الذين اخبر عنهم القرآن الكريم في قوله تعالى : (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، ومايهلكنا إلا الدهر ، ومالهم بذلك من علم إن هم الا يظنون .) (١)

فهوءلاء ليس لهم دليل على الإنكار بل كل الأدله تثبت الخالق والبعث والإعاده وليس لهم دليل غير الظن والتخمين .

الصنف الثاني :

أنكروا البعث والإعاده وأقروا بالخالق وهم الذين أخبر الله عنهم في قوله : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم .) (٢) .

وقد عبروا عن ذلك في أشعارهم فقال بعضهم :

حياة ثم موت ثم نشر ... حديث خرافة يا أم عمرو

ولبعضهم في مرثية أهل بدر من المشركين :

فماذا بالقليب ، قليب بدر ... من الشيزى تكلل بالسنام

يخبرنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام . (٣)

وقد رد الله عليهم و بين كذبهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . قل : كونوا حجارة أو حديدا . أو خلقا مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون : من يعيدنا قل : الذي فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رءووسهم ، ويقولون متى هو ؟

---

(١) الجاثيه آيه ٢٤ (٢) يس آيه ٧٨

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ، جـ ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

قل : عسى أن يكون قريبا . يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا .) (١) .

ان هذه الشبهات التي أثارها المنكرون في كل زمان تعود الى جهلهم بقدرة الله عز وجل فالله عز وجل خلقهم من العدم وهو قادر على إعادتهم ثانية حيث أن الإعادة أهون من البدء .

قال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه . قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مره ، وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم .) (٢)

يقول شارح العقيده الطحاويه في شرح هذه الآيات الكريمة :

(فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة ، أو بمثلها بألفاظ تشبه هذه الألفاظ في الإيجاز وصحة الأدلة وصحة البرهان لما قدر ، فانه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد اقتضى جوابا ، فكان في قوله تعالى : (ونسي خلقه) ماوفى الجواب وأقام الحجه ، وأزال الشبهه . ولما أراد سبحانه تأكيد الحجه وزيادة تقريرها ، قال : (قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة .) فاحتج بالإبداء على الإعاده ، وبالنشأه الأولى على الأخرى ، إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز ، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق ، وعلمه بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته فكذلك الثاني . فاذا كان تام العلم ، كامل القدره ، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ثم أكد الأمر بحجة قاهره ، وبرهان ظاهر ، يتضمن جوابا على سؤال ملحد آخر يقول : العظام اذا صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسه والحياه لابد أن تكون مادتها وحاملها طبيعه حاره رطبه .

---

(١) الاسراء آيه ٤٩ - ٥٢

(٢) ياسين آيه ٧٨ - ٨١ .

فقال سبحانه : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذى هو فى غاية الحراره واليبوسه من الشجر الأخضر الممتلىء بالرطوبه والبروده ، فالذي يخرج من الشيىء ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها ، ولا تستعصى عليه ، هو الذى يفعل ما أنكره الملحد ودفعه . ثم أكد هذا بأخذ الدلاله من الشيىء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر ، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر ، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقيه أشد إقتدارا ، فقال سبحانه : (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) فالذي أبدع السموات والأرض ، على جلالتها ، وعظم شأنهما ، وكبر أجسامهما وسعتهما ، وعجيب خلقهما ، أقدر على أن يحيى عظاما قد صارت رميما فيردها الى حالتها الاولى .) (١) .

قال تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ماتشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شيىء قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .) (٢)

إن هذه الآيات فيها دليل على أن الله أنشأ الخلق وبدأهم من تراب ليس فيه أى مظهر من مظاهر الحياة ، وفيها دليل على قدرة الله فى خلق الإنسان ونقله من طور إلى طور . ودلالة ذلك على البعث لأن القادر على الإنشاء قادر على الإعاده وهى أهون كما قال تعالى : (وهو الذى يبدوء الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .) (٣)

---

(١) شرح العقيده الطحاويه ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٢) الحج آيه ٥ - ٧ .

(٣) الروم آيه ٢٧ .

ولقد استدل القرآن على امكان البعث بعدة طرق يذكرها إبن تيميه فيقول : (وهذه طريقة القرآن فى بيان امكان المعاد ،فقد بين ذلك بهذه الطريقة فتارة يخبر عمن أماتهم ثم أحياهم ،كما أخبر عن قوم موسى الذين قالوا : أرنا الله جهرة قال : (فأخذتكم الصاعقه وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم) [1] . وعن (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم) [2] . وعن : (الذي مر على قرية فأماته الله مائة عام ثم بعثه) وعن ابراهيم اذ قال : (ربِّ أرنى كيف تحيى الموت.) القصه. وكما أخبر عن المسيح أنه كان يحيى الموتى بإذن الله وعن أصحاب الكهف : أنهم بعثوا بعد ثلاثمائة سنه وتسع سنين .

وتارة يستدل على ذلك بالنشأة الأولى ،فان الإعادة أهون من الإبتداء كما فى قوله : (قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة) [3] . (قل الذى فطركم أول مرة) [4] . وتارة يستدل على ذلك بخلق السموات والأرض فان خلقهما أعظم من إعادة الإنسان كما فى قوله : (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى) [5] .

وتارة يستدل على إمكانه بخلق النبات كما فى قوله : (وهو الذي يرسل الرياح بشرا ،إلى قوله : (كذلك نخرج الموتى .) [6] .

إن القرآن يدعم عقيدة البعث بالوسائل العديده المختلفة لأنه من الحكمه والعدل الإلهى أن تكون حياة أخرى للجزاء والثواب ،فيثاب المحسن ويعاقب المسيء .

---

(١) البقره آيه ٥٥ - ٥٦

(٢) البقره آيه ٢٤٣

(٣) يس آيه ٧٩

(٤) الاسراء آيه ٥١

(٥) الاحقاف آيه ٣٣

(٦) الفتاوى ابن تيميه ،جزء ٩ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

قال تعالى : (وخلق السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .) (١)

وقال : (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءاً محياهم ومماتهم ساء مايحكمون .) (٢) .

ولن يكون الايمان باليوم الآخر إلا بالإيمان بانتهاء هذه الحياه ، ونهايتها هو يوم القيامه .

ولا يكون الإنسان موءمنا باليوم الآخر إلا إذا آمن بما يأتي :

أولا : فتنة القبر وسوءال الملكين :

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما سيكون بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وأنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ماكنت تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما الموءمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ، قال قتاده وذكر لنا أنه يفسح فى قبره ثم رجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق الكافر فيقال له ماكنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقوله الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربه فيصيح صيحه يسمعها من يليه غير الثقلين .) (٣) .

---

(١) الجاثيه آيه ٢٢

(٢) الجاثيه آيه ٢١

(٣) رواه البخارى ص ١٠٢ ، جـ٢ ، دار الفكر ـ بيروت .

ثانيا : عـذاب القبر ونعيمـه :

يجب أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه لإخباره صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولوجود أدلة من القرآن الكريم ومن السنه الشريفة عليه .

الأدلة من القرآن :

(١) قال تعالى : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة ، ادخلوا آل فرعون أشد العذاب .) (١)

(٢) وقال : (إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم ، أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون .) (٢) .

وقال : (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون . يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون . وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون .) (٣)

الأدلـه من السنـه :

(١) عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (اذا مات الرجل عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنه فالجنه وإن كان من أهل النار فالنار قال : ثم يقال هذا مقعدك الذى تبعث اليه يوم القيامه .) (٤) .

(٢) عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر .) (٥) .

---

(١) غافر آيه ٤٥ - ٤٦

(٢) الانعام آيه ٩٣

(٣) الطـور آيه ٤٥ - ٤٧

(٤) رواه مسلم ص ٢٠٢ ، جـ ١٧

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، جـ ١٧ .

(٣) عن البراء عن أبي أيوب قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم بعد ماغربت الشمس فسمع صوتا فقال : (يهود تعذب فى قبورها .) (١) وكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ من عذاب القبر ويأمر الصحابه بالتعوذ منه .

(٤) عن البراء بن عازب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال نزلت فى عذاب القبر فيقال له من ربك فيقول ربى الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخره .) (٢) .

هل عذاب القبر للروح أم للروح والجسد معا ؟ .

ان عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنه والجماعه ، تنعم النفس ، وتعذب مفردة عن البدن أو متصلة به .

(واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، قبر أو لم يقبر ، أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا ونسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب مايصل الى المقبور . وماورد من إجلاسه واختلاف اضلاعه ونحو ذلك ، فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير وأن لا يحمل كلامه مالا يتحمله ولا يقصر به عن مراده وماقصده من الهدى والبيان .) (٣) .

يقول ابن تيميه رحمة الله : (إن مذهب سلف الامه وأئمتها أن الميت اذ امات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمه أو معذبه ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، فيحصل له معها النعيم والعذاب .) (٤)

---

(١) ، (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، جـ١٧

(٣) شرح العقيده الطحاوية ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

(٤) الفتاوى جـ٤ ، ص ٢٨٤ .

ثالثا : الحشــــر :

الحشر في لغة العرب معناه الجمع ، والمراد بالحشر جمع الخلائـــق كلهم إلى الموقف بعد بعثهم وإخراجهم من باطن الأرض .
قال تعالى : (ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغـــادر منهم أحدا .) (١)

يقول الرازي في تفسيره : (قوله وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا والمعنـــى جمعناهم للحساب فلم نغادر منهم أحدا أي لم نترك من الأولين والآخرين أحدا الا وجمعناهم لذلك اليوم ونظيره قوله تعالى : (قل إن الأوليـــن والآخرين . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم .) (٢) . ومعنى لم نغادر لـــم نترك .) (٣) .

وشبه الرسول عليه الصلاة والسلام أرض المحشر برغيف الخبز المصنوع مـــن الدقيق النقي . قال عليه الصلاة والسلام : (يحشر الناس يوم القيامه علـــى أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد .) (٤) .

ويبعث الله الناس حفاة عراة غرلا . ليفصل ويقضي ويحكم فيما بينهم وهو أحكـم الحاكمين وأعدل العادلين .

قال عليه الصلاة والسلام : (تحشرون حفاة عراة غرلا .) قالت عائشــــة رضى الله عنها : يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعـــض ؟ فقاله عليه الصلاة والسلام : الأمر أشد من أن يهمهم ذاك .) (٥) .
ويحشر الله الكافرين على وجوههم عميا وصما مصداقا لقوله : (ونحشرهم يـــوم القيامه على وجوههم عمياً وبكما وصما ـ مأواهم جهنم كلما خبت زدناهـــم سعيرا . ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقا جديدا .) (٦)
وقيل للرسول عليه الصلاة والسلام : كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامه ؟ قال : (أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيـــه على وجهه يوم القيامه) . قال قتاده بلى وعزة ربنا . (٧)

---

(١) الكهف آيه ٤٧ . (٢) الواقعة آيه ٤٩-٥٠ (٣) تفسير الرازى جـ٥ ص ٤٩٢
(٤) رواه مسلم جـ١٧ ، ص ١٣٤ (٥) فتح البارى بشرح البخارى جـ١١ ص ٣٧٨
(٦) الاسراء آيه ٩٧ - ٩٨ (٧) فتح البارى شرح البخارى جـ١١ ، ص ٣٧٧

ويحشر الله المجرمين الكافرين يوم القيامه زرقا مكبلين على وجوههم عميا وبكماً وصماً .

قال تعالى : (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامه على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) . (١)

وقال : (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا .) (٢)

وفي الموقف يصيب الخلائق فزع وكرب شديد ، فقد روى المقداد بن الأسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تدني الشمس يوم القيامه من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال : (سليم بن عامر فوالله ما أدري مايعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين قال : فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما قال : وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه .) (٣)

وفي أثناء ذلك يكون بعض من الناس في ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله ، فعن أبي هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل معلق قلبه بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ماتنفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .) . (٤)

---

(١) الاسراء آيه ٩٧

(٢) طه آيه ١٠٢

(٣) صحيح مسلم جـ ١٧ ص ١٩٦

(٤) صحيح مسلم جـ ٧ ، ١٢٠ - ١٢٣

رابعا : العرض والحساب :

يجب أن نوءمن بأن كل إنسان سوف يعرض على الله عز وجل وتقام عليه الحجه ويطلع على أعماله ويحاسب عليها .
قال تعالى : (وعرضوا على ربك صفا ،لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مره) (١)
وقال : (فيومئذ وقعت الواقعه ،وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ،ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه ،يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه .) (٢) .

ومن العرض إظهار الأعمال على أصحابها فمن أوتى كتابه بيمينه تجاوز الله عن ذنوبه ، ولم يناقشه على كل صغيرة وكبيره ، وأدخله الجنه ولم يدخله النار ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ،فسوف يناقشه الله على كل صغيره ويحاسبه على أعماله السيئه ويدخله جهنم وساءت مصيرا . كما قالت السيده عائشة رضى الله عنها أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : (ليس أحد يحاسب يوم القيامه إلا هلك ،فقلت يارسول الله : أليس قد قال الله : فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامه إلا عذب .)(٣)
والمراد بالمناقشة الإستقصاء فى المحاسبه ، والمطالبه بالجليل والحقير وترك المسامحه . (٤)

ويجب أن نوءمن بأخذ العباد صحائف أعمالهم وقراءتها وأنهم مسئولون عن أعمالهم التى قدموها فى الدنيا ،كما قال تعالى : (وكل انسان ألزمناه طائرة فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه منشورا أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .) (٥)

---

(١) الكهف آيه ٤٨

(٢) الحاقه آيه ١٥ - ١٨

(٣) فتح البارى ، جـ ١١ باب الرقاق ص ٤٠٠

(٤) فتح البارى جـ ١١ باب الرقاق ص ٤٠١ .

(٥) الاسراء آيه ١٣ - ١٤ .

وقال : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ،فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ،فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا ،إنه كان في أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور. بلى إن ربه كان به بصيرا .) (١)

والكتب التي يقرؤها العباد يوم القيامه هي أعمالهم التي سجلتها عليهم الملائكة بأمر من الله عز وجل . قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين ، كراما كاتبين ،يعلمون ماتفعلون .) (٢)

وقال : (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ،إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون .)(٣)
والله عز وجل هو الذي سيتولى الحساب بنفسه فكل انسان سوف يعرض على الله عز وجل ليحاسبه على أعماله فليس هناك وسيط ولا فداء كما قال عليه الصلاة والسلام : (مامنكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامه ليس بين الله وبينه ترجمان ،ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ،ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمره .) (٤)

وقال : (يجاء بالكافر يوم القيامه فيقال له : أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم : فيقال له : قد كنت سئلت ماهو أيسر من ذلك .) (٥)

أنواع الحساب :

إن المتتبع لما جاء في القرآن الكريم والسنه النبويه عن اليوم الآخر يجد أن الحساب ينقسم بالنسبة إلى الناس الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول :

وهم الذين يحاسبون حسابا يسيرا فلايناقشهم الله على أعمالهم الصغيره والكبيره وإنما تعرض عليهم أعمالهم ثم يتجاوز الله عن سيئاتهم

(١) الإنشقاق آيه ٦ - ١٥
(٢) الانفطار آيه ١٠-١٢
(٣) الجاثيه آيه ٢٩
(٤) ، (٥) فتح الباري جـ ١١ ،ص ٤٠٠ ،باب الرقاق .

ويغفرها لهم كما قال تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب إلى أهله مسرورا .) (١) .

القسم الثاني :

وهم الذين يحاسبون حسابا عسيرا حيث يناقشهم الله على كل صغيره وكبيره ثم يعذبون ويهلكون ، كما قاله عليه السلام : (من نوقش الحساب عذب .) (٢)
وقال تعالى : (فإذا نقر في الناقور . فذلك يومئذ يوم عسير على الكافر من غير يسير .) (٣) .
أما المؤمنون فانهم يخافون من سوء الحساب لتقصير أعمالهم مع الله .
قال تعالى : (ويخافون سوء الحساب .) (٤) .

القسم الثالث :

وهم الذين يدخلون الجنه بغير حساب كما قال عليه الصلاة والسلام : (عرضت على الأمم ،فأخذ النبي يمر معه الأمه ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشره ، والنبي يمر معه الخمسه ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت ياجبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ،ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير . قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت: ولم ؟ قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون .) (٥) .

وأما عن كيفية الحساب فيجب الإيمان بما ورد في القرآن والسنه بلا زيادة ولا نقصان ،فالله سبحانه وتعالى سيذكر كل إنسان بما قدمه من خير وشر وتشهد عليه الأرض بما عمل عليها ،قال تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها ،

---

(١) الانشقاق آيه ٧ - ٨

(٢) فتح الباري جـ١١ ص ٤٠٠

(٣) المدثر آيه ٨ - ١٠

(٤) فتح الباري جـ١١ ص ٤٠٠

(٥) فتح الباري جـ١١ ص ٤٠٦

وأخرجت الأرض أثقالها وقال الإنسان مالها ؟ يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .) (١)

وتشهد على الإنسان أعضاؤه ، قال تعالى : (ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون . وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم . ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون .) (٢)
وقال : (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون .) (٣) .

وبعد إتمام الحساب توزن الأعمال لأن الوزن للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبه لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديره ليكون الجزاء بحسبها . (٤)

فمن كانت حسناته أكثر في الميزان فجزاؤه الجنه ومن كانت سيئاته أكثر فجزاؤه جهنم وساءت مصيرا .

خامسا : الميزان :

يجب أن نؤمن بالميزان لقوله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامه فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين .) (٥) وفيه إظهار لعدل الله .

---

(١) الزلزله آيه ١ - ٨

(٢) فصلت آيه ١٩ - ٢٢

(٣) يس آيه ٦٥

(٤) شرح العقيده الطحاويه ص ٤٧٢ .

(٥) الانبياء آيه ٤٧

وقال : (والوزن يومئذ الحق ،فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحـــــون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون .)(١)
وقال : (فأما من ثقلت موازينه . فهو في عيشة راضيه . وأما من خفـــت موازينه . فأمه هاويه .) (٢)

وهو ميزان حقيقي له كفتان توزن به الأعمال والأقوال .

قال عليه الصلاة والسلام : (كلمتان خفيفتان على اللسان ،ثقيلتان فـــى الميزان . حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله العظيم ،سبحان الله وبحمده .)(٣)
ويحسب نتيجة الوزن تكون السعادة أو يكون الشقاء . قال تعالى : (فمــن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسـروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون . ألـم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون .) (٤) وبعد الميزان المرور علـــى الصراط .

سادسا : الصــراط :

وهو جسر منصوب على متن جهنم ،وهو الجسر الذى بين الجنه والنـــار يمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ،ومنهم من يمـــر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ،ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمـر كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ،ومنهم من يمشي مشيا ،ومنهم مـــن يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى فى جهنم فإن الجسر عليـــه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنه) (٥) .

---

(١) الأعراف آيه ٨ - ٩

(٢) القارعه آيه ٦ - ٩

(٣) فتح البارى جـ١١ ص ٢٠٦

(٤) المؤمنون آيه ١٠٢ - ١٠٥

(٥) الفتاوى جـ ٣ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

فالناس يمرون على الصراط ويكون سهلا عليهم بالنسبة إلى أعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخله ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إبهامه يتقد مره ويطفأ مره .) (١)

عن أبي هريره رضى الله عنه قال : قال أناس: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامه ؟ فقال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فانكم ترونه يوم القيامه كذلك يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه . فيتبع من كان يعبد الشمس . ويتبع من كان يعبد القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت ، وتبقى هذه الأمه فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فى غير الصوره التي يعرفون فيقول أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا آتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فى الصوره التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها الا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم . منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ثم ينجو .) (٢)

والصراط أحد من السيف وأدق من الشعر وهو ممر خطير يشهد لخطورته قول الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك الأنبياء : (رب سلم سلم) ويكون المرور على الصراط بعد انصراف الناس من الموقف وحسابهم ووزن أعمالهم .

ويمر على الصراط جميع الناس الأنبياء ، والمؤمنون والكافرون كما قال تعالى (وإن منكم إلا واردها .) (٣)

ثم ينجى الله المؤمنين من السقوط فى جهنم كما قال تعالى : (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين جثيا) (٤) ويتساقط الكفار فى جهنم أعاذنا الله منها .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ، ص ٣٠٨

(٢) فتح البارى ج ١١ ، ص ٤٤٥

(٣) ، (٤) مريم آيه ٧١ - ٧٢

سابعا : الحـــوض :

ويجب أن نوءمن بما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم عن الحوض حيث قال : (اصبروا حتى تلقونى على الحوض .) (١) وقال : (أنا فرطكـــم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دونى ، فأقول : يـــارب أصحابى ، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك .) (٢) . فالرسول عليـــه الصلاة والسلام أول من يرد الحوض ثم يرد بعده المسلمون ، ويمنـــع عنه الكفار والعصاه الذين لم يتبعوا الرسول عليه السلام . قال عليه الســلام : (إني فرطكم على الحوض: من مر على شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبـــدا ليردن على اقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بينى وبينهم .) (٣)

ومسيرة هذا الحوض شهر وماءوه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شـــرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ، أما ريحه فانها أطيب من المسك ، وعدد آنيتــه كنجوم السماء . قال عليه الصلاة والسلام : (حوضى مسيرة شهر ، مـــاءوه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منهـــا فلا يظمأ أبدا .) (٤)

والأحاديث التى وردت فى ذكر الحوض صحيحه وكثيره يجب الإيمان بهـــا كما قال القاضى عياض رحمه الله : (مما يجب على كل مكلف أن يعلمـــه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليـــه وسلم بالحوض المصرح باسمه ووصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحـــه الشهيره التى يحصل بمجموعها العلم القطعي .) (٥)

هل الحوض قبل الصراط أم بعده ؟

إيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعه وبعد نصـــب الصراط إشارة منه الى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) فتح البارى جـ١١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤

(٥) فتح البارى جـ ١١ ، ص ٤٦٧

وقال أبو عبد الله القرطبي في التذكره : أن الحوض يكون قبل الصراط ، فان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال : ألا ترون ؟؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها .) (١) . فالله عز وجل أعلم يكون الحوض قبل أم الصراط ولا يؤثر ذلك على العقيده والايمان طالما لم يخبرنا بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام .

فالواجب الايمان بالحوض أما كونه قبل الصراط أو بعده فليس من الواجب معرفته .

وأول من يفتح باب الجنه : محمد صلى الله عليه وسلم ، وأول من يدخل الجنه من الأمم أمته .

ثامنا : الشفاعه :

وله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة ثلاث شفاعات .

الشفاعه الأولى :

فيشفع في أهل الموقف ، حتى يقضي الله بينهم بعد أن تتراجع كل الأنبياء من لدن نوح إلى عيسى عن الشفاعه حتى تنتهي الى الرسول عليه الصلاة والسلام .

الشفاعة الثانية :

وهي أن يشفع الرسول عليه الصلاة والسلام في أهل الجنه أن يدخلوها وهاتان الشفاعتان خاصتان به عليه السلام .

الشفاعة الثالثه :

فيشفع عليه الصلاة والسلام ، فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، وهذه الشفاعه للرسول عليه الصلاة والسلام ولسائر النبيين ، ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعه بل بفضله ورحمته ويبقى في الجنه فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها اقواما

---

(١) فتح الباري جـ١١ ص ٤٦٦ .

فيدخلهم الجنه . (١)

ثم يخرج الله من النار من كان في قلبه من الإيمان مايزن شعيره ، ثم مايزن بره ثم مايزن ذره ويدخلهم إلى الجنه .

قال عليه الصلاة والسلام : (يجمع الله المؤمنين يوم القيامه كذلك فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يخرجنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما ترى الناس ؟ خلقك الله وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا الى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول : لست هناك ويذكرهم خطيئته التي أصاب - ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض . فيأتون نوحا فيقول : (لست هناك - ويذكر خطيئته التي أصاب ، ولكن أئتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتون إبراهيم فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطاياه التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراه وكلمه تكليما . فيأتون موسى فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصابها - ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه . فيأتون عيسى فيقول لست هناك ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، فيأتوني ، فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه ، فاذا رأيت ربي وقعت له ساجدا ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال لى : ارفع محمد ، قل يسمع ، وسل تعطه واشفع فتشفع ، فأحمد ربى بمحامد علمنيها ، ثم اشفع ، فيحد لي حدا ، فأدخلهم الجنه ، ثم أرجع فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا ، فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه : واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم اشفع فيحد لى حدا فأدخلهم الجنه ، ثم أرجع فاذا رأيت ربى وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء الله ان يدعنى ، ثم يقال ارفع محمد قل يستمع ، وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ، ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنه ، ثم أرجع فاذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ثم يقال ارفع محمد قل يستمع ، وسل تعطه واشفع تشفع ، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنه ثم أرجع فأقول يارب

---

(١) الفتاوى جـ ٣ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

النعيم الذى أعده الله لأهل الجنه ثوابا لأعمالهم وإيمانهم .

قال تعالى : (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضه وسقاهم ربهم شرابا طهورا . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا .) (١)

وقال : (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . الذين آمنوا بآيتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنه التى أورثتموها بما كنتم تعملون .) (٢) .

وقال : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياءكم فى الحيوة الدنيا وفي الآخره ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون . نزلا من غفور رحيم .) (٣) .

قال تعالى : (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات .) (٤) .

وقال : (إنا اعطينك الكوثر .) (٥) .

وقال : (وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعه . وفرش مرفوعه .) (٦) .

ملابس أهل الجنه من الحرير وحليهم من الذهب واللؤلؤ ويجلسون على الأرائك والسرر المذهبه متقابلين والثمار قريبه منهم مذلله بين أيديهم

---

(١) الانسان آيه ٢٠ - ٢٢

(٢) الزخرف آيه ٦٨ - ٧٢

(٣) فصلت آيه ٣٠ - ٣٢

(٤) محمد آيه ١٥

(٥) الكوثر آيه ١

(٦) الواقعه آيه ٣٠ - ٣٤ .

ويهديهم الله الى القول الطيب .

قال تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنت تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير . وهدوا الى الطيب من القول . وهدوا الى صراط الحميد).(١)

وقال : (والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنت النعيم . ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونه . متكئين عليها متقبلين .) (٢)

وقال : (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظللها وذللت قطوفها تذليلا .) (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام : (إن في الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها .) (٤) .

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت . قال صلى الله عليه وسلم (أول طعام يأكله أهل الجنه زيادة كبد الحوت .) (٥) .

ان آخر من يدخل الجنه له عشره أضعاف الدنيا . عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال عليه الصلاة والسلام : (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا ، رجل يخرج من النار حبوا ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنه ، فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول إذهب فأدخل الجنة فيخيل الله أنها ملأى فيقول : اذهب فأدخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو لك مثل عشرة أمثال الدنيا - فيقول : تسخر منى ، وتضحك منى وأنت الملك ، فلقد رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجده . وكان يقال : ذلك أدنى أهل النار منزله .) (٦)

---

(١) الحج آيه ٢٣ - ٢٤

(٢) الواقعه آيه ١٠ - ١٦

(٣) الانسان آيه ١٢ - ١٤

(٤) فتح البارى جـ١١ ، ص ٤١٥

(٥) فتح البارى جـ١١ ص ٥

(٦) فتح البارى ، جـ١١ ، ص ٤١٩

رضوان الله الذى يحله على أهل الجنه :

قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنـــة : يا أهل الجنه . فيقولون لبيك ربنا وسعديك . فيقول : هل رضيتـــم؟ فيقولون : ومالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك . فيقـــول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا : يارب وأي شيء أفضل من ذلـــك فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا .) (١) .

جهنـــم :

إن الله عز وجل يكافىء المؤمنين بالجنه ويجازى الكفاروالعصاه بجهنـم جزاءاً لكفرهم وضلالهم فى الدنيا .

دخول أهل النار أفواجا متتابعه :

قال تعالى : وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا .) (٢)

وقود جهنم الناس والحجاره والملائكه التى عليها غلاظ شداد :
قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجاره عليها ملائكة غلاظ شداد ،لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون .) (٣) .
وهذه جهنم لاتشبع أبدا فكلما ألقيَ إليها أرادت المزيد :
قال تعالى : (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد .) (٤)
وإذا رأت جهنم الكافرين و العصاه تزفر وتغيظ :

قال تعالى : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا .) (٥)
طعام أهل النار الزقوم وهى شجرة تنبت في أصل جهنم طلعها كأنـــه رؤوس الشياطين :
قال تعالى : (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنه للظالميـــن ،

(١) فتح البارى جـ١١ ،ص ٤١٥ .
(٢) الزمر آيه ٧١
(٣) التحريم آيه ٦
(٤) ق آيه ٣٠
(٥) الفرقان آيه ١٢

إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم. طلعها كأنه رءوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم.) (١)

شراب أهل النار الحميم :

قال تعالى : (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها . وإن يستغيثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا .) (٢)

وثيابهم من نار:

قال تعالى : هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم. يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق .) (٣)

وجهنم تحيط بهم من جميع الجوانب فهى لهم فراش وغطاء :

قال تعالى : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنه حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين .) (٤) . (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون .) (٥) .

وهم لا يموتون فى جهنم فيستريحون من عذابها ولا يحيون فيها حياة هنيئة فهي عذاب دائم كلما نضجت جلودهم يبدلهم الله جلودا غيرها .

قال تعالى : (ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى .) (٦) .

---

(١) الصافات آيه ٦٢ - ٦٧

(٢) الكهف آيه ٢٩

(٣) الحج آيه ١٩ - ٢٢

(٤) الاعراف آيه ٤٠ - ٤١

(٥) الزمر آيه ١٦

(٦) الأعلى آيه ١١ - ١٣

وقال : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما .) (١)

ومن شدة العذاب يتمنى المجرم أن يفدي نفسه بكل حبيب وعزيز لكي ينجي من العذاب الشديد :

قال تعالى : (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه . ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه كلا إنها لظى) (٢)

أهون أهل النار عذابا :

قال عليه السلام : (إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامه رجل توضع على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم .) (٣) .

خلود الكفار في جهنم :

قال عليه الصلاة والسلام : (إذا صار أهل الجنه إلى الجنه ، وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنه والنار ، ثم يذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنه لا موت ، يا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنه فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم .) (٤) .

أما المؤمن فلا يخلد في النار وإنما الله عز وجل يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذره من إيمان .

---

(١) النساء آيه ٥٦

(٢) المعارج آيه ١١ - ١٥

(٣) فتح الباري جـ١١ ص ٤١٧

(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٤١٥

الفصل السادس

القضاء والقدر كما ورد في القرآن

الفصل السادس

القضاء والقدر كما ورد في القـــرآن

لم يذكر لفظ القضاء فى القرآن الكريم وإنما ذكر مشتقاته في آيـــــات كثيرة منها :

القضاء فى صورة فعل بمعنى أمر كما فى قوله تعالى : (وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه .) (١)

القضاء فى صورة فعل بمعنى خلق كما في قوله تعالى : (فقضاهن سبـــع سموات فى يومين .) (٢) .

القضاء فى صورة فعل بمعنى أحكم كما فى قوله تعالى : (فاقضِ ماأنت قاض) (٣)

القضاء فى صورة فعل بمعنى الفراغ كما فى قوله تعالى : (قضي الأمـــــر الذى فيه تستفتيـــان) (٤)

القضاء فى صورة فعل بمعنى أراد كما فى قوله تعالى : (إذا قضى أمـــــرا فإنما يقول له كن فيكون) (٥)

القضاء فى صورة فعل بمعنى عهد كما فى قوله تعالى : (وماكنت بجانـــــب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر .) (٦)

القضاء فى اللغـــة :

بمعنى الحكم ،وأصله قضاى لأنه من قضيت ،إلا أن الياء لما جـــاءت بعد الألف همزت.

---

(١) الاسراء آيه ٢٣

(٢) فصلت آيه ١٢

(٣) طـه آيه ٧٢

(٤) يوسف آيه ٤١

(٥) آل عمران آيه ٤٧

(٦) القصص آيه ٤٤

قال ابن السيرافي : قضاهما فرغ من عملهما . والقضاء : الحتم والأمر وقضى أي حكم ، ومنه القضاء والقدر . وقوله تعالى : (وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه .) أي أمر ربك وحتم ، وهو أمر قاطع وقد يكون بمعنى الفراغ ، تقول : قضيت حاجتي . وقضى عليه عهدا أوصاه وأنقذه ومعناه الوصيه ، وقد يفسر قوله عز وجل : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب .) أى عهدنا ، وهو بمعنى الأداء والإنهاء . تقول قضيت ديني . (١)

وقال الزجاج : (القضاء في اللغه على ضروب كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه .) (٢)

القدر كما ورد فى القرآن الكريم :

فقد ورد مصدرا ، وفعلا .

قال تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) (٣) وقال : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٤) .

وقال : (فقدرنا فنعم القادرون .) (٥) وقال : (وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءا للسائلين .) (٦) .

ومعنى القدر : التقدير ، ووضع الشيء فى موضعه المناسب له .

عن عكرمه . عن الضحاك ، قال فى قوله تعالى : (وقدر فيها أقواتها) أي أرزاق أهلها ، ومايصلح لمعاشهم ، من التجارات ، والأشجار والمنافع ، لكل بلدة ، مالم يجعله فى الأخرى .) (٧)

---

(١) لسان العرب لا بن منظور ، جـ ١٥ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ دار صادر بيروت .

(٢) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى جزء ٢ ص ١١٠ .

(٣) القدر آيه ١

(٤) القمر آيه ٤٩ .

(٥) المرسلات آيه ٢٣

(٦) فصلت آيه ١٠

(٧) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٥٧٨٦ - ٥٧٨٧ .

ولفظ القدر مشتق من القدره ، ومنه اشتقت صفات الله عز وجل ، القـــادر والقدير والمقتدر .

والقضاء من الله تعالى أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير . فالقـــدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع . (١)

القدر فى اللغــــه :

جاء فى لسان العرب مايلى :

القدير والقادر . من صفات الله عز وجل يكونان من القدره ويكونـــــان من التقدير . وقوله تعالى : (إن الله على كل شيىء قدير .) (٢) من القدره ، فالله عز وجل على كل شيى قدير ، والله سبحانه مقدر كل شيـــىء وقاضيه .

التهذيب ، الليث : القدر القضاء الموفق . يقال : قدر الاله كـــــذا تقديرا .

ابن سيده : القدر والقدر القضاء والحكم وهو مايقدره الله عز وجل مـــن القضاء ويحكم به الأمور .

قال تعالى : (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) أى الحكم .

قال ابو منصور : وتقدير الله الخلق تيسيره كلا منهم لما علم أنهم صائـــرون إليه من السعاده والشقاء ، وذلك أنه علم منهم قبل خلقه إياهم ، فكتب علمــــه الأزلي السابق فيهم . وقدره تقديرا . (٣)

القضاء والقدر عند الباحثين في العقيده :

يقول الجرجانى (القضاء لغة الحكم ، وفى الإصطلاح عباره عن الحكـــم الكلى الالهى فـى أعيان الموجودات على ماهى عليه من الأحوال الجاريـــه فى الأزل إلى الأبد ، وفى اصطلاح الفقهاء القضاء مثل الواجب بالسبب) (٤)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن، الراغب الاصفهانى ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) البقره آيه ٢٠

(٣) لسان العرب جـ ٥ ، ص ٧٤ - ٨٤

(٤) التعريفات للجرجانى ، ص ١٨٥ .

ويقول : (القدر : خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحدا بعد واحد مطابق للقضاء ، والقضاء فى الأزل .) (١)

ويقول شارح العقيده الطحاويه : (أصل القدر سر الله فى خلقه وهو كونه أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وأهدى . قال على كرم الله وجهه ورضى الله عنه : القدر سر الله فلا نكشفه .) (٢)

ويقول ابن تيميه : (الإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجه الاولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال .

ثم كتب الله فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق : فأول ماخلق الله القلم قال له اكتب . قال : ما أكتب ؟ قال اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامه ، فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير .) (٣) . وقال : (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا في أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير .) (٤) .

الدرجة الثانيه : فهي مشيئة الله النافذه ، وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مافى السموات والأرض من حركة وسكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون فى ملكه إلا مايريد ، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيئ قدير من الموجودات والمعدومات .

فما من مخلوق فى الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه .

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ١٨١ .

(٢) شرح العقيده الطحاويه ص ٢٧٧ .

(٣) الحج آيه ٧٠

(٤) الحديد آيه ٢٢

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته .
وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .
والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر ، والمصلي والصائم ، وللعباد قدره على أعمالهم ولهم إراده ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم .) [1] كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين . [2] والذي يتبين من كلام ابن تيميه أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي :-

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها .

المرتبة الثانيه : كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

المرتبه الثالثه : مشيئة الله النافذه وقدرته الشامله .

المرتبه الرابعه : إيجاد الله لكل المخلوقات وأنه الخالق وكل ماسواه مخلوق .

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر :

إن من أركان الايمان أن نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى والدليل على ذلك ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .) [3]

---

(١) الفتاوى لابن تيمه جـ٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) التكوير آيه ٢٨ - ٢٩ .

(٣) رواه مسلم جزء ١ ، ص ١٥٧ .

فالإيمان بالقدر : هو التصديق الجازم بأن كل خير وشر يكون بقضاء الله وقدره وأنه الفعال لمايريد فكل شيئ بإرادته وتقديره ولايخرج عن مشيئته وتدبيره ، وقد كتب ذلك فى اللوح المحفوظ، وهو خالق العباد وخالق أفعالهم جميعها من طاعة ومعصيه وأنه جعل لعباده إرادة واختيارا فهم ليسوا مجبورين على أفعالهم وإنما تقع منهم حسب إرادتهم وقدرتهم، والله يهدى من يشاء منهم برحمته ويضل من يشاء بحكمته لايُسأل عما يفعل وهم يسألون .

وهذا الإيمان هو الذى آمن به الصحابه والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين .

مراتب القضاء والقدر :

وهى أربع مراتب يجب الإيمان بها جميعا .

المرتبه الأولى : علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها .

المرتبه الثانيه : كتابته لها قبل كونها .

المرتبه الثالثه : مشيئته لها .

المرتبه الرابعة : خلقه لها .

المرتبه الأولى : وهى العلم الأزلي لله عز وجل فقد اتفق جميع الرسل والصحابه ومن تبعهم من الأمه ، وخالفهم فى ذلك مجوس الأمه ، وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها ، كما قال تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم مالا تعلمون .) (١) قال مجاهد : علم من إبليس المعصيه وخلقه لها . وقال قتاده : كان فى علمه أنه سيكون من تلك الخليقه أنبياء ورسل وقوم صالحون ، وساكنو الجنه .

---

(١) البقره آيه ٣٠

وقال ابن مسعود : أعلم مالاتعلمون من إبليس . وقال مجاهد : علم من إبليس أنه لايسجد لآدم .

قال تعالى : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفسي ماذا تكسب غدا ، وماتدري نفس بأي أرض تموت .) (١) .
فالله عز وجل علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الأزلى ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال . (٢)

المرتبه الثانيه : وهى مرتبة الكتابة .

قال تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون .) (٣)

فالزبور هنا معناه جميع الكتب التى أنزلها الله من السماء لاتختص بزبور داود . والذكر هو أم الكتاب الذى عند الله ، والأرض الدنيا وعباده الصالحون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم (٤)

وقال عليه الصلاة والسلام : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه وعرشه على الماء . (٥)

المرتبة الثالثة : مشيئة الله عز وجل :

وهى الإيمان بمشيئة الله النافذه ، وقدرته الشامله ، وبأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وقد دل على ذلك جميع الرسل وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التى فطر الله الناس عليها وهذا عموم التوحيد الذى لايقوم إلا به ، فالمسلمون جميعهم مؤمنون بمشيئة الله وقدرته النافذه الشامله لكل الوجود .

---

(١) لقمان آيه ٣٤

(٢) شفاء العليل ، تأليف ابن القيم الجوزيه ، ص ٨٧
(٣) الانبياء آيه ١٠٩
(٤) شفاء العليل ص ٨٨

(٥) رواه مسلم ، جزء ١٦ ص ٢٠٣

قال الطحاوي : (وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ ، لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله ، فما شاء لهم كان ومالم يشأ لم يكن ، لاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا غالب لأمره .) (١)

قال تعالى : (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) (٢) . وقال : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا .) (٣) وقال : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحده .) (٤) . وقال (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم .) (٥) . وقال : (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٦)

وقال : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء) (٧) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيره التي لاحصر لها وكلها تثبت المشيئة لله عز وجل وتثبت القدره النافذه له جل وعلا .

المرتبة الرابعه : خلق الله كل المخلوقات وإيجاده لهم ولا خالق غيره ،

وهذا الأمر متفق عليه بين جميع الرسل واتفقت عليه جميع الكتب السماويه وآمن به المؤمنون جميعا ، وخالفهم في ذلك مجوس الأمه الذين أخرجوا طاعات الملائكه والأنبياء والرسل والمؤمنين عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته وجعلوهم الفاعلين الحقيقين لأفعالهم والخالقين لها خارجين عن مشيئة الله وقدرته ، وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الإختياريه .

---

(١) شرح العقيده الطحاويه ص ١٥٣

(٢) الفتح آيه ١٤

(٣) يونس آيه ٩٩

(٤) هود آيه ١١٨

(٥) الاسراء آيه ٥٤

(٦) الرعد آيه ٣٩

(٧) الشورى آيه ٢٧

وهذا ينافى ماجاء به التوحيد والكتب المنزله من عند الله وأقوال الرسل عليهم الصلاة والسلام التي أثبتت لله عز وجل المشيئة الشامله والإراده النافذه والقدره العظيمه . (١)

أما أهل السنه والجماعه فإنهم يقولون :

إن الله خالق كل شيىء وربه ومليكه ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه على كل شيىء قدير ، وأنه هو الذى خلق العبد هلوعا إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا وغير ذلك ، وأن العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة كما قال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .) (٢) وقال : (كلا إنه تذكره . فمن شاء ذكره . ومايذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة .) (٣) ، (٤) .

يقول شارح الطحاويه : إن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله تعالى ، ومفعول لله تعالى ليس هو نفس فعل الله ففرق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق . وإلى هذا أشار الشيخ الطحاوى رحمه الله بقوله : وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد أثبت للعباد فعلا وكسبا وأضاف الخلق لله تعالى .

والكسب : هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر) (٥) . قال تعالى (لها ماكسبت وعليها مااكتسبت .) (٦) .

---

(١) شفاء العليل ، ص ١٠٩

(٢) التكوير آيه ٢٨ - ٢٩

(٣) المدثر آيه ٥٤ - ٥٦

(٤) الفتاوى ص ١١٨ ، جـ ٨

(٥) شرح العقيده الطحاويه ص ٥٠٢

(٦) البقره آيه ٢٨٦ .

الإحتجاج بالقدر :

كثير من الناس في كل عصر من العصور يحتجون بالقدر حيث يقولون : إن الله خلق الانسان وخلق أفعاله فلم يحاسبه عليها ؟ وإذا كتب الله الشقاء على الإنسان فلم يحاسبه ؟ . ويعتقدون أنه يوجد تعارض بين قوله : (وإنك لتهدي الى صراط مستقيم .) (١) وبين قوله : (إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .) (٢) .

والجواب على هؤلاء :

١ - أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق وهو الفعال لكل شيء فلايسأله أحد عن فعله مصداقا لقوله : (لايسأل عما يفعل وهم يسألون .) (٣)

٢ - أنه متصف بالعدل فلا يظلم أحدا مثقال ذرة . مصداقا لقوله : (إن الله لايظلم مثقال ذرة .) (٤)

فالله عز وجل خلق الإنسان وجعل له إرادةً واختياراً ومشيئةً ثم جعل له عقلاً يميز بين الخير والشر وأرسل له الرسل لهدايته ، وأنزل عليه الكتب لقراءتها . والعمل بمقتضاها ولم يكلفه إلا بما يطيقه كما قال تعالى : (لايكلف الله نفسا إلا وسعها .) (٥) ولم يحاسبه إلا على أعماله التي بإرادته ، واختياره وهو عاقل بالغ مستيقظ فلا يحاسب الصغير ولا المجنون ولا النائم .

فالله يجازي بعدله من اهتدى بعقله واختياره جنات النعيم ويجازى بعدله من ضل بعقله واختياره جهنم وبئس المصير ، كما قال تعالى :

---

(١) الشورى آيه ٥٢

(٢) القصص آيه ٥٦

(٣) الانبياء آيه ٢٣

(٤) النساء آيه ٤٠

(٥) البقره آيه ٢٨٦ .

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا ، أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا .) (١) .

معاني الهداية كما وردت في القرآن الكريم :

١ - المعنى الأول : بمعنى الدلاله ، كما في قوله تعالى : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بماكانوا يكسبون .) (٢) . فمعنى الهدايه هنا الدلالة على الطريق الموصل للخير .

المعنى الثاني : بمعنى الإعانة والحمل على الخير ، كما قال تعالى :
(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم .) (٣) .
فمعنى زادهم هدى أي أعانهم وحملهم على فعل الخير .
ومن فهمنا لمعنى الهدايه في هاتين الأيتين نفهم معنى قوله تعالى :-
وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم .) (٤) (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .) (٥) .

فالهداية في الأولى معناها الدلاله وفي الثانيه بمعنى الحمل على فعل الخير .

---

(١) الكهف آيه ٢٩ - ٣٠

(٢) فصلت آيه ١٧

(٣) محمد آيه ١٧

(٤) الشورى آيه ٥٢

(٥) القصص آيه ٥٦

مراتب الهداية فى القرآن الكريـــــم :

المرتبة الأولى : الهداية العامة :

وهى هدايه كل نفس إلى مصالح معاشها ومايقيمها .
قال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قـــدر فهدى .) (١)

فالله عز وجل ذكر أربعة أمور عامه : الخلق ، والتسويه ، والتقدير ، والهدايــه وجعل التسويه من تمام الخلق ، والهدايه من تمام التقدير .

المرتبه الثانية : هداية الإرشاد والبيان للمكلفين .

وهذه لاتستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وإن كانت شرطا فيــه ، كما قال تعالى : (فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى .) (٢)
وقال : (وماكان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون .) (٣)
فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على تـــرك الإهتداء بعد أن عرفهم الهدى فأعرضوا عنه فأعماهم عنه بعد ما أراهموه .

المرتبة الثالثه : هداية التوفيق والإلهام ، وخلق المشيئة . المستلزمـــــة للفعل .

وهذه المرتبه أخص من التي قبلها ، وهى التى أنكرها القدريـــــه
وهذه المرتبه تستلزم أمرين :
أحدهما فعل الرب وهو الهدى .

والثاني : فعل العبد وهو الإهتداء ، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهـادي والعبد المهتدي ، قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد .) (٤) . وقـال :

---

(١) الأعلى آيه ١ - ٣
(٢) فصلت آيه ١٧
(٣) التوبه آيه ١١٥
(٤) الكهف آيه ١٧ .

(ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا .) (١) أى من وفقه الله وألهمه الهداية فلا يمكن لأي انسان أن يضله ومن أضله الله فلا يمكن لأحد أن يهديه إلى السبيل .

المرتبة الرابعه : الهدايه إلى الجنه أو النار يوم القيامه .

قال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون . من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم .) (٢)
وقال : (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم .) (٣) . فقيل المعنى سيهديهم إلى طريق الجنة . (٤)

والجواب على القائلين بأن الله إذا كتب عليهم الشقاء فلماذا يعذبهم من وجهين :

الوجه الأول :

من أعلمهم أن الله كتب عليهم الشقاء هل اطلعوا على ماكتبه الله عليهم في اللوح المحفوظ ؟ .

لقد رد الله على جماعة من المشركين حين قالوا : (لوشاء الله ما أشركنا ولا آباءونا ولا حرمنا من شيئ) (٥) .
فرد الله عليهم كذبهم بقوله : (قل هل عندكم من شيئ فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم الا تخرصون .) (٦) .
فكان رد الله عليهم من أين علمتم أن الله سبحانه شاء لكم الشر وكتب عليكم الكفر؟ هل أطلعتم على الغيب أم تقولون على الله مالا تعلمون .

---

(١) الكهف آيه ١٧
(٢) الصافات آيه ٢٢ - ٢٣
(٣) محمد آيه ٤ - ٥
(٤) شفاء العليل ص ١٤٢ - ١٨٢ .
(٥) الأنعام آيه ١٤٨ .
(٦) الأنعام آيه ١٤٨ .

الوجـه الثانـي :

أن الله سبحانه وتعالى متصف بالعلم وعلمه شامل للماضي والحاضر والمستقبل وهو محيط بكل شيء .
فالله يعلم بأنه سوف يخلق هذا الإنسان ويخلقه مختاراً في بعض الأعمال وغير مختار في بعضها .

فالأعمال التي ليس له فيها اختيار لا يحاسب عليها ولا يعاقب . أما الأعمال الاختيارية فإنه يحاسب ويعاقب عليها فالله عز وجل كتب عليه ماسيفعله باختياره وإرادته وعقله لأن علم الله له صفة انكشاف وليست له صفة الجبر والإكراه .

فالله عز وجل يعذب العبد الذي اختار طريق الشقاء باختياره وإرادته بعد أن وهبه الله العقل والتمييز وأرسل اليه الرسل لهدايته وإرشاده وبيان طريق الخير من طريق الشر . كما قال تعالى : (وهديناه النجدين .)(١)
وقال : (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا .) (٢)
وقال : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .) (٣) .
وقال : (فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى .
وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هي المأوى .) (٤)

الإيمان بالقدر لاينافي الأخذ بالأسباب ؟

يجب أن تأخذ بالأسباب ثم نتوكل على الله الذى بيده ملكوت كل شيء لأن الأسباب لاتعطي النتائج إلا بأمر الله فالله هو الذى خلق الأسباب والمسببات فمن أراد الذريه الصالحه فعليه أن يأخذ بالسبب وهو

---

(١) البلد آيه ١٠

(٢) الانسان آيه ٣

(٣) الكهف آيه ٢٩

(٤) النازعات آيه ٣٧ - ٤١

الزواج الشرعى والزواج قد يعطي الذريه وقد لايعطى لأن ذلك بأمر الله وإرادته كما قال : (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ، ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير .) (١)

ولذلك يحرم على أي انسان أن يترك الأخذ بالأسباب فلو ترك إنسان السعي لطلب الرزق لكان آثما مع أن الرزق بيد الله إنه الرزاق ذو القوة المتين .

لقد قال شارح الطحاوية : (وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافى الإكتساب وتعاطى الأسباب ، وأن الأمور إذا كانت مقدره فلا حاجة إلى الأسباب وهذا فاسد فإن الإكتساب . منه فرض ، ومنه مستحب ومنه مباح ، ومنه مكروه ، ومنه حرام ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين يلبس لامة الحرب ويمشى فى الأسواق للإكتساب .) (٢) .

ولهذا قال بعضهم : (الإلتفات الى الأسباب شرك فى التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير فى وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع . ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب بل لا بد من تمام الشروط وزوال الموانع ، فكل ذلك بقضاء الله وقدره .) (٣) .

فالإنسان لاينال السعاده في الآخره بالعمل بل هي سبب كما قال عليه السلام : (لن يدخل أحدا منكم عمله الجنه . قالوا ولا أنت يارسول الله قال ، ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمه .) (٤) .

وقال تعالى : (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون .) (٥) . أي بسبب أعمالكم .

وقد ضل فريقان من الناس فى ذلك فمنهم من آمن بالقدر وظن أن ذلك يكفيه فى حصول مايريده وترك الأسباب الشرعيه والأعمال الصالحة فأدى بهم الأمر إلى الكفر بكتب الله ورسله ودينه .

---

(١) الشورى ٤٩ - ٥٠

(٢) شرح العقيده الطحاوية ص ٣٠١

(٣) الفتاوى جـ ٨ ص ١٣٩

(٤) صحيح مسلم جزء ١٧ ص ١٦٠

(٥) النحل آيه ٣٢ .

أما من طلب الجزاء من الله كطلب الأجيرمن المستأجر متكلا على قوته وحوله وعمله فقد جهل وضل ، لأن الله لم يأمرهم أمرهم به وهو محتاج اليهم ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به ولكن أمر العباد بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فساد هم .

فالمؤمنون يعبد ون الله اتباعا لأمره ويستعينون به ايمانا بقدره . (١)

لان الايمان بالقدر يسكب في القلوب السكينه ويفيض على النفوس الطمأنيه ويربيها على العزه والفضيله والشجاعه فلايجبن المؤمن ولا يهان بل يتسابق إلى الشهاد ه في سبيل الله ، ويتحرر من عبادة الناس إلى عبادة الله ويقنع بما رزقه الله وينعم بالرضا والصبر على ماقدره الله عليه فيحمد الله ويشكره على ماقدره وقضاه عليه ، فلا يجزع ولا يتضجر ولا يشتكي بل يرضى بالقدر ويصبر على البلاء لأنه من الله وله فيه خير وثواب عند الله .

وفرق كبير بين المسلم الذى يؤمن بالقدر وبين الكافر الذى لا يؤمن به . فالمؤمن به شجاع قنوع صابر - شاكر - عزيز - مطمئن - راضى بما أعطاه الله عابد الله وموحد له مطمئن - راضى بما اعطاه الله والكافر - مضطرب - جبان - جزع - متسخط جشع ، طماع - ودليل ذلك الانتحارات الكبيرة في أوربا وأمريكا وكثرة الأمراض العصبيه والنفسيه .

لقد قدمت فيما سبق عناصر الدعوه الاسلاميه الأساسيه والتي تتمثل في أركان الإيمان وهى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى . (٢)

وإن كانت عناصر الايمان أوسع وأشمل فهى ليست الإيمان بالقلب فقط وإنما هي : تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان .

---

(١) الفتاوى ص ٧١ - ٧٣ ، جـ ٨

(٢) إتباعا لحديث جبريل حينما جاء للرسول صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإيمان ، فقال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى .

ثم التصديق والإقرار والعمل بأركان الاسلام الخمسه، وهى التى جاء بهـا الحديث فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (بُنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا .) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبه أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان) (٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس: (أتدرون ما الايمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم عن أربع: عن الحنتم (٣)، والدباء (٤)، والنقير (٥)، والمزفت (٦)؟ وربما قال: المقير، وقال: احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم .) (٧)

---

(١) رواه البخارى فى باب الإيمان قول: بنى الاسلام على خمس، ورواه مسلم باب بيان اركان الاسلام ودعائمه العظام.

(٢) رواه البخارى: باب الايمان باب امور الايمان بلفظ الايمان بضع وستون شعبه . ورواه مسلم فى الإيمان باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها .

(٣) الحنتم: الجره يريد الانتباذ فيها .

(٤) الدباء: القرعه . (٥) النقير: أصل النخله ينقر فيتخذ فيها أوعية .

(٦) المزفت: المقير وهو المطلى بالقار ينتبذ فيها .

(٧) اخرجه البخارى فى باب اداء الخمس من الايمان وأخرجه مسلم فى الايمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين .

والنهى عن الانتباذ فى هذه الأوعيه ليس لأعيانها، ولكن لما أن هذه أوعيه متينه قد ينشىء الشراب فيها فيصر مسكرا، ولا يعرفه صاحبه فيشربه وغير المزفت من أسقية الأدم إذا نشى فيها الشراب ينشق فيعلم به صاحبه فيتجنبه فإن علم أنه لم ينشى لقرب الزمان فلا بأس بالشرب فيها .

شرح السنة للبغوى، جزء ١، ص ٤٦ .

النشي، معناه: الخلط: وقيل صوت الماء وغيره كالخمر واللحم إذا غلى وفي حديث النبيذ إذا نشا أى إذا غلى .

تاج العروس من جواهر القاموس مادة نشا جزء ٤، ص ٣٥٦ .

ومعنى أشهد أن لا إله إلا الله : أى أصدق وأقر وأعترف بأنه لا إله إلا الله ولا رب سواه ، ولا معبود يحق إلا الله ، ولا رازق إلا الله ، وله السمع ، والطاعه ، وله الحب ، والدعاء ، والذبح والنذر ، والخوف والرجاء ، والتوكل والإستعانه والإستغاثة والإستعاذه منه وحده لا شريك له ، ولا يجوز صرف شيء من العبادات لغير الله ، ولا يكفي التصديق والإقرار بلا إله إلا الله إنما يجب العمل بما تقتضيه لا إله إلا الله .

ومعنى أشهد أن محمدا رسول الله : أى أصدق وأقر بأن محمدا رسول الله أرسله الله لهداية البشرية ثم طاعته فيما أمر ، واجتناب مانهى عنه) لقوله تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا .) (١) وقال : (من يطع الرسول فقد أطاع الله .) (٢) وطاعة الرسول هى تطبيق أوامره واجتناب نواهيه .

وأن طاعة الله والرسول سبب فى دخول الجنه . لقوله تعالى : (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار .) (٣) .

وأن معصية الله ورسوله سبب فى دخول نار جهنم . لقوله تعالى : (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ، خالدين فيها أبدا .) (٤) .

وأنه يجب تحكيم الرسول فيما يحدث من خلاف بين المسلمين فى حياته وبعد مماته تحكيم شريعته لقوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما .) (٥)

وقال : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعصى الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا .) (٦)

وقوله : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا .) (٧) .

---

(١) الحشر آيه ٧

(٢) النساء آيه ٨٠

(٣) النساء آيه ١٣

(٤) الجن آيه ٢٣

(٥) النساء آيه ٦٥

(٦) الاحزاب آيه ٣٦ (٧) النور آيه ٥١

وإقام الصلاة : معناها آداءها بخشوع وطمأنينه والقيام بأركانها وواجباتها والمداومه على آدائها فى أوقاتها ثم الإمتناع عن الفحشاء والمنكر : لقوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .) (١)

وإيتاء الزكاة : معناها أن يؤدي المسلم الزكاة المفروضة عليه عن طيب نفس إذا توفرت فيها الشروط المبينه فى كتب الفقه وهى تطهير للمال وتزكية وتزيل الأحقاد من النفوس ، كما أنها تنزع الشح من القلوب وأن يعطيها للمستحقين الثمانية الذين ذكرهم الله فى القرآن الكريم في قوله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفي سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم .) (٢)

والزكاة فريضة فرضها الله على المسلمين كما فرضها على الأنبياء السابقين وأداؤها عبادة لله عز وجل وقربة يتقرب بها المؤمن إلى الله وأي مسلم امتنع عن أداء الزكاة وأنكر فرضيتها يقاتل كما قاتل أبو بكر رضى الله عنه مانعي الزكاة ، والمجتمع الذي يؤدي الزكاه مجتمع ينتشر الحب والمودة ، والسكينه والطمأنينه بين أفراده كما تزال الأنانيه والإثم والعدوان منهم ويعيشون فى سلام وأمن .

وصوم رمضان معناه الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم لله عز وجل .

وكذلك يجب الإمتناع عن كل مايفسد الصوم من غيبة ونميمه ، وكذب وقول الزور والظلم .

وقد فرض الله الصيام [illegible] على الأمم السابقة كما فرضة على المسلمين قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .) (٣) .

---

(١) العنكبوت آيه ٤٥

(٢) التوبه آيه ٦٠

(٣) البقره آيه ١٨٣ .

الحج معناه . قصد مكه ، لأداء عبادة الطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفه فى اليوم التاسع من ذي الحجه ، وسائر المناسك امتثالا لأمر الله وابتغاءا لمرضاته .

ويشترط فيه النيه ، ويجب فى العمر مره واحده لمن استطاع إليه سبيلا . والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنه .
وهكذا مما تقدم رأينا أن عناصر الدعوه الإسلاميه هى :

اعتقاد ، واقرار ، وعمل ،
ومن أفضل الأعمال فى الإسلام الجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله لنشر الإسلام فى شتى بقاع الأرض ، ومقاتلة أعداء الله ، ويكون الجهاد بالنفس ، وبالمال ، وبالوعظ ، وبالشعر ، وبالقلم ، وقد بين الله ما أعده للمجاهدين من جزاء عظيم . قال تعالى : (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما .) (١)
وقال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم .) (٢) .
وقال : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .) (٣)
فالذى يؤمن بالله بقلبه ويشهد بلسانه ويعمل بما جاء من عند الله بجوارحه جزاؤه جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا .
قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا .) (٤)

---

(١) النساء آيه ٩٥ - ٩٦
(٢) الانفال آيه ٧٤
(٣) العنكبوت آيه ٦٩
(٤) الكهف آيه ١٠٧ - ١٠٨

الباب الثاني

المعوقون للدعوة الإسلامية وموقف الإسلام منهم

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الوَثَنِيُّونَ وَعَقَائِدُهُمْ

الفصـــــل الأول

الوثنيـــــون وعقائد هـــم

إن البشريه كلما انحطت فكريا مالت إلى المحسوس ، وهنا يكـــــون التخبط العقلى ، فيتصورون معبود هم فى صورة شمس وتارة فى صـــــورة حيوان ، وتارة فى صورة حجـــــر ، ويصـــــورون الحجارة علـــــى شكل صالحيهـــم ، أو على صورة حيوان .

وقد كانت كثرة العرب فى الجاهليه ، ومن بينها قريش وثنيه تؤمـــــن بقوى إلهيه متعد د ة منبثة فى مظاهر الطبيعة وفى الكواكب .

عبادة الأصنـــام :

انتشرت عبادة الأصنام انتشارا واسعا قبل الاسلام ، فقد كان لأهـــل كل دار فى مكه صنم يعبد ونه ، فإذا أراد أحد هم السفر تمسح به واذا قـــدم من سفره تمسح به . (١)

لذلك تعجبت قريش حينما دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام الـــى التوحيد فقالوا : (أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب .) (٢)
يقول إبن الكلبي : (واستهترت قريش فى عبادة الأصنام فمنهم من اتخـــذ بيتا ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ، نصب حجـــرا أمام الحرم ، وأمام غيره مما استحسن ، ثم طاف به كطوافه بالبيت . . . . . .
فكان الرجل ، إذا سافر فنزل منزلا ، أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنهـــا فاتخذه ربا ، وجعل ثلاث أثافي لقدره ، واذا ارتحل تركه . فاذا نزل منـــزلا آخر فعل مثل ذلك . فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون إليهـــا وهم عارفون بفضل الكعبة عليها : يحجونها ويعتمرون اليها .) (٣) .

---

(١) الأصنام ص ٣٣ ، لأبى المنذر هشام بن محمد سائب الكلبى .
(٢) ص آيه ٤
(٣) الأصنام ص ٣٣ ، لأبى المنذر هشام بن محمد سائب الكلبى .

الأسباب التي جعلت العرب يعبدون الأصنام :

كان العرب على دين إسماعيل بن إبراهيم وهو دين التوحيد . ثم بعد ذلك أشركوا مع الله آلهة أخرى لا تضر ولا تنفع. قال تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم .) (١)

١ - قال ابن هشام : (إن عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض أموره . فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح - رآهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم ، ماهذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ ، فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكه فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه) (٢)

ويقول الكلبي : (أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسيب السائبه ، ووصل الوصيله ، وبحر البحيره وحمى الحاميه عمرو بن ربيعه ، وهو لحي بن حارثه بن عمرو الأزدي . وهو أبو خزاعه ، وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبه . فلما بلغ عمرو بن لحيى ، نازعه في الولايه وقاتل جرهم بني إسماعيل . فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ، ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضا شديدا ، فقيل له إن بالبلقاء من الشام حمة ان أتيتها برأت فأتاها فاستحم بها ، فبرأ ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ماهذه ؟ فقالوا : إنا نستسقي بها المطر ، ونستنصر بها العدو . فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا . فقدم بها مكه ونصبها حول الكعبه .) (٣) .

٢ - ومما يروى من أسباب عبادة الأصنام ماقاله ابن الكلبي : (أن اسماعيل بن إبراهيم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ، ضاقت عليهم مكه ووقعت بينهم الحروب والعداوات

---

(١) يونس أيه ١٨

(٢) السيره النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ابراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ص ٧٧ القسم الاول .

(٣) الأصنام ص ٨ لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، تحقيق احمد زكريا .

وأخرج بعضهم بعضا ،فتفسحوا في البلاد لتماس المعاش .
وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لايظعن من مكه ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ،تعظيما للحرم وصبابة بمكه فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبه ،تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له .

وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون ،على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ماكان عليه ،واستبدلوا بدين إبراهيم واسماعيل غيره. فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ماكانت عليهم الأمم من قبلهم وانتجثوا ماكان يعبد قوم نوح عليه السلام.) (١) .

٣ ـ ومن الأسباب التي جعلت العرب يعبدون الأصنام ماكان بشأن إساف ونائله وهما في الأصل كما يروي ابن الكلبي أنهما رجل وأمرأة من جرهم وكان الرجل يعيشق المرأه ،ثم قدما إلى مكة للحج ،فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوه في البيت فواقعها ،فمسخا حجرين ،فوضعا عند الكعبه لكي يتعظ الناس بهما ،فلما طال مكثهما عبدهما الناس. (٢)

ولقد شابه العرب في ذلك قوم نوح ،وكانو أول من أشرك بالله وعبد الأصنام ،فأرسل الله إليهم نوحا لينهاهم عن عبادة الأصنام.
قال تعالى : (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودّا ولا سوٰعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا .) (٣) .
قال ابن عباس: كان هوءلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . (٤)
لذلك حرم الإسلام التماثيل والصور وذلك لكي لاتعبد مع مرور الزمن كما عبدها الآخرون .

---

(١) الأصنام ص ٦
(٢) الأصنام ص ٩
(٣) نوح آيه ٢٣ - ٢٤
(٤) السيرة النبوية للامام ابى الفداء اسماعيل بن كثير ،تحقيق مصطفى عبد الواحد ،الجزء الاول .

الفرق بين الصنم والوثن :

الصنم : هو ماكان على شكل إنسان ويكون مصنوعاً من الخشب أو الذهب أو الفضه .

الوثن : هو من حجارة. (١)

لقد عبد العرب أصناما وأوثانا كثيرة في أماكن متعددة مثل :

١ - ود :

وكان لبني كلب بن وبره بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاق بن قضاعه وكان منصوبا بدومة الجندل .

٢ - سواع :

وكان لبني هذيل بن إلياس بن مدركه بن مضر . وكان منصوبا بمكان يقال له رهاط .

٣ - يغوث :

وكان لبني أنعم من طيئ ولأهل جرش من مدحج . وكان منصوبا بجرش .

٤ - يعوق :

وكان منصوبا بأرض همدان من اليمن لبني خيوان بطن من همدان .

٥ - نسر :

وكان منصوبا بأرض حمير لقبيلة يقال لها ذو الكلاع.

٦ - عم أنس(عميانس)

وكان لبني خولان وفي أرضهم يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله فيما يزعمون ،فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذى

---

(١) الأنعام ص٥٣ .

قسموه له تركوه له ، وما دخل فى حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، وفيهم أنزل الله قوله تعالى : (وجعلوا لله مما ذرأمن الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذه لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون .) (١)

٧ - سعد :

وكان لبنى ملكان بن كناه بن خزيمه بن مدركه صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل منهم بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته ، فيمايزعم ، فلما رأت الإبل ، وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء ، نفرت منه فذهبت فى كل وجه ، وغضب ربها فأخذ حجرا فرمى به سعد وقال له : لا بارك الله فيك نفرت علي إبلي . ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت قال :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا … فشتتنا سعداً فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة … من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد

٨ - إساف ونائله :

ومما يقال عنهما أنهما كانا امرأة ورجلاً وقع بها فى الكعبة فمسخهما الله حجرين ووضعا على زمزم وكانوا ينحرون عندهما .

٩ - هبل :

وهو صنم على بئر فى جوف الكعبه .

١٠ - وكان فى دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي .

١١ - قلس :

صنم لطيى بين أجا وسلمى .

وقد اتخذت العرب مع الكعبة طواغيت ، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ولها سدنه وحجاب ، وتهدي لها كما تهدي للكعبة ، وتطوف بها

---

(١) الأنعام آيه ١٣٦ .

كطوافها بالكعبة وتنحر عندها . وهى مع ذلك تعرف فضل الكعبه لأنها بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ومسجده . وهذه الطواغيت هى :

١ - العزى :

وكانت نخلة وهى لقريش لبني كنانة ولها سدنة وحجاب من بني شيبانه من سليم حلفاء بني هاشم ،وقد خربها خالد بن الوليد زمن الفتح .

٢ - مناة :

وهى للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينه وكانت على ساحل البحر الأحمر من ناحية المشلل بقديد ، وقد خربها أبو سفيان وقيل علي بن أبى طالب .

٣ - قليس:

وكانت لطي ومن يليها بجبل طي .

٤ - ذو الخلصة :

وكان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة ، وكان يقال له الكعبة اليمانيه . وقد خربه جرير بن عبد الله البجلى .

٥ - رئام :

لحمير وأهل اليمن .

٦ - رضاء :

وكان بيتا لبني ربيعه بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

٧ - ذو الكعبات :

وكانت لبكر وتغلب . (١)

---

(١) السيره النبوية لابن كثير ص ٦٨ - ٧٣ .

ولقد هدمت جميع هذه البيوت حينما جاء الإسلام فأرسل الرسول عليه الصلاة والسلام السرايا فخربت الطواغيت وكسرت الأصنام وعبد الله وحده لا شريك له.

إعتقاد المشركين في الله عز وجل :

كان المشركون يؤمنون بوجود الله ، ويقرون بربوبيته ، وبأنه الخالق والرازق والمالك لكل شيء وقد أخبر الله عنهم في القرآن .
قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن الله .) (١)
وقال : (ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله .) (٢) . وقال (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون .) (٣) .
ولكنهم لم يؤمنوا بتوحيد الألوهيه ، فلم يخلصوا العباده لله عز وجل وإنما عبدوا آلهة أخرى معه حيث ذبحوا لها ونذروا لها واستقيموا بها وكانوا اذ أهلوا بالتلبية يقولون :
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هولك تملكه وماملك
يقول ابن الكلبي : (ويوحدونه بالتلبية ، ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون ملكها بيده .) (٤) يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .) (٥) أي مايوحدونني بمعرفة حقي ، إلا جعلوا معي شريكا من خلقي .

ولم يكن إعتقاد المشركين في الآلهة أنها مشاركة لله في الخلق وإنما كانوا يعتقدون أنها تشفع لهم وتتوسط عند الله وتقربهم منه .

---

(١) لقمان آيه ٢٥

(٢) الزخرف آيه ٨٧

(٣) يونس آيه ٣١

(٤) الأصنام ص ٧

(٥) يوسف آيه ١٠٦

قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله .) [1] .

وقال : (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .) [2]

وقال ابن القيم : (وعباد الأوثان كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وأنه لا خالق إلا الله ، وأنهم يعبدون آلهتهم لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى) [3] .

واعتقد المشركون في الله اعتقادات باطله حيث جعلوا له بنات وعبدوا الملائكة لاعتقادهم أنها بنات الله ، ثم جعلوا بين الله وبين الجن نسبا تعالى الله عما يقولون علوا كبير .

قال تعالى : (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملئكة إناثا وهم شاهدون . ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين .) [4] .

فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والكذب فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى . قال مجاهد : قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن ؟ قالوا سروات الجن . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما : زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . [5]

وقال تعالى : (ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء مايحكمون .) [6] يقول ابن كثير :

---

(١) يونس آيه ١٨ (٢) الزمر آيه ٣ (٣) زاد المعاد جـ٣ ص٢٢٤

(٤) الصافات آيه ١٤٩ - ١٦٠

(٥) تفسير ابن كثير جـ٤ ، ص ٢٢ - ٢٣

(٦) النحل آيه ٥٧ - ٥٩ .

(أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوها بنات الله فعبدوهم معه فأخطأوا خطأً كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاثة فنسبوا إليه تعالى أن له ولدا ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لأنفسهم فإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا كئيبا من شدة ماهو فيه من الحزن يكره أن يراه الناس من سوء مابشر به وإن أبقاها أبقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها أو يدفنها حية في التراب. أفمن يكرهونه هذه الكراهة ويأنفون لأنفسهم عنه يجعلونه لله.) (1).

ولم يكن اعتقاد العرب في الأصنام سواء ،فمنهم من ترك عبادتها واتجه إلى عبادة الله لعلمه أنها لا تنفع ولا تضر وذلك مثل زيد من عمرو بن قضيل.

فلذلك يقول: تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور.

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور.

ولا هبلا أزور وكان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير. (2)

ومن العرب من كان يتمسك بعبادة الأصنام حتى آخر حياته وحين موته لم يخف من الموت وإنما خاف أن يصرف الناس عن عبادة الأصنام.

ذلك مثل أبي أحيحه. فقد مرض مرضه الذى مات منه ،فدخل أبو لهب لكي يعوده ،فوجده يبكي ، فقال مايبكيك يا أبا أحيحه ،أمن الموت تبكي ولابد منه ؟ قال لا . ولكن أخاف أن لا تعبد العزى بعدي . قال أبو لهب والله ماعبدت حياتك لأجلك ، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك.

فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لي خليفة . وأعجبه شدة نصبه في عبادتها .) (3)

ومنهم من كانت عقيدته مزعزعة فاذا ماجاءتهم حادثة رجعوا إلى صوابهم مثل :

---

(1) تفسير بن كثير جـ٢ ،ص ٥٧٤ .

(2) الأصنام لابن الكلبي ص ٢٢ .

(3) الأصنام ص ٢٣ .

كان لمالك وملكان ابني كنانه بساحل جده وتلك الناحية صنم يقال له سعد . كما تقدم وكان صخرة طويلة . فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه ، يتبرك بذلك فيها . فلما أدناها منه نفرت منه فذهبت في كل وجه وتفرقت عليه . وأسف وتناول حجرا فرماه . وقال : (لابارك الله فيك إلها أنفرت علي إبلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها وأنشد وهو يقول :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد [1]

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لايُدعى لغي ولارشد

وكما حدث لعدي بن حاتم حينما وجد أن الفلس لاينصر فتنصر ثم بعد ذلك أسلم فالقصة كما يرويها ابن الكلبي أنه كان للفلس وهو صنم سادن يقال له صفي . فأطرد ناقة خليه لامرأه من كلب بن عليم كانت جارة لمالك بن كلثوم الشمجي ، وكان شريفا فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفلس . وخرجت جارة مالك فأخبرته بذهاب ناقتها . فركب فرسا عريا وأخذ رمحه وخرج في أثره فأدركه وهو عند الفلس ،والناقة موقوفة عند الفلس فقال له : خل سبيل ناقة جارتي فقال : إنها لربك : قال خل سبيلها . قال :أتحفز إلهك ؟ فبوأ له الرمح فحل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده : يارب إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب علكوم وكنت قبل اليوم غير مغشوم يحرضه وعدي بن حاتم يومئذ قد عتر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدي بن حاتم وقال . أنظروا مايصيبه في يومه هذا فمضت له أيام لم يصبه شيء . فرفض عدى بن حاتم عبادته وعبادة الأصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الاسلام فأسلم . (٢)

---

(١) الأصنام ص ٣٧

(٢) الأصنام ص ٥٩ - ٦١

الفصل الثاني

وسائل الوثنيين في المعارضة ومواقفهم ضد الإسلام

الفصــل الثانــى

وسائل الوثنين في المعارضة ومواقفهم ضــــد الاسـلام

إن وسائل الوثنين في المعارضة تختلف عن أرباب الديانات الأخـرى حيث لم يكن عند هم عمق علمى ولا مواريث ثقافية قديمه مثل اليهود والنصـارى واليونان لذلك كانـوا يلجئون إلى أهل الكتاب ليتعلموا منهم مايعارضون ومن هنا كانت وسائلهم في المعارضة تتفق وطبيعتهم هذه فهم قد يلجئـون الى اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم باتهامات باطله مثل : أنــــه ساحر وشاعر ، وبأن مايقوله أساطير الأولين ، وبأنه كاذب وبأنه مسحور ، وبأنه مجنون ، وأنه يعلمه بشر ، وبالإستهزاء والسخريه ، وباللغو عند قراءة القـرآن وبمخادعة المسلمين ، وبعرض المال والملك والجاه على الرسول عليه الصــلاة والسلاموبمقاطعته والمؤمنين في شعب عامر ، وبتوجيه الأسئله التى أريد منهـا العنت والتعجيز ، ثم محاولة الكيد والمكر ، ومحاولة قتله عليه الســـلام ، ثم مقاتلة الرسول عليه السلام والمؤمنين فى المدينه المنوره .

وسوف نعرض بعض من هذه الوسائل وهى :

١ - اتهام الرسول عليه السلام بالسحر .

اتهـم المشركون رسول الله عليه الصلاة والسلام بالسحر وذلك لكــى ينفروا الناس من دعوتـه ويبعدوهم عن الإيمان .

قال تعالى : (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحـــر كذاب .) (١) .

يقول القرطبى : (ومن جهلهم أنهم أظهروا التعجب من أن جاءهــــم منذر منهم فقال الكافرون : هذا ساحر يجيئ بالكلام المموه الــــذى يخدع به الناس، وقيل يفرق بين الوالد وولده والرجل وزوجته فى دعــــوة النبوه .) (٢) .

---

(١) ص آيـه ٤

(٢) تفسير القرطبى ، جزء ٧ ، ص ٥٥٩٣ .

وقال : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين .) (١)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين في كفرهم وعنادهم : أنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات أي في حال وضوحها وجلائها يقولون : هذا سحر واضح . (٢)

يقول ابن كثير : (أن الوليد بن المغيره جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أباجهل ، فأتاه فقال : ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم؟ قال ليعطوك فانك أتيت محمدا لتعرض ماقبله !

قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له . قال : وماذا أقول ؟ فوالله مامنكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله وأنه ليعلو ولايعلى ، وإنه ليحطم ماتحته .

قال : لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : قف حتى أفكر فيه . فلما فكر قال : (إن هذا إلا سحر يؤثر يؤثره عن غيره ، فنزل قوله تعالى : (ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا .) (٣)، (٤)

٢ - وصف الرسول عليه السلام بأنه مسحور :

لم يكتف المشركون بوصف الرسول عليه السلام بأنه ساحر ، بل وصفوه بصفة أخرى وهو كونه مسحور .

---

(١) الاحقاف آيه ٧

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ صفحة ١٥٤

(٣) السيره النبوية لابن كثير جزء ١ ، ص ٤٩٨ - ٤٩٩ .

(٤) المدثر آيه ١١ - ١٣

قال تعالى : (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا .) (١) .

يقول ابن كثير : يخبر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بما يتناجى به روءساء قريش حينما جاءوا يستمعون قراءته سراً من قومهم بما قالوا : من أنه رجل مسحور له رئي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذى يتلوه .) (٢) .

وقال : (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا .) (٣)

فهم وصفوا الرسول عليه السلام بأنه ما يأتيه من القرآن هو رئي من الجن كما يأتى للكهنه وأنه يهذى ولا يدرى مايقول .

٣- إتهام الرسول عليه السلام بأنه شاعر ، وبأنه كاذب وبأنه مجنون ، وكاهن وبأن القرآن أساطير الأولين :

حاول المشركون وصف الرسول عليه السلام بأوصاف ليست فيه إنما قالوها كذبا ليبعدوا الناس عن الإيمان ومن هذه الأوصاف قولهم ماحكاه عنهم القرآن وهو : (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .) (٤)

يقول ابن كثير كانوا يقولون : (أنترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عند قول هذا الشاعر المجنون يعنون بذلك الرسول عليه السلام . (٥)

وقال تعالى : (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر .) (٦)

فهذا إخبار من الله عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحرا ، وتارة شعرا وتارة أضغاث أحلام ، وتارة مجنون . (٧)

---

(١) الاسراء آيه ٤٧

(٢) ابن كثير جزء ٣ ، ص ٤٤

(٣) الفرقان آيه ٨

(٤) الصافات آيه ٣٦

(٥) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ٦

(٦) الانبياء آيه ٥

(٧) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

وقال : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .) (١)

لقد كان المشركون يقولون عن الرسول عليه السلام بأنه شاعر ننتظر عليه ونصبر حتى يموت ونستريح منه . وقال : (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) (٢) فيتهم المشركون الرسول عليه السلام بأنه اختلق القرآن . وقال : (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) (٣) وقال : (أم يقولون افترى على الله كذبا) (٤) .
وقال : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه) (٥) يعنون بأن القرآن كذب افتراه الرسول عليه السلام . وقال : (يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (٦) : يقولون للرسول عليه السلام يا أيها الذى تدعى أنه أنزل عليك القرآن إنك لمجنون حيث تدعونا إلى ترك ماوجدنا عليه آباءنا واتباعك .) (٧) .

قال تعالى : (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون .) (٨)
يقول : أنترك آلهتنا لقول هذا الشاعر المجنون ويعنون بذلك الرسول عليه السلام .

وقال تعالى : (ويقولون إنه لمجنون .) (٩)

---

(١) الطور آيه ٣٠

(٢) الطور آيه ٣٣

(٣) ص آيه ٤

(٤) الشورى آيه ٢٤

(٥) الفرقان آيه ٤

(٦) الحجر آيه ٦

(٧) تفسيرابن كثير جزء ٢ ، ص ٥٤٨

(٨) الصافات آيه ٣٦

(٩) القلم آيه ٥١

قال ابن إسحاق : (ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم من عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستهين به مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .) (١)

وقال تعالى : (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون .) (٢)
يأمر الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس وينفي عنه ما اتهمه به المشركون من كونه كاهناً أى يأتيه رئى من الجن . ونفى عنه الجنون الذى اتهمه به أهل الشرك والباطل .

قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين .) (٣)
وقال : (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) (٤) .

يخبر الله عن كفر قريش وعنادهم وتمردهم ودعواهم الباطله عند سماع القرآن ويقولون لو شئنا لقلنا مثل هذا . وهذا قول وافتراء فقد تحداهم الله أكثر من مرة أن يأتوا بسورة من القرآن فلم يستطيعوا وقيل بأن القائل لذلك هو النضر بن الحارث حيث كان ذهب إلى بلاد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فلما قدم إلى مكة وجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله فكان إذا قام من مجلسه جلس النضر فحدثهم من الأخبار وقال : من أحسن قصصا أنا أم محمد . ؟ (٥)

---

(١) سيرة ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، جـ١ ، ص ٢٨٩

(٢) الطور آيه ٢٩

(٣) الانفال آيه ٣١

(٤) القلم آيه ١٥

(٥) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

٤ - الإستهزاء والسخريه واللغو عند سماع القرآن :

الإستهزاء والسخرية وسيلة قديمة أستعملها أقوام الرسل ضد رسلهم وضد المؤمنين ، وقد قص علينا القرآن الكريم بسخرية قوم نوح ورده عليهم ، قال تعالى : (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأمن قومه سخروا منه . قال : إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون .) (١)
وكانت السخريه تتخذ طابع الإحتقار لمن اتبع نوحا يصور ذلك القرآن حيث يقول على لسان قوم نوح : (ومانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين .) (٢)
واستمر الحال كذلك مع بقية الرسل الذين جاءوا بعد نوح عليه السلام فيقول قوم شعيب له بلون من الإستهزاء : (أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباءونا أوأن نفعل فى أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد.)(٣)
وأميه بن خلف كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه . (٤)
ويستمر الحال هكذا مع كل الرسل يصوره الله عز وجل فى أسلوب يفيد العموم وليس خاصا بقوم دون قوم فيقول سبحانه وتعالى : (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامرون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا إن هوءلاء لضالون . وماأرسلوا عليهم حافظين .) (٥) .

كل هذه الأمور كانت تحصل من أعداء المؤمنين لأنهم حينما يفقدون الحجه على باطلهم يركنون إلى الأساليب الضاله لأنهم يريدون الغلبة بأى وسيلة حتى ولو كانت صياحاً وجلبة فهم ينسون عقولهم وما يجب أن يتصفوا به من الوقار فيلجئون إلى اللغو عند سماع القرآن حتى لايسمع إليه وينتفع به .

---

(١) هود آيه ٣٨

(٢) هود آيه ٢٧

(٣) هود آيه ٨٧

(٤) سيرة ابن هشام جزء ٢ ،ص ٦

(٥) المصطفين آيه ٢٩ - ٣٣ .

قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون .) (١) .
يقول ابن كثير : (تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره وإذا تلي لا يسمعون له ، كما قال مجاهد : والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وعن أبن عباس عيبوه ، وقال قتادة : أجحدوا به وأنكروه وعادوه)(٢) وكل ذلك كانت تفعله قريش حتى لا يسمع القرآن ويحال دون سماعه ، وهذه وسيلة اليائس من الإنتصار الذي يريد أن يتغلب عليه بأي شيء وبأي ثمن .

٥ - اتهام الرسول عليه السلام بأنه يعلمه بشر :

لم يكتف المشركون بما فعلوه من اللغو عند سماع القرآن إنما أخذوا يشيعون كذبا وافتراءً بأن الرسول عليه السلام يعلمه بشر وأن القرآن ليس كلام الله ليعبدوا الناس عن سماعه واتباعه . قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر .) (٣) .
يقول تعالى مخبرا عن المشركين بأن مايقولونه : كذب وافتراء وبهتان حيث قالوا بأن الذي يعلم الرسول عليه السلام بشر ويشيرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم وهو غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعاً عند الصفا ، وربما كان الرسول عليه السلام يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء ، وهو لا يعرف العربيه أو يعرف الشيء اليسير منها بقدر مايرد جواب الخطاب . (٤) .

محاولة خداع الرسول عليه السلام :

حاول المشركون أن يخدعوا الرسول عليه السلام وذلك بعرضهم عليه كذبا أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنه . (٥)

---

(١) فصلت آيه ٢٦
(٢) تفسير بن كثير ، جزء ٤ ، ص ٩٨
(٣) النحل آيه ١٠٣
(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٥٨٧
(٥) أبن كثير جزء ٤ ، ص ٥٦٠ .

يقول ابن هشام : (إعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبه زعماء قريش ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ماتعبد ، وتعبد مانعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وإن كان مانعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه ، فأنزل الله : (قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ماتعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ماعبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين .) (١)

أى إن كنتم لا تعبدون الله إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم لكم جميعا دينكم ، ولى دينى .) (٢)

٦ - مقاطعة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين حتى يموتوا جوعاً أو يستسلموا:

اجتمع المشركون وأئتمروا بينهم بأن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يتبايعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتب الصحيفه منصور بن عكرمه . . ويقال : النضر بن حارث فدعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه ، وخرج من بني هاشم أبو لهب . فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن بني قصي وآخرون من سواهم ، وأجمعوا أمرهم من ليلتهم على نقض ماتعاهدوا عليه والبراءة منه ، وبعث الله على صحيفتهم الأرضة فلحست كل مافيها من عهد وميثاق . (٣)

---

(١) الكافرون آيه ١ - ٦

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٠

(٣) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٣ والسيره النبوية لابن كثير جزء ٢ ، ص ٤٤ .

٧ ـ المساومة بالمال والجاه والملك :

للمال فتنة على النفوس الضعيفة فإذا لم تكن النفس محصنة بعقيدة فإن المال يفتنها ويخرجها عن استقامتها وكثير من الناس تكون لهم مبادئ ساميه فإذا مالو تحنوا بالمال اهتزت عقائدهم وتزلزل كيانهم وتركوا دعوتهم خوفا على المال وطمعا في متع الدنيا ،أما النفوس القويه التي ارتبطت بربها وتحصنت به فإن المال ليس له تأثير عليها لأنها تعيش لتحقق خلافة الله في الأرض وسيان عندها كثرة المال أو قلته ،أما النفوس الضعيفة فإن المال والجاه والسلطان يفتنها ويطغيها يبين ذلك قوله تعالى : (كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنىٰ .) (١)

ويقول : (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخره ذلك هو الخسران المبين .) (٢) .

أما النفوس القوية المؤمنه بربها المتمسكه بعقيدتها فلا يؤثر عليها شيئ بل هي صادقة قوية صابره متمسكة بما عاهدت الله عليه .

قال تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا .) (٣)

والمشركون توهموا أنهم يستطيعون إخراج أفضل البشر عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عن مبادئه حيث عرضوا عليه المال والجاه والملك والنساء ليترك مايدعو إليه طمعا في ماعرضوه عليه ظانين أنه من إصحاب النفوس الضعيفة التي تترك مبادئها ودينها أمام الجاه والسلطان والمال والنساء ،ولم يدركوا الصلة بينه وبين ربه ولم يعلموا سمو تلك النفس التي أصطفاها الله فجعلها أقوى من كل المؤثرات التي تؤثر على الآخرين .

---

(١) العلق آيه ٦ ـ ٧

(٢) الحج آيه ١١

(٣) الاحزاب آيه ٢٣

لذلك اجتمع أشراف قريش ، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلموك ، فجاءهم الرسول عليه السلام ، فقالوا : يامحمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك فوالله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ماأدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وسفهت الأحلام ، وشتمت الآلهه وفرقت الجماعة ومابقي من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك .

فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي ـ فربما بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك أو نعذر فيك .

فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (مابي ماتقولون ، ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخره ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم .) (١)

٨ ـ مطالبة أبى طالب بمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من دعوته :

الله سبحانه وتعالى هو الحارس الأول لكل إنسان ، ولكنه يجعل من الأسباب مايشاء تنفيذا لإرادته ، ومن هذه الأسباب التى هيأها الله لحفظ الرسول عليه السلام لتعينه على آداء رسالته اثنان هما :

١ ـ خديجة رضى الله عنها .
٢ ـ أبو طالب .

وأبو طالب عم الرسول عليه السلام هو الذي احتضنه ودافع عنه ، ولكن كانت للرجل طاقة محدودة فهو بين الرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير جزء ١ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

وبين قومه من ناحية أخرى ، وتحمل في سبيل ذلك ماتحمل فكان ـ وهو الرجل غير المسلم ـ يجوع في سبيل الدفاع عن ابن أخيه ، ونصرته ويظهر ذلك حينما ذهب المشركون إلى أبى طالب ، وقالوا له : يا أبا طالب ، إن ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل أباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ماتحن عليه من خلافة ، فنكفيكه ، فردهم أبو طالب ردا جميلا .
ومضى الرسول عليه السلام في نشر دعوته مما جعل المشركون يعودون إلى أبى طالب ويكررون عليه القول ثانيا ، وثالثا ، هنا نرى الضعف يتسرب إلى أبي طالب هؤلاء هم قومه ولا طاقة له بهم وهذا هو ابن أخيه ينصره عصبية وهو على غير دينه لماذا لايناديه ويتودد إليه ويطلب منه صراحة أن يكف عن دعوته ويبقى على نفسه وعلى عمه ويريح العم من هذا العناء .

هنا ينادي أبو طالب الرسول عليه السلام ويقول له : يابن أخي إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا للذى كانوا قدْ قالوا : له فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق ، فظن الرسول عليه السلام أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ماتركته ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكى ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب ، قائلا : أقبل يا بن أخي ، فقال ما أحببت والله لاأسلمك لشيء أبدا . (١)

٩ ـ إغراء المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله باتباعهم وسوف يحملون عنهم خطاياهم وأوزارهم :

بعد أن يئس المشركون من التأثير على الرسول عليه الصلاة والسلام ووجدوه حصنا منيعا لايمكن اختراقه هداهم تفكيرهم السيء إلى أمر آخر وهو الاتجاه إلى أتباعه لمحاولة التأثير عليهم ، فدرسوا أحوالهم

---

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ١ ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ قدم لها وعلق عليها وضبطها طه عبد الرؤوف سعد .

لماذا يتبعون الرسول عليه الصلاة والسلام؟ فعلموا أنهم يخافون من يوم القيامه ومافيه من حساب وجزاء وأنهم يخافون من سوءال ربهم عن خطاياهم وأعمالهم السيئه ، لذا هداهم فكرهم إلى وسيلة صبيانيه وهى : كما يستطيعون فى الدنيا حماية الضعفاء وحمل الديون عنهم ،فلماذا لايوهمونهم بأنهم يحملون خطاياهم وأوزارهم يوم القيامة مقابل إتباعهم والإبتعاد عن الإسلام ،يبين ذلك القرآن الكريم. قال تعالى : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم.) (١)

يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش أنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى أرجعوا عن دينكم إلى ديننا واتبعوا سبيلنا ،ولنحمل خطاياكم وآثامكم إن كانت لكم آثام .) (٢)

١٠ - توجيه الأسئلة للرسول عليه السلام :

وحينما ضعف الحال بالمشركين ،ووجدوا أنفسهم عاجزين حيث أنهارت وسائلهم فى المعارضة لجئوا إلى المعونة من الخارج لعلهم يتقون بها ، وتتمثل هذه المعونه فى أهل الكتاب الذين كانوا موجودين فى الجزيرة العربيه وخاصة اليهود الذين كانوا فى المدينة وماحولها ، فكانوا يأخذون منهم الأسئلة ،ويتجهون بها إلى الرسول عليه السلام.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ماليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينه فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ،وقالا إنكم أهل التوراه وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ،قال فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ،فإن أخبركم بهن فهو نبى مرسل وإلا فرجل متقول تروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماكان من أمرهم فإنهم كان لهم حديث عجيب ،وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها

---

(١) العنبكبوت آيه ١٢

(٢) تفسيرابن كثير ،جزء ٣ ،ص ٤٠٦

ماكان نبوءه ،وسلوه عن الروح ماهو ؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وإن لم يخبركم فإنه رجل متقول فاصنعوا فى أمره مابدالكم ،فأقبل النضروعقبه حتى قدماعلى قريش ،فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها فجاءوا إلى الرسول وسألوه. عما أمروهم به يهود .) (١)

١١ - أسئلة التعجيز والتعنت :

لما اختار المشركون فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكونوا على استعداد فى تصديقه أنه رسول من عند الله ليس لأنهم يكذبونه وإنما عنادا وكفرا ،كما قال تعالى : (فإنهم لايكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .) (٢)

لذلك هداهم تفكيرهم الضال أن يطلبوا من الرسول عليه السلام مطالب ليس الغرض منها التأكد من صدق النبي ولكن غرضهم منها التعنت والتعجيز ، وهذا ماطلبوه من الرسول عليهالسلام.

١ - أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا : أى يجري لهم الماء عيونا جاريه.

٢ - أو تكون له جنة من نخيل وأعناب يتفجر الأنهار خلالها تفجيرا .

أى تكون له حديقة فيها النخل والعنب والأنهار تتفجر داخلها .

٣ - أويسقط السماء كسفا : أى يسقط السماء قطعا كما سيكون يوم القيامه.

٤ - أو يأتى بالله والملائكة قبيلا .

٥ - أو يكون له ،بيت من زخرف : أي ذهب

٦ - أو يرقى فىالسماء: أى يتخذ سلما يرتقي عليه ويصعد إلى السماء

٧ - إنزال كتاب من السماء يقرءوه . يقول مجاهد : أي مكتوب فيه إلى كل واحد صحيفه هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان تصبح موضوعه عند رأسه (٣) . قال تعالى : (وقالوا لن نوءمن لك حتى تفجر لنا من الأرض

---

(١) تفسيرابن كثير، جزء ٣ ،ص ٧١ - ٧٢

(٢) الآنعام آيه ٣٣

(٣) تفسيرابن كثير، جزء ٣ ،ص ٦٣ .

ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) (١)

١٢ - موقف الإيذاء للمؤمنين وللرسول عليه السلام :

حاول المشركون أن يصدوا المؤمنين عن الإسلام ، واتباع الرسول عليه السلام واتخذوا لذلك أنواعاً كثيرة من الأذى للرسول عليه السلام وللمؤمنين نذكر منها :

١ - سفهاء قريش يؤذون الرسول عليه السلام . قال ابن إسحاق : عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه أنه قال :

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله عليه السلام : سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة ، والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم .

ويقول ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته ، حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما في الحجر وذكروا الرسول عليه السلام ، فقالوا : ما رأينا مثل ماصبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، فبيناهم في ذلك إذ طلع الرسول عليه السلام يريد الطواف فلما مر بهم غمزوه ببعض القول فعرفت ذلك في وجهه ثم مر ثانية فغمزوه وثالثة فغمزوه ، فوقف ، قائلا : أتسمعون يامعشر قريش أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض : ذكرتم مابلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك

---

(١) الاسراء آيه ٩٠ - ٩٣

طلع الرسول عليه السلام ،فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ،وأحاطوا به ،يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ،والرسول عليه السلام يقول : نعم أنا الذى أقول ذلك . قال : فأخذ رجل بمجمع ردائه، فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ،ثم انصرفوا عنه .

وخرج يوما فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد ،فرجع الرسول عليه السلام إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه .

ومر أبو جهل بالرسول عليه السلام عند الصفا ،فآذاه وشتمه ،ونال منه بعض مايكره والتضعيف لأمره . (١) وكان المشركون يضعون الأذى على ظهره الشريف وهو قائم يصلي عند الكعبه .

ثم ماكان من إيذاء المشركين للرسول عليه السلام حينما ذهب إلى ثقيف حيث سلطوا عليه سفهاءهم وصبيانهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ،وماكان من إيذاء أبو لهب وأمرأته حيث كانت تضع الشوك فى طريق الرسول عليه السلام ،وماكان من أمرها أبنائها تطليق بنات الرسول عليه السلام ،ثم ماكان من إيذائه يوم أحد حيث شجوا رأسه وكسروا أنفه وكسروا رباعيته الى غير ذلك من الأذى تحمله الرسول عليه السلام فى سبيل الله ،ولقد تحمل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الأذى فى سبيل الله حيث كان المشركون يعذبونهم عذابا شديدا بالتجويع وبالضرب بالسياط وبإخراجهم فى رمضاء مكة فى الشمس ووضع الصخور على صدورهم كما حدث لبلال وكما حدث لآل ياسر وغيرهم كثير .

ثم بعد ذلك ماكان من قتل سمية وهى أول شهيدة فى الإسلام فلم يزد هؤلاء المؤمنين التعذيب إلا إيمانا على إيمانهم وصبراً على صبرهم .

١٣ - المكر والكيد بالرسول عليه السلام :

لقد استمر المشركون على كفرهم واستكبارهم وعنادهم وأخذوا يمكرون بالرسول عليه السلام لكي يحبسوه ويضربوه ، ويقتلوه ، ولكن الله نجاه من كيدهم

(١) سيرة ابن هشام جزء ١ ،ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

ومكرهم لأنه خير الماكرين .

قال تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين .) (١)

يقول القرطبى : (هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوه ،فاجتمع رأيهم على قتله ،فبيتوه ، ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج ،فأمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن ينام فى فراشه ودعا الله أن يعمي عليهم أبصارهم فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رءوسهم ترابا ونهض فلما أصبحوا خرج عليهم عليّ وأخبرهم أن ليس فى الدار أحد فعلموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نجا .) (٢)

١٤ - محاربة الرسول عليه السلام والمؤمنين بالمدينه المنوره :

استعمل المشركون كل الوسائل المتقدمه ومع ذلك لم تفلح فى منع الرسول عليه الصلاة والسلام من أداء رسالته ولا منع الناس من الدخول فى الإسلام ولا منع الإسلام من الإنتشار ،وهاجر الرسول عليه السلام إلى المدينة المنوره ، وكثر أتباعه لذا جهزت قريش جيوشها لمحاربة الرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين ، وكانت المعارك التى حدثت بينهم وبين المسلمين فى غزوة بدر ومابعدها من غزوات. وقد كان النصر حليف المسليمن فى غزوة بدر والهزيمة للمشركين حيثنصر الله بقوته الرسول عليه السلام والمؤمنين ،وأما غزوة أحد فقد نصر الله المؤمنين فى بادىء الأمر على المشركينولكن حينماخالف الرماة أوامر الرسول عليه السلام وتركوا أماكنهم التي وضعهم فيها طمعا فى الغنيمة انقضعليهم المشركون وقتلوا كثيرا من المسلمين وشجوا رأس الرسول عليه السلام وأنفه وكسروا رباعيته ، ثم كان النصر فى النهاية للمؤمنين لأن الرسول عليه السلام بلغه أن الكفار يستعدون للإنقضاض على المدينه فاستعد للخروج إليهم فى اليوم التالى

---

(١) الأنفال آيه ٣٠

(٢) تفسير القرطبى جـ٤ ،ص ٢٨٣٣ .

وقال : لايخرجن الا من كان معنا بالأمس ، وضمد المسلمون جراحهم وخرجوا للمشركين فلما سمع أبوسفيان بخروجهم فرّ بمن معه خائفا وكان هذا نصرا للمؤمنين حيث رفع روحهم المعنويه وفوت على المشركين فرحتهم بالنصر لأن الفرار عند العربى ليس بالأمر السهل فبدل أن تتحدث الجزيرة العربيه بنصر المشركين تحدثت بفرارهم ،ثم غزوة الخندق التي نصر الله فيها الرسول عليه السلام والمؤمنين على أعدائهم الكفرة والمشركين رغم كل الوسائل التي اتخذها الأعداء ضد الاسلام والمسلمين ، ثم بعد الانتصارات المتتاليه كان فتح مكه حيث دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام فى الجزيرة العربيه ومن ثم فى شتى بقاع الأرض ، وأخذت ترفرف راية الاسلام عالية الله اكبر لا إله إلا الله .

هذه أهم الوسائل التي اتخذها المشركون ضد الإسلام وسيأتي كيف ردعليها القرآن وأبطلها ودافع عن الرسول عليه السلام وعن المؤمنين ، ولكن الذي نلاحظه أن هذه الوسائل لها طابع خاص حيث فيها الصراحة إن صح التعبير وإن كان هناك مكر وخداع فهو من النوع المشوب بالصراحه ،فلم يكن هناك نفاق ولم يكن هناك مذهب باطني ولم يكن هناك من يتحايل باعتناق الإسلام ودس العقائد الهدامة الفاسدة بين أتباعه كما حدث ويحدث فى أتباع الديانات الأخرى ، فهم إما كافرون يعبدون الأوثان ويدافعون عنها وإما مسلمون يودعون ماكانوا عليه من شرك وينتقلون الى الاسلام مدافعين عنه مضحين بأنفسهم فى الدفاع والذود عنه ، ومن هنا نرى أن الذين حاربوا الإسلام فى أول الأمر كان منهم بعد أن أسلموا أبطاله.هذا النوع من الناس لانجده عند أتباع الديانات الأخرى الذين دخلوا الإسلام وكان منهم من يحمل معه عقائد قومه الفاسده مما جعلهم بلاءً على الإسلام والمسلمين حيث كانوا فى الظاهر مسلمين وفى الباطن يكيدون المؤامرات والدسائس ضد الإسلام والمسلمين والتي لاتزال حتى الوقت الحاضر .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الرَّدُّ عَلَى الوَثَنِيِّينَ

الفصل الثالث

الرد على الوثنيين

لقد بعث الله محمدا عليه السلام رسولا كما بعث غيره من الرسل عليهم السلام ليقوموا بالدعوة لتوحيد الله وعبادته وطاعته وترك كل مايعبد من دون الله ، ولكن المشركون كذبوا الرسول عليه السلام ، وآذوه وسخروا منه واستهزءوا به كما حدث للرسل السابقين ، فقد اتخذوا الأصنام وعبدوها من دون الله كما عبدوا الملائكة ، وتشفعوا بها ، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوها بنات لله كما جعلوا بينه وبين الجنة نسبا تنزه الله عما يقوله الكافرون ولم يؤمنوا بالبعث بل اعتقدوا أن الحياه واحدة فقط وهى الحياة الدنيا ومايهلكهم إلا الدهر ، ولم يؤمنوا بالقرآن بل قالوا بأن الرسول عليه السلام افتراه ، ثم لم يكتفوا بذلك بل اتهموا الرسول عليه السلام بالجنون ، والسحر وبالإفتراء وبالشعروكل هذا قد تقدم في الوسائل .

والقرآن الكريم رد على المبطلين وبين لهم أسباب باطلهم ووقوعهم في الضلال ومن أهمها تقليد الآباء :-

قال تعالى : (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون .) (١)

وقال تعالى : (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال : لقد كنتم أنتم وآباءكم فى ضلال مبين .) . (٢) فلم يكن لهم حجة ولابرهان على عبادتهم الأوثان سوى تقليد الآباء وقد تشابه قولهم : قول الأمم السابقة المكذبة للرسل .

---

(١) الزخرف آيه ٢٢ - ٢٤

(٢) الأنبياء آيه ٥١ - ٥٤

وقال تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من يشاء من عباده وماكان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى اللهفليتوكل المؤمنون .)(١)

وقال : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملإيه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين . قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولايفلح الساحرون . قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض ومانحن لكما بمؤمنين .) (٢)

وقال : (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب . قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب .) (٣) .

وقال : (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط . وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد .) (٤)

إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي بينت كيف كان جواب الأمم لأنبياءهم وهو: تقليدهم للآباء الذي منعهم من الإيمان واتباع الرسل [وكذلك الحرص على طلب الدنيا بما فيها من جاه وسلطان ومال]

---

(١) ابراهيم آيه ١٠-١١

(٢) يونس آيه ٧٥ - ٧٨

(٣) هود آيه ٦١ - ٦٢

(٤) هود آيه ٨٤ - ٨٧

فهم لم يتدبروا ولم يفكروا ولم يشغلوا عقولهم التى وهبهم الله إياهـا وإنما فقط مجرد المحاكاه والتقليد للآباء والأجداد .

والقرآن يدعو الإنسان إلى التحرر الفكري وعدم التقليد ، والنظر إلى الأدله والبراهين الموجوده فيالكون والتى تدل على وجود الله ووحدانيته وألوهيته وربوبيته وعظمته .

قال تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون .) (١) فلو نظر الإنسان العاقل المتبصر لوجد كل مافي الكون أدله وبراهين على وجود الله وقدرته وعظمته ووحدانيته وعلمه وإحاطته ولو تبصر الإنسان في نفسه لوجد أكبر الدلائل على الإيمان بالله عز وجل ولقد رد القرآن على عبادة الأصنام الذين ضيعوا عقولهم حيث عبدوا مايصنعونه بأيديهم من حجر أو شجر ، كيف يجوز لإنسان عاقل أن يعبد مايصنعه بيده من الأصنام التى لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ ، ويترك الله السميع البصير العليم القدير الحي القيوم الخالق ، المعبد الجبار ، القهار مالك الملك الذي بيده كل شيئ الذى يجير ولايجار عليه الذى يستحق العباده دون سواه .

قال تعالى على لسان ابراهيم : (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال : هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أوينفعونكم أو يضرون ؟ قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .) (٢) .

فجواب قوم إبراهيم بأن الذي يدعوهم إلى عبادة الأصنام هو تقليد الآباء ولم يقولوا : بأنها تسمع أو تنفع أو تضر .

وحينما حطم إبراهيم الأصنام وجعلها جذاذا إلا كبيرهم سأله قومه (قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم

---

(١) الذاريات آيه ٢١

(٢) الشعراء آيه ٦٩ - ٧٤

نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هوءلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم . اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .)[١]

لقد اعترف قوم إبراهيم بأن الأصنام لا تنطق وبين لهم إبراهيم عليه السلام بالحجة والبرهان بأن الأصنام التي اتخذوها آلهة من دون الله لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع أن تنفع نفسها فلو كانت تستطيع لنفعت نفسها ودافعت عنها ومنعت إبراهيم من تحطيمها جذاذا .

وقال : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هوءلاء شفعاءونا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون .)[٢]

يقول الرازي : (أعلم أنه تعالى حكىٰ عنهم أمرين) :

١ - أنهم كانوا يعبدون الأصنام .

٢ - قولهم : هوءلاء شفعاءونا عند الله .

أما الأول فقد بين الله فساده بقوله : (مالا يضرهم ولا ينفعهم) وتقريره من وجوه وهي :

١ - لا يضرهم إن لم يعبدوه ولا ينفعهم إن عبدوه .

٢ - أن المعبود لابد أن يكون أكمل قدرة من العابد وهذه الأصنام لا تنفع ولا تضر البته ، وأما هوءلاء الكفار فهم قادرون على التصرف في هذه الأصنام تارة بالإصلاح وأخرى بالإفساد واذا كان العابد أكمل حالا من المعبود كانت العبادة باطلة .

٣ - أن العبادة أعظم أنواع التعظيم فهي لا تليق إلا بمن صدر عنه أعظم أنواع الإنعام ، وذلك إلا الحياه والعقل والقدرة ومصالح المعاش والمعاد . فإذا كانت المنافع والمضار كلها من الله سبحانه وتعالى وجب أن لا تليق العبادة إلا بالله سبحانه وتعالى .)[٣] .

---

(١) الأنبياء آيه ٦٢ - ٦٧

(٢) يونس آيه ١٨

(٣) الرازي جزء ١٧ ، ص ٥٩ .

والله عز وجل هو الخالق والفاطر لكل مافى الكون وهو المستحق للعباده دون سواه أما آلهتهم المزعومه فقد صنعوها بأنفسهم فهى مخلوقة وليست خالقه لذا لاتستحق العبادة .

قال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنشرون) . ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين) . ومن آياته مناكم بالليل والنهار وابتغاءوكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذاأنتم تخرجون . وله من فى السموات والأرض كل له قانتون . وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .) (١) .

فقد بينت الآيات بأن الله خالق السموات والأرض ومن فيهن وهو القائم عليها والمدبر أمرها وهو الذي سوف يعيد الخلق ثانية وهو أهون عليه . وقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .) (٢)

وقال : (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يُطعِمُ ولا يُطْعَمْ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين .) (٣)

يقول ابن كثير : (لا أتخذ وليا إلا الله وحده لاشريك له فإنه فاطر السموات والأرض أى خالقهما وبدعهما على غير مثال سابق وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج لهم .) (٤) .

قال تعالى : (أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون .) (٥)

---

(١) الروم آيه ٢٠ - ٢٧

(٢) الانعام آيه ١

(٣) الانعام آيه ١٤

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٢٦

(٥) النحل آيه ١٧

ينبه الله عباده على عظمته حيث لا ينبغي العباده لأحد غيره من الأوثان التي لا تخلق شيئا بل هي مخلوقه .

وقال : (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير احياء ومايشعرون أيان يبعثون .) (١)

يخبر الله عن الأصنام التي يعبدونها من دون الله لا تخلق شيئا وهم مخلوقون وهي جمادات لا أرواح فيها ولا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ، ولا تعلم متى تقوم الساعه فكيف ينتظر منها الثواب والنفع الذي لا يكون إلا من الله الواحد الأحد الفرد الصمد العليم السميع البصير القدير الذي بيده كل شيئ والذى يعلم متى تقوم الساعه ويبعثهم للحساب والجزاء .

قال تعالى : (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون .) (٢)

يستنكر الله على من اتخذ آلهة من دونه أتستطيع هذه الآلهة إحياءهم بعد الموت ونشورهم من الأرض ؟ بالطبع لا يستطيعون ولا يقدرون فكيف جعلوها آلهة وعبدوها من دون الله وأخبر الله عز وجل بأنه لو كان في الوجود آلهة غير الله لفسدت السموات والأرض فتقدس الله وتنزه عما يقوله المشركون بأن له شريك تعالى الله عما يقولونه علوا كبيرا فهو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يمكن لأى مخلوق أن يعترض على حكمه لعظمته وجلاله وعدله وحكمته ولطفه بخلقه وهو الذى سوف يسأل الخلق عن أعمالهم وأقوالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر

يقول الرازي : لقد ذكر الله ذلك على سبيل التهكم بهم والتجهيل ، يعني إذا كانوا غير قادرين على أن يحيوا ويميتوا ويضروا وينفعوا فأي عقل يجوز إتخاذهم آلهة .

(لوكان فيها آلهة إلا الله لفسدتا) أى لو كان يتولاهما ويدبر أمورهما شيئ غير الواحد الذي فطرهما لفسدتا .

---

(١) النحل آيه-٢١

(٢) الأنبياء آيه ٢١ -٢٣

في هذه الآيات بيان للتوحيد ونفي الأضداد والأنداد . (١)
وكان المشركون يعللون عبادتهم للأصنام بأنهم يرجون أن تكون لهم شفعاء عند الله وتنصرهم .

قال تعالى : (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون .) (٢)
يقول الله منكرا على المشركين فى اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وتقربهم إلى الله زلفى فرد الله عليهم بقوله : (لا يستطيعون نصرهم) أى لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هى أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر بل لا تقدر على الإستنصار لأنفسها ولا الإنتقام ممن أرادها بسوء لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل وهم لهم جند محضرون وذلك يوم الحساب ليكون ذلك أبلغ فى حزن عابديها وأدل على إقامة الحجة عليهم . (٣)

وقال : (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا .) (٤)

لقد اتخذ عباد الأصنام الآلهة من دون الله ليكونوا لهم عزا ينصرونهم وينقذونهم ويشفعون لهم من العذاب فرد الله عليهم بقوله : (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا .) وهذا ردع لهم وإنكار لتعززهم بالآلهة التى سوف تكون ضدهم يوم القيامه وذلا عليهم وليس عزا .
هذه الآلهة التى اتخذوها من دون الله تتبرأ ممن عبدها يوم القيامة
قال تعالى : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين .) (٥)
إنه تعالى يحشر العابد والمعبود فيتبرأ المعبود من العابد لأنه مافعل ذلك بعلمه وإرادته ولا يتشفع له وذلك يدل على نهاية الخزى والنكال فى حق هؤلاء الكفار . (٦)

---

(١) تفسير الرازى ، جزء ٢٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ (٢) يس آيه ٧٤ - ٧٥
(٣) تفسير ابن كثير جزء ٣ ، ص ٥٨١ (٤) مريم آيه ٨١ - ٨٢
(٥) يونس آيه ٢٨ - ٢٩
(٦) الرازى جزء ١٧ ، ص ٨٢

والمشركون وكل ماعبدوه من دون الله وهو راضٍ عن هذه العبادة سيحشرهم الله في نار جهنم ويكونون وقوداً لها والعياذ بالله.

قال تعالى : (إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لايسمعون .) (١)

يقول الله مخاطبا مشركي مكه وكل من دان بدينهم من عبدة الأوثان : إنكم وماتعبدون من دون الله وقود جهنم داخلون فيها فلوكانت هذه الأصنام والأوثان التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحه لماوردوا النار وماد خلوها ولكنهم خالدون في النار العابد والمعبود ولهم فيهازفير وهم فيهالا يسمعون .

يقول ابن مسعود : إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توابيت من نارفيها مسامير . من نار فلايرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره . (٢)

روى أنه عليه الصلاة والسلام دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة صنم فجلس الرسول عليه السلام فأفحمهم ثم تلا عليهم قوله : (إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم) فأقبل عبد الله بن الزبعري فرآهم يتهامسون فقال : فيم خوضكم ؟ فأخبروه ماقاله الرسول عليه السلام ، فقال عبد الله : والله لو وجدته لخصمته فدعوه ، فقال ابن الزبعري : أأنت قلت ذلك ؟ قال الرسول عليه السلام نعم فقال ابن الزبعرى : قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيزا والنصارى عبدوا المسيح ، وبنو مليح عبدوا الملائكة ؟ فقال عليه السلام : بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك وأنزل الله قوله : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون .) أي عزير والمسيح والملائكة . (٣)

ويرد القرآن على من عبد الملائكة معتقدا نفعها وشفاعتها بأنهم خاطئون فبالإضافة إلى انحطاطهم حيث عبدوا مخلوقا من مخلوقات الله ستوبخهم الملائكة يوم القيامه وتتبرأ من عبادتهم وفيهم قال تعالى : (ويوم يحشرهم

---

(١) الأنبياء آيه ٩٨ - ١٠٠

(٢) تفسير ابن كثير ، جزء ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) الرازى جزء ٢١ ص ٢٢٣ .

جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم به مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون .) (١)

يخبر الله بأنه سيقرع المشركين يوم القيامة أمام الخلائق جميعا ، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يعبدونهم ويزعمون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، فيقول الله للملائكه (أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أى أأنتم أمرتم هؤلاء المشركين بعبادتكم فتقول الملائكه سبحانك أى تعاليت وتقدست أن يكون معك إله ونحن عبيدك ونتبرأ إليك منهم بل كان هؤلاء يعبدون الجن أي شياطين الجن الذين زينوا لهم عبادتهم وأضلوهم عن سواء السبيل وفي ذلك اليوم لا تملك لهم الأوثان ولا الملائكه النفع ولا الضر ويقال للمشركين توبيخا لهم وتقريعا ذوقوا عذاب النار الذى كنتم تكذبونه فى الدنيا وتنكرونه .
والمشركون حينما عبدوا الملائكة لم يكن لهم عقل سليم ، فكيف يليق بعاقل أن يعبد مخلوقا وهذا المخلوق يعبد الله ويطيعه ولا يعصيه وهو عبد من عبيد الله .
قال تعالى : (لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكه المقربون .) (٢)
وقال : (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون .) (٣)
ولم يكتف المشركون بعبادة الملائكة وزعمهم بأنها تتشفع لهم بل جعلوها إناثاً حيث ادعوا كذبا وزورا أن الملائكه بنات الله .

قال تعالى : (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون . أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون . ألا أنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين . مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين . فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين .) (٤) .

---

(١) سبأ آيه ٤٠ - ٤٢

(٢) النساء آيه ١٧٢

(٣) التحريم آيه ٦

(٤) الصافات آيه ١٤٩ - ١٥٧

يقول تعالى منكرا على المشركين الذين جعلوا لله البنات وجعلوا لأنفسهم الذكور فكيف ينسبون إلى الله مايكرهونه وكيف يحكمون بأن الملائكة إناث أشهدوا خلقهم ؟ أم لديهم كتاب منزل من السماء ؟ أم لديهم برهان على ذلك فالحقيقة أنهم كاذبون فليس لديهم برهان ولا دليل ولاعلم على ماقالوه كذبا وافتراء والملائكة لا تتشفع لهم ولا تنصرهم إنما تتبرأ منهم أمام الله وأمام الناس أجمعين .

وقال : (وجعلوا له من عباده جزءً إن الإنسان لكفور مبين . أم اتخذ مما يخلق بنات وأصطفاكم بالبنين . وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم . أو من ينشوء في الحلية وهو في الخصام غير مبين . وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهادتهم ويسئلون . وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون .) (١)

يقول ابن كثير : (لقد جمعوا بين أنواع كثيره من الخطأ أحدها : جعلهم لله تعالى ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا . الثاني : دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا . الثالث : عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهليه الجهلاء . الرابع: إحتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الإحتجاج جهلا كبيرا ، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لاشريك له وينهى عن عبادة ماسواه .) (٢)

وقال تعالى : (إن الذين لايوءمنون بالآخره ليسمون الملائكة تسمية الأنثى .) فيرد الله عليهم بقوله بأنهم يتكلمون بلا علم وأن الجهل هو طريقهم يقول تعالى ردا عليهم (ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن

---

(١) الزخرف آيه ١٥ - ٢١

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ١٢٥

لايغني من الحق شيئا)ثم يأمر الرسول بالإعراض عنهم حيث يقول:(فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .) (١)

ينكر الله على تسمية المشركين للملائكة تسمية الأنثى وجعلهم بنات الله تنزه الله عن ذلك وتقدس وليس لديهم علم صحيح صادق بل كذب وافتراء وكفر حيث اتبعوا الظن الذي لايجدي شيئاً ولايقوم مقام الحق وطلب الدنيا والسعي وراءها هو غاية مايريدون لذلك أمر الله رسوله عليه السلام أن يعرض عن الذي يعرض عن الحق وعن الإيمان لأن الله يعلم بالضالين وبالمهتدين .

وقال : (ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذا قسمة ضيزى ويرد الله عليهم بأن هذا من اختراعهم الذى لاأساس له فيقول (إن هى إلا أسماء سميتوها أنتم وآباءكم ماأنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وماتهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى .) (٢)

يقول الله مستنكرا على المشركين : أتجعلون لله ولدا وهذا الولد أنثى ؟ وتختارون لأنفسكم الذكر ، فلو كانت هذه القسمة بين البشر لكانت باطلة فكيف تقاسمون الله هذه القسمة الجور التى فيها ظلم وسفه وهذه الأصنام التى اتخذوها والتى سموها تسمية الإناث وليس لهم دليل ولا حجة فى اتخاذهم إياها ولافي تعظيمها بل هى إسماء سموها من عند أنفسهم كذبا وافتراءً وتقليداً لآباءهم وأجدادهم واتباعا لأهوائهم التى سولها لهم الشيطان .

والملائكة لاتتشفع لأي مخلوق إلا بإذن الله . قال تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له .) وقال : ولايشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون .) (٤)

---

(١) النجم آيه ٢٧ - ٣٠
(٢) النجم آيه ٢١ - ٢٣
(٣) سبأ آيه ٢٣
(٤) الأنبياء آيه ٢٨

ومن كذب المشركين وافترائهم جعلهم بين الله والجن نسبا .
قال تعالى : (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون . إلا عباد الله المخلصين .) (١)
يقول ابن كثير : (قال المشركون : الملائكة بنات الله ،فقال أبو بكر : فمن أمهاتهن ؟ قالوا بنات الجن .) (٢)
فالجن مخلوقات من خلق الله وليست أنسابه والجن منهم المؤمنون ومنهم الكافرون قال تعالى : (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .) (٣)
وقد كانوا في الجاهلية يتعوذون بالجن . قال تعالى : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا .) (٤)
والجن لا تنفع الإنسان ولا تستطيع أن تدفع عنه الضر ولا تدفع عن نفسها ودليل ذلك حينما طردت من السماء لم تستطع الدفاع عن نفسها . فكيف يتعوذ بها من دون الله .

قال تعالى : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا .) (٥) .
والجن لا تعلم الغيب والدليل على ذلك حينما توفي سليمان عليه السلام وقد سخر الله الجن لخدمة سليمان فاستمروا في خدمته ولم يعلموا بموته إلا حينما أكلت دابة الأرض منسأته فسقط على الأرض حينئذ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما مكثوا في العذاب الشديد الذليل المهين .

قال تعالى : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .) (٦) .
فحاشا الله أن تكون له زوجة وأولاد وبنات وأنساب فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

---

(١) الصافات آيه ١٥٨ - ١٦٠ (٢) تفسير ابن كثير جزء ٤ ،ص ٢٣
(٣) الجن آيه ١٤ - ١٥ (٤) الجن آيه ٦
(٥) الجن آيه ٨ - ٩
(٦) سبأ آيه ١٤ .

رد القرآن على المشركين الذين أنكروا البعث

من الأمور البديهيه التي يجب على كل عاقل أن يعتقدها هي بعث الإنسان ثانية وذلك لكي يثاب المحسن على إحسانه ويجازى المسيئ على إساءته إذ لو لم يكن هناك بعث ولا نشور ولا حساب ولا جزاء لأطلق كل إنسان لنفسه العنان يفعل مايشاء دون مراعاة للحرام والحلال ولا لأوامر الله عز وجل ونواهيه وإذا لم يخف الإنسان من ربه فإن القوانين الوضعيه كلها ستكون عاجزه عن كبح جماحه.

ولكن نرى كثيرا من المشركين وكذلك الملحدين أنكروا البعث وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر واتهموا الرسول عليه السلام بالجنون وبالإفتراء لأنه أخبرهم بأن الله سيحييهم ثانية بعد الموت لحسابهم وجزائهم. قال تعالى: (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد . أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . أفلم يروا إلى مابين أيديهم وماخلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب)[1] ففي هذه الآيات يخبرنا الله عن استبعاد الكفرة قيام الساعة بعد أن يموتوا وتتمزق أجسادهم وتتفرق وتبلى أن يعيدهم الله ثانية واتهموا الرسول عليه السلام بالجنون والإفتراء ولكن هؤلاء في ضلال بعيد لأنهم لو نظروا إلى خلق السماء والأرض لوجدوا فيها دليلاً على قدرة الله العظيمة فمن قدر على خلق السماء والأرض وخلق الإنسان ستكون عليه الإعادة أسهل وأهون وهذه الأدلة تظهر لكل عبد لبيب فطن. ولكن هؤلاء كالأنعام حيث عطلوا عقولهم عن التفكير والتأمل في الكون ومافيه من أدلة وبراهين .

قال تعالى: (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات

---

(١) سبأ آيه ٧ - ٩

أولئك لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم .) (١)

يأمر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لأن الله من صفاته أنه عليم فلا يغيب عن علمه أى شيء ولو كان قدر الذرة في السماء أو في الأرض فالله عليم به ومحيط، فالعظام إن بليت والأجسام إن تفرقت فالله العظيم العليم القدير قادر على إعادتها ثانية ليجزى المؤمنين الذين عملوا الصالحات بالمغفرة والجزاء الكريم من الله ثم يجزي الكفار الذين صدوا عن إتباع الإيمان العذاب الأليم .

وقال تعالى : (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين .) (٢)

استبعد الكفار وقوع البعث لذلك يسألون الرسول عليه السلام عن وقوعه فيأمر الله عز وجل الرسول عليه السلام أن يقسم لهم بالله بأنه حق الوقوع وأنه ليس بمعجز على الله إعادتهم بعد أن يصيروا ترابا فالإعادة أهون من البدء .

وقال تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير . (٣)

فالله عز وجل سوف يبعث جميع العباد وسوف يخبرهم بجميع أعمالهم الصالحة والفاسدة وسيكون يسيراً على الله ذلك وسهلاً .

وقال : (ويقول الإنسان أإذا مامت لسوف أخرج حيا . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا .) (٤)

قال بعض العلماء: لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة في البعث على هذا الإختصار لما قدروا عليها إذ لاشك أن الإعادة ثانية أهون من الإيجاد أولا . (٥)

---

(١) سبأ آيه ٣ - ٥
(٢) يونس آيه ٥٣
(٣) التغابن آيه ٧
(٤) مريم آيه ٦٦ - ٦٧
(٥) تفسير الرازي جزء ٢١ ، ص ٢٤١ .

وقال تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم. ؟ بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيئ وإليه ترجعون .) (١)

يقول ابن كثير : (جاء أبي بن خلف لعنه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يامحمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم (نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار.) (٢)

لقد استبعد الكفار قدرة الله على البعث وهو العظيم العليم القدير الخالق المبدع الذي خلق السموات والأرض بمن فيهن أيعجز عن إعادة الأجسام بعد أن تصبح رميما ؟ لقد نسي هؤلاء الكفار أن الله خلقهم من العدم إلى الوجود وخلق لهم من الشجر الأخضر نارا ليستوقدوا منها وخلق لهم السموات والأرض وهو الخلاق العليم. فالله قادر على أن يعيدهم ثانية ولايكون ذلك إلا بكلمة واحدة وهي كن فيكون فسبحان الله تنزيه لله وتعظيم وتقديس فهو مالك السموات والأرض والذى سوف ترجع اليه كل الخلائق لحسابها وجزائها . وهو العليم الحكيم القدير. الذي لم يخلق الإنسان في هذه الدنيا سدى وإنما خلقه لعبادته.

قال تعالى : (أيحسب الإنسان أن يترك سدى .) (٣)

وقال : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون) (٤) .

وقال : (وماخلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) (٥) .

---

(١) يسن آيه ٧٨ - ٨٣

(٢) تفسيرابن كثير جزء ٣ ،ص ٥٨١

(٣) القيامه آيه ٣٦

(٤) المؤمنون آيه ١١٥

(٥) الذاريات آيه ٥٦

وقال : (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .) [١] وعقيدة البعث من العقائد الأساسية فى الإيمان جاءت بها كل الرسل لما جاءت بالإيمان بالله عز وجل .

قال تعالى على لسان نوح : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا .) [٢]

وقال على لسان إبراهيم : (والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) [٣].

وقال لموسى عليه السلام : (إن الساعة آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى) [٤] .

والإيمان بالبعث وما فيه من ثواب وعقاب له أثر عظيم فى سلوك الإنسان والتزامه بالعمل الصالح وبتقوى الله فالفرق عظيم بين اثنين أحدهما مؤمن بالبعث والثانى منكر له كافر به .

فالأول ملتزم بأوامر الله ومطبق لأوامره والثانى منفلت لايلتزم بأمر من أوامر الله ولايهمه إلا مصلحته فالغاية عنده غاية أنانيه تبرر أى وسيله وأي عمل .

بذلك رد القرآن الكريم على عقائد الوثنيين الفاسدة مبينا الحق الذى يجب عليهم اعتقاده والآن ننتقل الى الرد على وسائلهم فى المعارضة .

الرد على وسائل الوثنيين فى المعارضة :

لقد رد القرآن على المشركين الذين كذبوا الرسول عليه السلام واتهموه بالكذب وبالسحر وبالجنون وبافتراء القرآن .

فالقوم حينما يجدون شيئا يفوق عقولهم ويفوق واقعهم ينسبون ذلك إلى السحر والجنون وكان من الواجب عليهم أن يفكروا ويعملوا عقولهم بعيدا

---

(١) تبارك آيه ٢

(٢) نوح آيه ١٧ - ١٨

(٣) الشعراء آيه ٨٢

(٤) طه آيه ١٥ - ١٦

عن مواريثهم الفاسده ، ولو فعلوا ذلك لأدركوا الحق ولكنهم لم يفكروا ولم يتدبروا لأن لهم قلوبا لايفقهون بها وعقولا لايتدبرون بها بل هم صم عمي بكم فهم لا يرجعون إلى الحق . والله يدعوهم الى التفكير المستقل بعيدا عن المواريث الفاسدة وعن المحاكاه والتقليد . قال تعالى : (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم . وقالوا ماهذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين . وماآتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير . وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير . قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنه . إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) . (١)

يخبرنا الله عز وجل عن الكفار حينما كانوا يسمعون الرسول : عليه السلام وهو يقرأ القرآن فيقول بعضهم لبعض عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يريد أن يبعدهم عن دين آبائهم ويقولون عن القرآن أنه مفترى وأنه سحر والله عز وجل لم ينزل عليهم كتبا قبل القرآن ليدرسوها ولم يرسل إليهم نبيا قبل الرسول عليه السلام ليتبعوه ، وكانوا يتمنون أن يرسل الله إليهم رسولا ليتبعوه ويكونوا أهدى من غيرهم ولكن حينما جاء الرسول عليه السلام كذبوه وكفروا به وسخروا منه واستهزءوا منه وآذوه واتهموه بالاتهامات الكاذبه ولقد كذبت الأمم السابقة بالرسل والأنبياء وما بلغوا معشار ما آتاهم الله من القوة فى الدنيا فعاقبهم الله نتيجة تكذيبهم للرسل ، وكفرهم بالله أفلا يتدبر المشركون ماحصل للأمم السابقة المكذبه فلا يقعوا فى مثل ماوقعوا فيه ؟ ولكن قلوبهم غلف ، وعقولهم كالأنعام لا يعقلون بها ولا يتدبرون .

وحينما اتهم المشركون الرسول عليه السلام بأنه افترى القرآن (رد الله عليهم بقوله : (وماكان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .) (٢)

يقول ابن كثير : هذا بيان لإعجاز القرآن وأنه لايستطيع البشر أن يأتوا بمثله لانه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعانى العزيزة الغزيره النافعه فى الدنيا والآخره لايكون إلا من عند الله الذى لايشبهه

---

(١) سبأ آيه ٤٣ - ٤٦

(٢) يونس آيه ٣٧ - ٣٩

شيئ في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وأقواله فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين ، ومثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله ولا يشبهه كلام البشر ولكنه مصدق للكتب السابقة ومهيمن عليها ومبين لما وقع فيها من التحريف والتأويل وبيان لأحكام الحلال والحرام بيانا شافيا كافيا حقا لا مرية فيه من الله رب العالمين . فإن ادعيتم وافتريتم وشككتم فى أن هذا من عند الله وقلتم كذبا إن هذا من عند محمد ، فمحمد بشر مثلكم وقد جاء فيما زعمتم بهذا القرآن فأتوا أنتم بسورة مثله واستيعنوا على ذلك بكل من قدر تم عليه من أنس وجن . ولقد كذبوا بالقرآن ولم يفهموه ولم يعرفوه ولم يحصلوا مافيه من الهدى ودين الحق بل كذبوا به سفها وجهلا كما كذبت الأمم السالفة ، فانظر كيف أهلكناهم بتكذيبهم رسلنا ظلما وعلوا وكفرا وعنادا وجهلا فاحذروا أيها المكذبون أن يصيبكم ما أصابهم . (١)

ولقد تحدى الله المشركين أن يجتمعوا هم والجن ويستعينوا بعضهم ببعض على أن يأتوا بمثل القرآن فما استطاعوا . قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .) (٢)

ثم بعد ذلك تحداهم أن يأتوا بعشر سور فما استطاعوا . قال تعالى : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين .) (٣) .

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة من سور القرآن فما استطاعوا ولن يستطيعوا ولا يزال هذا التحدى قائما حتى تقوم الساعة .

قال تعالى : (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

(٢) الإسراء آيه ٨٨

(٣) هود آيه ١٣

(٤) البقره آيه ٢٣ - ٢٤

وأما افتراؤهم على الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يعلمه بشر فقد رد الله عليهم كذبهم بأن الرجل الذى كانوا يشيرون إليه أعجمي وهذا القرآن عربي فصيح بليغ . فهل يقول هذا القول من له عقل ؟ وإنما يفترى الكذب الكفار الذين لايؤمنون بآيات الله وليس محمد عليه السلام .

قال تعالى : (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين . إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) (١)

فالرسول عليه السلام لايمكن أن يفتري القرآن بل هو وحي من الله ، وقد كان عليه السلام معروفا قبل البعثه بصدقه لذلك حينما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان : هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ذلك : قال أبو سفيان لا .

ولو كذب الرسول صلى الله عليه وسلم على الله لم يتركه بل انتقم منه . وقد بين الله لهم ذلك فى قوله :

قال تعالى : (فلاأقسم بما تبصرون . ومالا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ، تنزيل من رب العالمين . ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين .) (٢) ولقد رد الله على المشركين بأن الرسول ليس بشاعر ولا كاهن إنما هو رسول من عند الله عز وجل . وليس الرسول عليه السلام هو الذي كذبه قومه فقط وإنما كل الرسل السابقين كذبهم قومهم واستهزؤا بهم وسخروا منهم .

قال تعالى : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لوماتأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين . ماننزل الملائكة إلا بالحق وماكانوا إذا منظرين . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

---

(١) النحل آيه ١٠٣ -١٠٥

(٢) الحاقه آيه ٣٨ - ٤٩

ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين . وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به مستهزءون) . (١)

يقول الله عز وجل مسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم فى ما اتهمه به قومه من الكذب والجنون ويواسيه فى ما حصل له من استهزاء وسخرية بأن ذلك حدث للرسل السابقين من أقوامهم وأنهم قد اتهموا بالكذب والجنون وقد استهزئ بهم وسخر منهم .

وقال تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين .) (٢)

يقول الرازي : لقد ذكر الله فى هذه الآية فائدة وهى تثبيت فؤاد الرسول عليه السلام على أداء الرساله وعلى الصبر واحتمال الأذى ، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلى بمحنه وبلية فإذا رأى له فيها مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال : المصيبه إذا عمت خفت . فإذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم أن حال جميع الأنبياء عليهم السلام مع أتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى . (٣) .

وأما ما طلبوه على سبيل التعنت فإن الله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يرد عليهم : بأنه ليس هو المتصرف في الكون ، وإنما الأمر لله وحده فيقول سبحانه تعقيبا على كلامهم : (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) (٤)

يقول ابن كثير : (لو علم الله أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ، ولكن علم أنهم يطلبون ذلك كفرا وعنادا ، فقيل للرسول عليه السلام إن شئت أعطيناهم ما سألوا فان كفروا عذبتهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبه والرحمه ، فقال عليه السلام (بل تفتح باب التوبه والرحمه .) (٥) .

---

(١) الحجر آيه ٦ - ١١

(٢) هود آيه ١٢٠

(٣) تفسير الرازى جزء ١٨ ، ص ٧٩

(٤) الاسراء آيه ٩٣

(٥) تفسير ابن كثير جزء ٣ ، ص ٦٣ .

وأما ما أرادوه من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو قيده ، فإن الله قد كفاه شرهم ونجاه منهم وأما إخراجه فإن الله قد جعله نعمة من نعم الله حيث خرج من مكه مهاجرا فكان فاتحة خير وبركه للإسلام والمسلمين .

وأما محاصرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين فى الشعب ، فقد كان ذلك خيراً وبركةً ، حيث أخذ المسلمون منه درسا فى الصبر ، وخرجوا من هذه المحنه منتصرين ، وأخذ الناس يدخلون فى الإسلام .

لقد أخذ أصحاب العقيده درسا فى الصبر على التعذيب والإيذاء ، فهم لم يكونوا يريدون من وراء صبرهم دنيا يغتنمونها ، وإنما كانوا يريدون ماعند الله من ثوابه إن الرسول عليه السلام لم يكن يعد أصحابه بالمال ، ولا بالمتاع كجزاء على صبرهم وإنما كان يعدهم بما عند الله من ثواب فى جنات النعيم ، فقد كان يمر على آل ياسر وهم يعذبون فيقول لهم : (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنه .)

لذلك يجب على المسلمين فى هذا الزمان وفي كل زمان ومكان أن يقتدوا بالمؤمنين السابقين فى الصبر وعليهم أن يجعلوا كل أعمالهم خالصة لله عز وجل فإن الله أعد للصابرين جنات النعيم . مصداقا لقوله تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .) (١)

---

(١) الزمر آيه ١٠

الفَصْلُ الرَّابِعُ

اليَهُودُ

الفصل الرابع

اليهـــــود

يهود : أطلقت هذه الكلمة على سبط أو مملكة يهوذا . . . تميزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط وأخذ يهوذا إلى السبى ، ثم توسع معناها فصارت تشتمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني .

ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين فى العالم . . . وكانت لغة اليهود العبرانية ، وفى أيام المسيح والرسل كان العالم مكونا من يهود وأمم ، ولفظة يهود أعم من عبرانيين لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء . (١)

وهم كما ورد فى القرآن الكريم وفى التاريخ القديم والحديث ، قوم عرفوا بمخالفة الرسل ثم قتلهم ، وبتحريف التوراة وبنقض العهود والمواثيق وحبهم لجمع المال بالوسائل الغير المشروعه ، بالغدر والمكر والخداع ، والخبث .

عقيدة اليهود :

اليهود : هم أهل كتاب ولكنهم حرفوا كتابهم ، فالعقيدة اليهودية قبل التحريف عقيدة صحيحة سليمة صادقة نقيه مثل عقيدة الإسلام ومثل كل العقائد التي جاءت من عند الله . والدليل قوله تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .) (٢)

وقال : (إنما إلهكم الله الذى لا إله الا هو وسع كل شيئ علما .) (٣)

وقال : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون .) (٤)

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٨٤

(٢) الشورى آيه ١٣

(٣) طه آيه ٩٨

(٤) الانبياء آيه ٢٥

وقال : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى إجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هوءلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين .) (١) .

هنا نرى موسى عليه السلام يأمر قومه بالتوحيد الخالص الذي لاتشوبه شائبه شرك كما هو معروف أن التوحيد دين الأنبياء جميعا .

وعند ما نسبوا الولد لله عز وجل جعلهم الله بهذا العمل من الكافرين الخارجين عن دين الله سبحانه وتعالى : (وقالت اليهود عزيرابن الله وقالت النصارى المسيحابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوءفكون .) (٢)

والله سبحانه وتعالى عند ما ينادي موسى عليه السلام يناديه منبها على توحيد الله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : (إننى أنا الله لا إله إلاأنافاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى .) (٣)

وعند مايتوجه موسى إلى فرعون يكون بينهما الحوار الذي جاءنا به القرآن الكريم قال تعالى : (قال فرعون ومارب العالمين ،قال رب السموات والأرض ومابينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .) (٤)

هذه آيات تنطق بالتوحيد الخالص أمام إنسان أدعى الألوهية لنفسه كذبا وزورا وهو فرعون اللعين .

كذلك كانت عقيدة اليهود قبل التحريف الإيمان بالبعث ومافيه من جنة ونار وحساب وعقاب .

---

(١) الاعراف آيه ١٣٩ - ١٤٠

(٢) التوبه آيه ٣٠

(٣) طـه آيه ١٤

(٤) الشعراء آيه ٢٣ - ٢٨

قال تعالى : لموسى عليه السلام : (إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلايصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى .) (١)

وقال : (ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار . من عمل سيئة فلايجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنه يرزقون فيها بغير حساب .) (٢)

والسحرة الذين تركوا فرعون وآمنوا بالله وبموسى رسولا من عند الله . قالوا لفرعون حينما هددهم : (فاقضي ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى . إنه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى .) (٣)

هنا نجد الإيمان الكامل باليوم الآخر ومافيه من حساب وجنة ونار إيمانا كاملا يحملهم على ترك الباطل واتباع الحق ولو كلفهم هذا حياتهم لأنهم يتطلعون إلى حياة أفضل عند الله سبحانه وتعالى .

هذه العقيدة لم يلبث اليهود أن حرفوها وبدلوها فهاجموا بعض الأنبياء وقتلوا البعض الآخر ، وجحدوا وكفروا وعصوا حيث عبدوا غير الله ، وأنكروا البعث ، ووصفوا الانبياء بما لايليق بهم كما وصفوا الله عز وجل بصفات النقص التي لاتليق به جلا وعلا وتنزه عما يقوله الكافرون .

ينقسم اليهود إلى خمسة أقسام :

١ - السامرية : وهم يقولون إن مدينة القدس هى نابلس ، وهى من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلا ولايعرفون حرمة لبيت المقدس ولايعظمونه

---

(١) طه آيه ١٤ - ١٦

(٢) غافر آيه ٣٩ - ٤٠

(٣) طه آيه ٧٢ - ٧٦

ولهم توراة غير التوراة التي عند سائر اليهود تسمى السامرية ، وهم يبطلون كل نبوة كانت فى بنى إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع ، ولا يقرون بالبعث البته وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها .

٢ - الصدوقيه : وهم نسبوا الى رجل يقال له : صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير ابن الله تعالى الله عما يقولون ، وكانوا بجهة اليمن .

٣ - العنانيه : وهم أصحاب عنان الداودي اليهودي وتسميهم اليهود العراس والمس ، ويقولون : أنهم لا يتعدون شرائع التوراة وماجاء فى كتب الأنبياء عليهم السلام ، ويتبرؤون من قول الأحبار ، ويكذبونهم ، وهم بالعراق ومصر والشام وطليطله وطليبره .

٤ - الربانيه : وهم الأشعنيه القائلون بأقوال الأحبار [١] ومذاهبهم وهم جمهور اليهود .

٥ - العيسويه : وهم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى ويقولون بنبوة عيسى بن مريم ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله أرسله بشرائع القرآن الى بنى إسماعيل عليهم السلام وإلى سائر العرب . ثم انقسم اليهود الى قسمين :

١ - قسم أبطل النسخ ولم يجعلوه ممكنا .
٢ - قسم أجازوه إلا أنهم قالوا لم يقع .

وحجة الذين أبطلوا النسخ أن الله عز وجل يستحيل منه أن يأمر بالأمر ثم ينهى عنه ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا ، والباطل حقا ، والمعصية طاعة . [٢]

---

(١) أقوال الأحبار : أى أنهم يحرمون ما أحله الله ويحلون ماحرمه الله .

(٢) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ص ٩٨ - ١٠٠

صفات اليهود وأخلاقهم كما وردت فى القرآن الكريم :

إن القرآن أخبر عن صفات اليهود فى كثير من سور القرآن وهذه الصفات ملازمة لهم على مر التاريخ وهى :

١ - الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء بغير حق والعصيان والإعتداء .

قال تعالى : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .) (١)

٢ - الإيمان ببعض الرسل والكفر بالبعض الآخر :

قال تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا .) (٢)

٣ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر .

قال تعالى : (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .) (٣) .

٤ - قسوة القلب .

قال تعالى : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) (٤)

٥ - تحريف الكلام والطعن فى الدين و العصيان :

قال تعالى : (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم

---

(١) البقره آيه ٦١

(٢) النساء آيه ١٥٠

(٣) البقره آيه ٨٥

(٤) البقره آيه ٧٤

قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .) (١)

٦ ـ نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق :

قال تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) (٢)
وقال : (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .) (٣)

ه ـ عدم النهي عن المنكر :

قال تعالى : (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون .) (٤)

٦ ـ إتخاذهم العجل :

قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين .) (٥)

وقال : (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين .) (٦) .

---

(١) النساء آيه ٤٦

(٢) المائده آيه ١٣

(٣) النساء آيه ١٥٥

(٤) المائدة آيه ٧٨ ـ ٧٩

(٥) الأعراف آيه ١٤٨

(٦) الاعراف آيه ١٥٢

٧ - الكذب والإدعاء :

قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناءُ الله وأحباءُه) [١] . وقال (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة .) [٢]

٨ - تهجمهم على ذات الله :

قال تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة .) [٣]

٩ - إدعائهم بأن الله له إبن :

قال تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله .) [٤]

وهذه جزء من الآيات التي وردت في القرآن الكريم والتي صورت لنا صفات اليهود وأخلاقهم والتي تتمثل في الكفر بالله حيث عبدوا العجل ، وقولهم العزير ابن الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم لله وللرسل ، وعدم اتباعهم لما جاء في الكتاب المنزل حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، ونقضهم للميثاق ، وإلباسهم الحق بالباطل وسعيهم في الأرض بالفساد وطغيانهم وجحودهم ومكرهم وخداعهم وجبنهم وقسوة قلوبهم ، وأنهم كانوا يرون المنكر ولا ينكرونه إلى غير ذلك من الصفات القبيحة والتي استحقوا من أجلها اللعنة من الله والغضب ، والذل في الدنيا والآخره والعذاب الشديد يوم القيامه .

---

(١) المائده آيه ١٨

(٢) البقره آيه ٨٠

(٣) المائدة آيه ٦٤

(٤) التوبه آيه ٣٠

تحريف اليهود للتوراة

إن التوراة هى كتاب الله الذى أنزله على موسى عليه السلام لكي يتبعه بنو اسرائيل ويعملوا بما جاء فيه من شرائع وأحكام أمرهم الله بها ، ولكن اليهود مالبثوا أن بدلوا هذه التوراة وحرفوها وشوهوها بما يناسب طبائعهم وأخلاقهم الذميمة.

السبب الذى أدى باليهود الى تبديل التوراة :

يقول ابن القيم : (إن علماء القوم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة التى بأيديهم لايعتقد أحد من علمائهم وأحبارهم أنها هى عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البته لأن موسى صان التوراه عن بني إسرائيل ولم يبثها فيهم خوفا من اختلافهم من بعده في تأويل التوراه المؤدي إلى انقسامهم أحزابا وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى ، والدليل كما جاء فى التوراة (وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنه بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب .) [١]
وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم لأن الإمامه وخدمة القرابين والبيت المقدس كانت فيهم ، ولم يبد موسى لبنى إسرائيل من التوراه إلا نصف سوره وقد قال الله لموسى فى التوراه عن هذه السورة : (فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلم بنى اسرائيل إياه وضعه فى أفواههم ولكي يكون لي هذا النشيد شاهدا على بنى إسرائيل . [٢]
وأما بقية التوراه فدفعها إلى أولاد هرون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراه ويحفظون أكثرها ، فقتلهم بختنصر على دم واحد ، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراه محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراه .

---

(١) الإصحاح ٣١ من سفر التثنيه ص٢٣٠ ، إصدار دار الكتاب المقدس فى العالم العربى .

(٢) الإصحاح الواحد والثلاثون من سفر التثنيه ص ٢٣٠ ، والمقصود بالنشيد نصف السوره فى نظرهم ولكن المفهوم من النص أن الوصيه (بجميع كلمات التوراه وليس نصف السوره . وكيف يوصيهم بالعمل بالكامل وليس الكل معهم ، والصحيح فى هذا الموضوع أن موسى اصطفى عن أمر الله سبط لاوي ليقوموا بتعلم التوراه وتعليمها للناس ويتفرقوا بين الأسباط لهذا الغرض . وكتب موسى من التوراه ثلاثة عشر نسخه وضع واحدة فى التابوت وأعطى لكل سبط نسخه تذكارا وفى بابل اتفق اليهود على التحريف ، وبعد ما حرفوا اضطهدوا العلماء الذين لم يوافقوا على التوراه الجديده . هداية الحيارى ص ٢٠٦ - ٢٠٧

فلما رأى عزير أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنه مالفق منه هذه التوراه التي بأيديهم ، ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة ، وقالوا فيه ماحكاه الله عنهم في كتابه ، وزعموا أن النور على الأرض الى الآن يظهر على قبره عند بطائح العراق لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم .

فهذه التوراه التي بين أيديهم على الحقيقة كتاب عزير ، وإن كان فيها من التوراة التي أنزلها الله على موسى ، وهذا يدل على أن الذي جمع هذه الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى وماينبغي له ، ومالايجوز عليه ، فلذلك نسب إلى الرب تعالى مايتقدس ويتنزه عنه .
وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بعزرا الوراق .) (١)
واليهود السامريون لهم توراة غير التوراه التي عند سائر اليهود وتدعى التوراه السامريه ، ويزعمون أنها المنزله ، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفه ومبدله .

وسائر اليهود يقولون : أن التوراة السامريه محرفة ، ومبدلة . والتوراة السامرية مخالفة للتوراة التي عند اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر مثل : ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ماليس في التوراة الأخرى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب فإن عند السامرة نسخا متعددة ، وكذلك في الزبور نسخا متعددة تخالف بعضها بعضا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيرا منها كذب على زبور داود عليه السلام . (٢)

---

(١) هداية الحيارى لابن القيم الجوزيه ص ٢٠٦ - ٢٠٩ تحقيق الدكتوراحمد حجازي سقا .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيميه جزء اول ص ٣٨٠ .
الكلمات العشر وتسمى الوصايا العشر ، وتسمى دتالوك أي الكلمات العشروهي مانطق به الله في سيناء وكتب على لوح حجر . قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٢٩

نماذج مما ورد فى التوراه المحرفه من أكاذيب وأباطيل :

تصوير الله عز وجل بصور بشر يه منها :

١ - وصف الإله بالقسوه والتدمير

مثال ماورد فى التوراه : (متى أتى بك الرب الهك إلى الأرض التى أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والعزيريين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم ، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم .) (١)

٢ - أنه غير عالم ويطلب من اليهود أن يرشدوه .

مثال على ذلك ماورد فى التوراه : (أنى اجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب ويكون الدم لكم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين اضرب أرض مصر .) (٢)
فيطلب الإله من بنى اسرائيل أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى لا يهلكوا مع فرعون وأتباعه لانه لا يعرف بيوتهم من بيوت الفراعنه ولا يعلمها .

الإله يأمر بالسرقه :

فقد طلب الإله منهم أثناء خروجهم من مصر أن يسلبوا المصريين الحلي من الذهب والفضه ، تقول التوراه : (تكلم فى مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبة وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين .) (٣)

---

(١) التثنيه الاصحاح ٧ ، ص ٢٩٠

(٢) خروج الاصحاح ١٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) خروج الاصحاح ١١ ، ١٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٧

٣ - الإله يسير أمامهم في عامود سحاب :

تقول التوراه : (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عامود نار يضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا .) (١)

٤ - الإله يخطىء ثم يندم :

تقول التوراه : (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .) (٢)

٥ - موسى ينصح الإله بعدم الغضب والندم على الشر بشعبه :

تقول التوراه : (فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر .) (٣)

٦ - الإله يتعب فيستريح من التعب :

تصف التوراه أن الإله ينتابه ماينتاب البشر من التعب لذلك يستريح .
فتقول : (في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس) (٤)

٧ - وصف الإله بأنه يستيقظ من مسكن قدسه :

تقول التوراه : (اسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه .) (٥)

٨ - أن الله خلق آدم على شبهه :

تقول التوراه بأن الله قال : (اصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا .) (٦)

---

(١) خروج الاصحاح ١٣ ص ١٠٩

(٢) خروج الاصحاح ٣٢ ، ص ١٤٠

(٣) خروج الاصحاح ٣٢ ص ١٤٠

(٤) خروج الاصحاح ٣٠ ، ص ١٢٩

(٥) زكريا الاصحاح ٢ ، ص ١٢٤٢

(٦) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ص ١١٧

وقال : (نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله .) (١)

٩ - إدعاؤهم بأن الله يكذب :

حيث وعد أن يفدي قابيل الى سبعه ولم يفده . (٢)

١٠- سارة تكذب الله :

قال الله إن سارة ضحكت ، فقالت ساره لم أضحك . قال الله : بل ضحكت. (٣)

١١ - كذبهم على الله وذلك بادعائهم بأن له أولاداً يدخلون ببنات آدم عليه السلام فيلدن الجبابره .

تقول التوراه : (وحدث أن ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساءً منهن لكل ما اختاروا . . . . وبعد ذلك أيضا دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر .)(٤)

١٢- إبنتا لوط تسقيان والدهما الخمر لكي يزني بهما وينجبا منه نسلا :

قالت إبنة لوط الكبرى لأختها الصغرى : أبونا شيخ وليس أحد يأتينا كسبيل النساء تعالي نسقي أبانا الخمر ونضاجعه ونستبقي منه نسلا ، فسقتا أباهما الخمر وضاجعت الكبرى أباها ولم يعلم بذلك ، فحملت منه ، وكذلك فعلت الصغرى مافعلته أختها فحملت من أبيها ، فولدت الكبرى إبنا اسمه موءاب وهو أبو الموءابين إلى اليوم وولدت الصغرى ابنا سمته ابن عمي وهو أبو العمونيين (٥)

١٣- يعقوب يسرق ويغش ويخدع أخاه عيسو لكي يأخذ منه البكوريه والبركه . (٦)

---

(١) التكوين ، الاصحاح ١ ، ص ٤

(٢) ، (٣) في الملل النحل جزء ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) تكوين الاصحاح ٦ ، ص ٤

(٥) التكوين الاصحاح ١٩ ص ٢٩

(٦) التكوين الاصحاح ٢٨ ص ٤٤ - ٤٥

١٤ - يعقوب يصارع الله عز وجل وينتصر يعقوب على الله حيث يمشي الله وهو يعرج من رجله ،وقال ليعقوب : (إن كنت قويا على الله فكيف على الناس ولذلك سمي يعقوب إسرائيل . ومعنى إيل الله وأسر أي قهر أي قهر الله . (١)

١٥- روء ابين يضاجع سرية أبيه بلهة وهي أم أخويه دان ونفتالي :

١٦- يهوذا يطلب الزنا من إمرأة مقابل جدى يعطيها إياه ،وقد لقيها في الطريق وكانت هذه المرأة زوجة إبنه وهو لا يدري ،فحملت منه ولما علم بأنها حامل أراد أن يحرقها ، وحينما علم أنها حامل منه أسقط الحكم عنها وهذه المرأة هي جدة داوود وسليمان . (٢)

١٧- يعقوب يتزوج إمرأة قدست إليه أخرى ليست إمرأته فولدت له أولاداً منهم انتصل موسى وهرون وداوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء . (٣)

١٨- داود يزني جهاراً بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي وأنها ولدت من ذلك الزنا إبنا مات ثم بعد ذلك تزوجها فأنجبت له سليمان عليه السلام . (٤)

١٩- أن هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل لكي يعبدوه .

تقول التوراه : (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم أصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون ،

---

(١) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ،ص ١٤١

(٢) التكوين الإصحاح ٣٧ ص ٦٢

(٣) الفصل في الملل والنحل جزء ١ -ص ١٤٧

(٤) صمويل الثاني إصحاح ١١-١٢ ص ٤٩٧ - ٤٩٩ .

فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ، فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون ، وقال غدا عيد الرب .) (١)

٢٠ - سليمان لا يستمع إلى أوامر الله ويتزوج من النساء اللواتى نهاه الإله من التزوج بهن فأمالوا قلبه وراء آلهتهن .

تقول التوراه : (وأحب الملك سليمان نساءً غريبةً كثيرةً مع بنت فرعون موءابيات وعمونيات وآدوميات وصدونيات ، وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهن ، فالتصق سليمان بهوءلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري ، فأمالت نساءوه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ، فذهب سليمان وراء عشتورات (٢) إلاهة الصدونيين وملكوم رجس العمونين وعمل سليمان الشر فى عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه .) (٣)

٢١ - الله يجعل موسى إلها لفرعون :

تقول التوراة : (فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك .) (٤)

---

(١) خروج الاصحاح ٣٢ ص ١٣٩ - ١٤٠

(٢) الملوك الاول الاصحاح ١١ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٣) جاء فى قاموس الكتاب المقدس : ص ٦٢٨ مايلى :

كان العشتار هذه تقاليد معروفة خاصة بها وكانت عبادتها تنطوى على الكثير من الخلاعه ، وكانت كاهناتها يتولين الدعاره رسميا ، وكانت عشتار تعبد دوما مع إله ذكر هو البعل .

ورمزت هى والبعل إلى القمر والشمس ، ولقد انتقلت عبادة عشتار إلى بني اسرائيل أيام الملك سليمان الذي أدخل عبادتها متأثرا بطقوسها فى صيدون .

(٤) خروج الاصحاح السابع ص ٩٦

٢٢ - آمنون بن داوود يزني بأخته ثامار .(١)

٢٣- نوح يشرب الخمر فيسكر ويتعرى ويبصر عورته ولده حام . (٢)

[illegible]

[illegible]

وتقول : (أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس لكونكم أكثر من سائر الشعوب ،بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم .) (٤)

مما سبق رأينا نماذج من التوراة المحرفه التي هي خليط من الأباطيل والأكاذيب والأوهام والتخيلات والإفتراءات التي صنعها البشر بعون من إبليس وجنده ، فقد وصفوا الله عز وجل بصفات النقص التي لا تليق بجلاله وعظمته فقد شبهوه بالبشر حيث يصيبه مايصيبهم من الخطأ والندم والعجز ، فقد صرع يعقوب الإله وتغلب عليه لذلك سمي إسرائيل ، وبعدم العلم لذلك طلب من بني إسرائيل أن يعلموا بيوتهم بالدم حتى لايصيبهم الهلاك حينما يهلك فرعون وأتباعه ،وبأنه ينتابه الإعياء والنوم ، وبأن له أولادا دخلوا ببنات الناس فأنجبن الجبابره ، وبالشركاء ،إلى غير ذلك من الصفات التي لاتليق بجلاله وعظمته ، أما الأنبياء فقد وصفوهم بصفات لايمكن وصف البشر العاديين بها ، فقد وصفوهم بعدم سماع كلام الله وبنصحه وتكذيبه ، وبالزنا ، وبشرب الخمر وبالسرقة والغش والخداع إلى غير ذلك من الصفات التي لاتليق بهم . ..

واليهود متعصبون يزعمون أن الإله لهم وحدهم وأنهم أبناء الله وأحباءوه وأن النار لاتمسهم إلا أياما معدودة وأنهم شعب الله المختار الذي فضلهم على سائر البشر .

---

(١) صمويل الثالث عشر ص ٥٠٢

(٢) التكوين الاصحاح التاسع ص ١٥

(٣) [illegible]

(٤) تثنية الاصحاح ٧ ،ص ٢٩٠

يقول ابن تيميه رحمه الله : (أما كون اليهود ظالمين كافرين معتدين مستحقين لعذاب الله وعقابه، فهذا معلوم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم منقول بالتواتر فإن اليهود بدلوا شريعة التوراة قبل أن يأتيهم المسيح ابن مريم فلما أتاهم كفروا به وكذبوه ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه ، فباءوا بغضب على غضب .) (١)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ٤٥

الفصل الخامس

اليهود وموقفهم من الإسلام

الفصل الخامـــس

اليهود وموقفهم من الإســلام

كان قبل الإسلام عدة قبائل من يهود يسكنون يثرب وماحولها ، وأشهرها ، بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظه .

وكان يسكن في المدينة من العرب قبيلتا الأوس ، والخزرج ، وكان اليهـــود إذا حدث بينهم وبين الأوس والخزرج نزاع يقولون : (إن نبيا سيبعـــث قد أطل زمانه سنتبعه ، ونظفر عليكم ، فلما جاء النبي صلى الله عليـــه وسلم كفروا به ، وكذبوا بما جاء به . قال بن إسحاق : عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبـــل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ماكانوا يقولون فيـــه . فقال لهم: معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمـــه : يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحـــن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعـــوث وتصفونه لنا بصفاته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير: ماجاءنا بشيئ نعرفه ، وماهو بالذى نذكره لكم .) (١)
فأنزل الله في ذلك قوله : (فلما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهـــم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ماعرفوا كفروا بـــه فلعنة الله على الكافرين .) (٢)
والرسول عليه السلام لما وصل إلى المدينة المنوره وجد فيها من سبقه مـــن المهاجرين ومن بايعوه من الأنصار ، ومالبث أن عقد أول معاقده دوليـــه بين المسلمين واليهود والمشركين وهذه أهم نصوص هذه المعاهدة العظيمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريـــش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . (إنهم أمة واحدة مـــن دون الناس ـ والمؤمنون لايتركون مفرحا (٣) بينهم أن يعطوه بالمعـــروف

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جزء ١ ، ص ٥٤٧

(٢) البقره آيه ٨٩

(٣) المفرح : هو من أثقله الدين والغُرم فأزال فرحه .

في فداء أو عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثما أو عدوانا أو فسادا بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا على مؤمن . وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وأنه من تبعنا من يهود فإنه له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم . وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم . . . وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن . وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفه وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامه ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وأنكم مهما اختلفتم في شيء فمرده الى الله والى محمد . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين . وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته . وأن ليهود بني النجار ويهود بني الحارث ويهود بني ساعده ويهود بني جشم ويهود بني الأوس ويهود بني ثعلبه ونجفه ولبنى الشطيبه مثل ماليهود بني عوف . وأن موالي ثعبه كأنفسهم . وأن بطانة يهود كأنفسهم . وأنه لا يخرج منهم أحد إلا باذن محمد (عليه الصلاة والسلام .) وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم . وأن النصر للمظلوم . وأن اليهود يتفقون مع المسلمين ماداموا محاربين . . . إلى أن قال عليه الصلاة والسلام ((وأن الله عليَّ أصدق مافي هذه الصحيفة وأبره . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم . وأن من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .)) (١) .

هذه الوثيقة العظيمة والمعاهده الخالدة لم يلتزم اليهود بما جاء فيها ولم يحفظوا عهودها ومواثيقها كما سيأتي .

---

(١) نقلا عن كتاب الوثائق السياسيه في العهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى أستاذ الحقوق الدولية بالجامعة العثمانيه بحيدر أباد .

الأسباب التي منعت يهود من اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام هي :
الحسد والكبرياء ، وتأليف قلوب أهل يثرب .

كان الرسول عليه السلام قد دعى اليهود إلى الإيمان به وبرسالته لأنه مبعوث من عند الله برساله وشريعة لكل البشر ، ولكنهم أعرضوا عن اتباعه حسدا وكبرا وغرورا ، وأخذتهم العزه بالإثم ، فعادوه عداءً شديدا ، وغدروا به كثيرا ، وذلك لأن الرسول عليه السلام من العرب ولم يكن من اليهود .

حدثت صفيه بنت حيي بن أخطب أنها قالت: كنت أحب ولد أبي اليه وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه ، قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء في بني عمر وبن عوف ، غدا عليه أبي ، جبيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر بن أخطب ، مغلسين ، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت : فأتيا كالين كسلانيين ساقطين يمشيان الهوينى ، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ماالتفت إلى واحد منهما ، مع مابهما من الغم ، قالت وقد سمعت عمي أباياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله مابقيت .) (١)

والله سبحانه أخبر عن سبب حسد يهود وبغضهم وهو فضل الله على رسوله بسبب إرساله خاتما للأنبياء والمرسلين قال تعالى : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا .) (٢)

يقول ابن كثير : يعني بذلك حسدهم النبي صلى الله عليه وسلم مارزقه الله من النبوة العظيمة ومنعهم من تصديقه إياه حسدهم له لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل ، وقد جعل الله في أسباط بني إسرائيل الذين هم من ذرية إبراهيم النبوة وأنزل عليهم الكتاب وحكموا فيهم بالسنن وهي الحكمة وجعل منهم الملوك ، ومع هذا فمنهم من آمن به أي بهذا الإيتاء وهذا الإنعام ومنهم من صد عنه أي كفر به ، وأعرض عنه وسعى في صد

---

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ١ ، ص ٥١٨ - ٥١٩ .

(٢) النساء آيه ٥٤ - ٥٥

الناس عنه ، وهو منهم ومن جنسهم أى من بني إسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف بك يا محمد ولست من بنى اسرائيل وقال مجاهد : فمنهم من آمن به أى بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه ، فالكفرة منهم أشد تكذيبا لك ، وأبعد عما جئت به من الهدى ، والحق المبين ، ولهذا قال : (وكفى بجهنم سعيرا) أي وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله . (١) ويتبين غدر اليهود وكذبهم وفجورهم بشهادة واحد منهم وهو : عبد الله بن سلام وهو حبر من أحبار اليهود حيث يقول : (لما سمعت به صلى الله عليه وسلم عرفت اسمه وصفته وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم عليه السلام المدينة فلما نزل بقباء ، فى بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخله لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسه ، فلما سمعت الخبر بقدومه كبرت ، فقالت عمتي لي ، حين سمعت تكبيرى : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت ، قال : فقلت لها : أي عمه ، هو والله اخو موسى بن عمران وعلى دينه ، بعث بما بعث به . فقالت : أي ابن أخي أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعه؟ قال : فقلت لها : نعم قال : فقالت : فذاك إذاً قال : ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت إسلامى من يهود ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : يارسول الله ، إن يهود قوم بهت ، وإني أحب أن تدخل فى بعض بيوتك ، وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى ، حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامى ، فإنهم إن علموا به بهتوني ، وعابوني . قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يامعشر يهود إنه رسول الله واقبلوا ماجاءكم به فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراه باسمه وصفته ، فإني أشهد

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٥١٣ - ٥١٤ .

أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي، قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت، أهل غدر وكذب وفجور، قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالده بنت الحارث فحسن إسلامها .) (١)

وسائل اليهود في المعارضة

انتشر الإسلام في المدينة وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويهود على عنادها واستكبارها وحسدها تحاول منع العرب من قبول دعوة الرسول عليه السلام والإيمان به، وتفتن المسلمين عن دينهم وتضعف من عزيمتهم وتضيق عليهم السبل ، وكانت لهم في ذلك وسائل متعددة وهي :

١ - إسلام أحبار من يهود نفاقا :

حاول اليهود التظاهر بالإسلام نفاقا، والإحتماء به وذلك لكي يفرقوا بين المسلمين ، ويدسوا بينهم، وحملهم على النفاق أو الرده. يقول ابن إسحاق : وكان ممن تعوذ بالإسلام، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أحبار يهود، من بني قنيقاع: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت الذي قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسوق بني قينقاع ، وهو الذي قال، ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم: يزعم محمدا أنه يأتيه خبر السماء وهو لايدري أين ناقته؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءه الخبر بما قال . عدو الله وهو في رحله، ودل الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقته (إن قائلا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولايدري أين ناقته؟ وإني والله ماأعلم إلا ماعلمني الله، وقد دلني عليها، فهى في هذا الشعب ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فذهب رجال من المسلمين، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف.

ورافع بن حريمله، وهو الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فيمابلغه حين مات قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين ، ورفاعة بن زيد بن التابوت

---

(١) سيرةابن هشام جـ١ ، ص ٥١٦ - ٥١٧ .

وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبت عليه الريح، وهو قافل من غزوة بني المصطلق ،فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخافوا ،فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ،فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح ، وسلسلة بن برهام ،وكنانة بن صوريا .) (١)

٢ - أسئلة الإحراج :

لقد كان من وسائل الكيد والمكر التي اتخذها يهود ضد الرسول عليه الصلاة والسلام وضد دعوته ،استدراجه بالأسئلة الحرجة ،لعله يغلط ويجاوب إجابة باطلة تكون لهم وسيلة ،وحجة ضده ، محاولين التشهير به ، وصد المسلمين عن اتباعه ،ولكن الله حماه ،وعصمه من كيدهم ومكرهم ، بما حباه الله من فطنة ،وحذر ،وقوة إراده ،فلم يظفروا منه بشيئ رغم كل المحاولات الماكرة التي اتخذوها ،وكل الطرق الخبيثة التي اتبعوها ،فقد حفظه الله من مكرهم وكيدهم وهذه أمثلة من أسئلة الإحراج التي كانوا يسألون الرسول عنها .

أ - ادعاؤهم أنهم على الحق :

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ،وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ،ورافع بن حريملة ، فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة ،وتشهد أنها من عند الله حق ؟ قال : بلى ،ولكنكم أحدثتم وجحدتم مافيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ،وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس،فبرئت من إحداثكم قالوا : فإنا نأخذ بما فى أيدينا فإنا على الهدى والحق ،ولا نؤمن بك ، ونتبعك . (٢)

وقد كان غرض اليهود من هذه الأسئلة إحراج الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ١ ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ،ص ١٥٥

واستدراجه إلى اليهوديه ، واقتصار دعوته على المشركين ، وأن يعتبرهم على حق فلا يدعوهم إلى الإسلام ، ويتركهم وشأنهم ، يحرفون دين الله وينشرون الفساد ، ولكن الرسول عليه السلام أدرك مافي سوء الهم من مكر وخداع فبين لهم أنه على ملة ابراهيم ودينه ، وأنه يؤمن بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، ولكنهم حرفوها وبدلوها ، ولم يبينوها للناس ، بل كتموها وأخفوها وخالفوا أوامر الله ، لذلك فهو يتبرأ مما فعلوه ويعتبرهم جاحدين .

ب - إنكارهم نبوة عيسى عليه السلام :

أتى نفر من اليهود ، وهم أبو ياسر بن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبى عازر وخالد ، وزيد ، وازار بن أبى إزار ، وأيشع ، فسألوا الرسول عليه السلام : عمن يؤمن به من الرسل ؟ فقال لهم عليه السلام : (نؤمن بالله وما أُنزل إلينا ، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

فلما ذكر عيسى ابن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ابن مريم ، ولا بمن آمن به . (١)

جـ - قولهم : أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم :

اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقال : أبو رافع القرظي من يهود : أتريد منا يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني ، يقال له الريس : أوذاك تريد منا يامحمد وإليه تدعونا ؟ فقال الرسول عليه السلام : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيرة ، فما بذلك بعثني الله ولا بذلك أمرني . (٢)

وقد كان غرض يهود من هذا السؤال إشاعة الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيهام الناس بأن النبي عليه السلام لايدعو إلى التوحيد وإنما يدعو إلى عبادة نفسه ، وإثارة جدل ديني مع وفد نجران لصدهم عن الإسلام .

---

(١) سيرة ابن هشام ، جزء ٢ ، ص ١٥٥

(٢) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٤٥

٢ - محاولة فتنة الرسول عليه السلام :

وذلك بالحكم لصالحهم ، لكي يتبعوه ويؤمنوا به .

قال ابن اسحاق : اجتمع كعب بن أسد وابن صلوبا وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس ، بعضهم لبعض ، وقالوا : إذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد إنك قد عرفت أننا أحبار يهود ، وأشرافهم ، وسادتهم وإنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومه ، أفنحاكمهم إليك فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك الرسول عليه السلام(١)

٣ - دخولهم فى الإسلام ثم الخروج منه :

وقد كان من وسائل المكر التي اتبعتها يهود دخولهم فى الإسلام ثم الارتداد عنه ، وذلك لكي يفتنوا المسلمين عن دينهم فيرتدوا مثلهم ، ويثيروا الإضطراب ، والقلق والشك ، والحيره بين المسلمين .

فقد اجتمع نفر من يهود وهم : عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وقالوا : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم . (٢)

٤ - محاولة التشكيك والتأثير على المسلمين :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، يصلي فى المدينة متجها إلى المسجد الأقصى ، واستمر على ذلك قرابة ستة عشر شهرا ، وكان عليه السلام يقلب وجهه فى السماء ، ويتمنى أن يعيدهم الله إلى قبلتهم فى مكة المكرمة فاستجاب الله لرغبته وأمره أن يتجه إلى الكعبه . قال تعالى : (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره .) (٣)

---

(١) سيرة بن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٤

(٢) سيرة بن هشام جزء ١ ، ص ١٤٥

(٣) البقره آيه ١٤٤ .

ووجد يهود فرصة سانحة لما يريدون ، فأسرعوا إلى نشر الإشاعات الكاذبة في المدينة محاولين تشكيك المسلمين ، والتأثير عليهم .

قال ابن اسحاق : (ولما صرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق وكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ماولاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ، ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه . (١)

ثم لم يكتف بذلك يهود ، بل حاولوا أن يشككوا المسلمين فيمن مات منهم وهو يصلي إلى المسجد الأقصى .

٥ - أسئلة التعنت :

كان من وسائل الكيد والمكر التي اتبعها يهود ضد الرسول عليه السلام ، وضد الإسلام ، توجيه الأسئلة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس الغرض منها معرفة صدقه ، أو التعرف على الإسلام وإنما كان الغرض منها التعنت(٢) ، والجدل وإلباس الحق بالباطل ، وإزعاج الرسول عليه السلام ، وتضليل المسلمين .

أ - طلبهم كتابا من السماء :

قال ابن اسحاق : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سليمان ، ونعمان بن أضاى ، وبحري بن عمرو ، وعزيز بن عزير ، وسلام بن مشكم ، فقالوا : أحق يامحمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإنا لانراه متسقا كما تتسق التوراه؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوبا عندكم في التوراه ، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ماجاءوا به ،

---

(١) سيرة ابن هشام ، جزء٢ ، ص ١٤٢

(٢) أصل التعنت التشديد ، فاذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فمرادهم يشدد عليه ، ويلزمه بما يصعب عليه آداءوه لسان العرب جز٢ ، ص ٦١

فقالوا عند ذلك جميعا : يامحمد أما يعلمك هذا إنس ولا جن ؟ قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة ، فقالوا : يامحمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه مايشاء ويقدره منه على ما أراد ، فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ، ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ماتأتي به . (١)

ب - تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول عليه الصلاة والسلام لذلك :

قال ابن اسحاق : أتى رهط من يهود إلى الرسول عليه السلام ، فقالوا : يامحمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه . فجاءه جبريل عليه السلام فسكته وقال : خفض عليك يامحمد ، وجاءه من الله بجواب ماسألوه عنه ، وهو : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .) (٢) . فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا يامحمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب الرسول عليه السلام أشد من غضبه الأول وساورهم : فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له : مثل ماقال أول مره وجاءه من عند الله الجواب على ماسألوه . (٣)

ج - سؤالهم عن قيام الساعة :

قال جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد أخبرنا متى تقوم الساعه إن كنت نبيا كما تقول ؟ (٤) .
وهم أرادوا من سؤالهم التعنت ، فهم يعلمون أن علم الساعة عند الله لايعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب .

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٧

(٢) الاخلاص ١ - ٤

(٣) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٥٨

(٤) سيرة بن هشام جزء ٢ ص ١٥٦

د - سؤالهم أن يفجر لهم أنهارا :

جاء رافع بن حريمله، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالا له : فجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك .(١)

هـ - طلبهم أن يكلمهم الله :

قال رافع بن حريمله : لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يامحمد ،إن كنت رسولا من عند الله كما تقول ،فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه . (٢)

وقد كان غرض يهود من هذا الطلب إحراج الرسول عليه السلام، وصد الذين يريدون الدخول فى الإسلام .

٦ - الإستهزاء والسخريه والشتم بمن أسلم من يهود :

كان من وسائل المكر والكيد التي اتبعها يهود الإستهزاء السخريه بمن أسلم منهم وذلك لكي يشككوا من أسلم منهم لعلهم يرتدون عن الإسلام، ومنع من لم يسلم بعد من يهود لأنهم إذا رأوا الإستهزاء بغيرهم والتغيير فانهم يخافون أن يحدث لهم مثل ماحدث لغيرهم .

قال ابن اسحاق : ولما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ،فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام ،ورسخوا فيه قالت أحبار يهود ،وأهل الكفر منهم، ما آمن بمحمد إلا شرارنا ، ولو كانوا من خيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . (٣)

ومن استهزائهم وسخريتهم إتخاذ الصلاة هزوا ولعبا إذا نودى إليها . قال تعالى : (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا .) (٤)

٧ - الإستهزاء بالله والسخرية منه :

لم يكتف يهود بالإستهزاء والسخرية بالمسلمين ،وإنما أخذوا يسخرون ويستهزئون بالله عز وجل حيث اتهموا الله بالفقر تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

(١) سيرة ابن هشام جزء ١ ،ص ٥٤٩

(٢) سيرة ابن هشام جزء ١ ص ٥٤٩

(٣) سيرة ابن هشام جزء ١ ،ص ٥٥٧

(٤) المائده آيه ٥٨

ويؤيد ذلك ماحدث بين أبي بكر وفنحاص حيث دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود ، ووجد منهم ناساكثيرين اجتمعوا على حبر من أحبارهم ، وعالم من علمائهم ، فقال أبو بكر له ويحك يافنحاص! اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراه والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر، مابنا إلى الله من فقر وإنه لفقير ومانتضرع إليه كما يتضرع الينا ، وإنا عنه لأغنياء وماهو عنا بغني ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطيناه، ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ،فغضب أبو بكر ، وضرب وجه فنخاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده، لولا العهد الذى بيننا وبينكم ،لضربت رأسك ،أى عدو الله ،فذهب فنخاص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : يامحمد انظر ماصنع بي صاحبكم ،فقال عليه السلام لأبي بكر ماحملك على ماصنعت ؟ فقال أبو بكر : يارسول الله إن عدو الله قال قولا ، عظيما ، أنه زعم أن الله فقير، وأنهم أغنياء ،فلما قال ذلك غضبت الله مماقال ، وضربت وجهه فجحد ذلك فنخاص، وقال : ماقلت ذلك . (١)

٨ - ترك الحكم بما أنزل الله :

ذهبت يهود إلى الرسول عليه السلام لينظروا هل هو ملك فيتبعوه، ويصرفوا الملك حسب أهوائهم أم أنه رسول من عند الله فيحذروه، فأرادوا امتحانه في حكم الرجل والمرأه الزانيين المحصّنين فإن حكم فيهم بأمر الله فهو نبي يجب عليهم أن يحذروه ، وإن حكم بغير ما أنزل الله فهو ملك عليهم أن يتبعوه فلما حكم بما جاء في القرآن ، والتوراه لم يتبعوه ، وكان الحكم هو الرجم حتى الموت .

عن أبى هريره أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدراس، حين قدم الرسول عليه السلام المدينه، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بأمرأة من يهود قد أحصنت ،فقالوا ابعثوا بهذا الرجل وبهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما ، وولوه الحكم عليهما ،فان عمل فيهما بعملكم من التجبيه (٢) .فأتبعوه

(١) سيرةابن هشام جزء ٢ ،ص ١٤٩

(٢) التجبيه هى الجلد بحبل من ليف مطلي بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين .

فإنما هو ملك ، وصدقوه ، وإن حكم فيهما بالرجم فانه نبي فاحذروه على مافي أيديكم أن يسلبكموه فأتوه ، فقالوا : يامحمد هذا رجل زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت فاحكم فيهما وقد وليناك الحكم فيهما ، فمشى الرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى أحبارهم في بيت المدراس فقال : يامعشر يهود أخرجوا إلى علماءكم ، فأخرج له عبد الله بن صوريا ، وقيل آخرون من علمائهم وأحبارهم فسألهم الرسول عليه السلام ، حتى حصل أمرهم إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا ، هذا أعلم من بقي من التوراه فخلا به الرسول عليه السلام ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا فألظ بهالرسول عليه السلام المسأله يقول له : يابن صوريا أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراه؟ قال اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبي مرسل ، ولكنهم يحسدونك ، فخرج الرسول عليه السلام ، فأمربهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار ، ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام . (١)

٩ - تهديد يهود وتثبيط الهمم :

كان الرسول عليه السلام قد أخذ العهد على يهود بعدم غدرهم وخيانتهم وأذيتهم للمسلمين ، وعدم معاونة أحد من أعدائهم عليهم ، ولكن يهود كعاداتها لم تلتزم بعهدها ، فعندما عاد الرسول عليه السلام من بدر والمسلمون منتصرين أظهرت يهود لهم الحسد بما فتح الله عليهم من النصر والتأييد على أعدائهم فجمعهم الرسول عليه السلام في سوق بني قينقاع وقال لهم : (يامعشر يهود أسلموا أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا .) فقالوا : يامحمد لايغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لايعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا . (٢)

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٥٠

١٠ - مناصحتهم للمؤمنين بعدم الإنفاق على الرسول عليه السلام وصحابته :

كان من وسائل المكر والخداع التي اتخذها يهود محاصرة الرسول عليه السلام والمسلمين اقتصاديا لعلمهم أن المال هو من أهم الوسائل لتدعيم الدعوه الإسلاميه واستمرارها ،فأخذوا يدعون النصح لمن أسلم من الأنصار، ويوزعون إليهم بعدم مساعدة الرسول عليه السلام لخوفهم عليهم من الفقر إذا هم استمروا فى الإنفاق عليهم ،وهم لايريدون النصح ، بل يريدون الكيد والمكر بالمسلمين حيث يريدون إضعاف قوتهم .

قال ابن اسحاق : وكان كردم بن قيس وأسامه بن صعب ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يخالطونهم ،وينتصحون لهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فيقولون لهم: لاتنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر من ذهابها ،ولاتسارعوا فى النفقه فإنكم لاتدرون على مايكون . (١)

ومن وسائل يهود ومكرهم وخبثهم أنهم أخذوا يوسوسون للمنافقين فجعل عبد الله بن أبي سلول يقول : (لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .) (٢)

١١ - التحريش بالمسلمين :

لم تقتصر يهود على التهديد والنصح بعدم الإنفاق على المسلمين ، بل أخذوا يتحرشون بالمسلمين ،ويقومون بالعداء ضدهم ومن ذلك ماكان من أمر بني قنيقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قنيقاع، وجلست إلى صائغ بها ،فجعلوايريدونها على كشف وجهها فأبت،فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوءتها ،فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهوديا ، وشدت يهود على المسلم فقتلوه ،فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع الذين كانوا أول يهود

---

(١) سيرةابن هشام جزء ٢ ،ص ١٤٩

(٢) المنافقون آيه ٧

نقضوا ما بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام مما دعا الرسول عليه السلام يحاصرهم حتى نزلوا : على حكمه ، فقام عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين إلى الرسول عليه السلام حين مكنه الله منهم ، وقال له : يا محمد أحسن في مواليّ ، فأبطأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال يا محمد أحسن في مواليّ ، فأعرض عنه الرسول عليه السلام فأدخل يده في جيب الرسول عليه السلام ، فقال له الرسول عليه السلام : أرسلني ، وغضب حتى تغير وجهه من الغضب وقال : ويحك أرسلني ، قال ابن أبي : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحده إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال الرسول عليه السلام : هم لك .

وأما عبادة بن الصامت ، وقد كان من المؤمنين ، فقد ذهب إلى الرسول عليه السلام وكان له حلف مع بني قنيقاع ، فخلعهم إلى الرسول عليه السلام وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى الرسول عليه السلام منهم ومن حلفهم وقال : يارسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم .(١) وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول عليه السلام ، وأعلنوا كفرهم وتمردهم على الرسول عليه السلام .(٢)

١٢- الغدر ونقض الميثاق والعهد :

إن الغدر ونقض العهد من صفات اليهود ومن طبائعهم في كل زمان ومكان فعندما جاء الرسول عليه السلام إلى المدينة كتب لليهود كتابا أمّنهم فيه على أرواحهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، وحرياتهم الدينيه ، بشرط ألا يغدروا بالمسلمين ولا يخونوهم ولا يؤذوهم ولا يعينوا أحدا عليهم ، ولكن يهود كعادتها لم توف بعهودها ومواثيقها لأن الغدر طبيعتها ، فغدرت بالرسول وبصحابته الكرام مرات عديده وفي مواقف شتى فكان من غدرها ونقضها للعهد أن جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمهن إلا نبي ، فقال عليه السلام : (سلوا

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء ٢ ، ص ١٣٧ - ١٣٨

عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة ما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيىء فعرفتموه لتتا بعننى على الإسلام فقالوا ذلك لك، فقال عليه الصلاة والسلام ، (سلوا عما شئتم .) قالوا : أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن ، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراه وأخبرنا كيف ماء المرأة و ماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى ؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (عليكم عهد الله لئن أنا أنبئتكم لتتابعنني ؟ فأعطوه ماشاء الله من عهد وميثاق ، فقال ناشدتكم بالذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضا شديداً فطال سقمة منه ، فنذر الله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه ، وكان أحب الطعام والشراب إليه ، لحوم الإبل وألبانها) فقالوا : اللهم نعلم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اللهم أشهد عليهم ، وأنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله ، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل .) قالوا : اللهم نعم ، قال اللهم أشهد ، وأنشدكم بالله الذى أنزل التوراه على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه) قالوا : اللهم نعم قال : اللهم أشهد) قالوا : أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك أونفارقك فقال : إن وليّ جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه .) قالوا فعندها نفارقك ، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قال فمايمنعكم أن تصدقوه ؟ قالوا : إنه عدونا إنما يأتي بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك . (١)

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ٢٩ وسيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ١٣٧ .

١٣- محاولة التفريق بين المسلمين بإثارة الأحقاد القديمه :

حينما باءت محاولات يهود بالفشل حيث لم يرتد المسلمون عن الإسلام رغم كل المحاولات والوسائل التي اتبعها يهود ، بل أخذ الناس يدخلون فى الاسلام ويزداد يوما بعد يوم ، بدأ يهود يفكرون فى وسيلة أخرى لعلها تجدي ، وهى إثارة الأحقاد الدفينه بين الأوس والخزرج حيث كان بينهم عداوة شديده ، وقتال عظيم قبل الإسلام وكان السبب فى ذلك يهود حيث كانوا متبعين القول : فرق تسد . وهو أن يقوموا بالتفريق بينهم وبالمؤامرات ، والدسائس لكي تكون ليهود السياده على الأوس والخزرج ، فكان ليهود ما أرادت ، وكان يوم بعاث حيث اقتتل فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهلي أبو أسيد بن حضير ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، فقتلا جميعا . (١)

وأرادت يهود أن يكون لها السياده فى المدينة ولم يعجبها التآخي والحب الذي أحدثه الإسلام بين الأوس والخزرج ، فسعت إلى الوقيعه بينهم والتفريق ، فأرسلت شاس بن قيس ، وكان عظيم الكفر شديد الحسد والعداوة على المسلمين على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . فى مجلس قد جمعهم ، يتحدثون فيه ، فغاظه مارأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم ، من العداوة فى الجاهلية . فقال قد اجتمع ملأ بني قيله بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذ اجتمع ملؤهم بها من قرار . فأمر فتى شابا من يهود كان معهم فقال أعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم أذكر يوم بعاث وماكان قبله وأنشدهم بعض ماكانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل ، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتشاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول : (أبدعوى الجاهليه وأنا بين أظهركم؟) فندموا على ماكان منهم واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح .

---

(١) سيرةابن هشام جـ٢ ، ص ١٤٦

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ، ص ٣٨٩ ، وسيرة ابن هاشم جـ٣ ، ص ١٤٧

٤١- محاولة بني النضير قتل الرسول عليه الصلاة والسلام :

بعد إجلاء بني قينقاع عن المدينة استمر الرسول علية الصلاة والسلام في عهده مع بني النضير وبني قريظه ، ذلك العهد الذي أخذه حينما وصل إلى المدينة من موادعتهم ، وإقرارهم على أوضاعهم ، وتأمينهم على حريتهم الشخصيه والدينيه والماليه ، مقابل ذلك اشترط عليهم شروطا وهي عدم الغدر والخيانه ومساعدة الأعداء ، والإستمرار على ماكان عليه أهل المدينة من التعاقل في الديات حيث كان يشترك في ذلك العرب ويهود لأنهم حلفاء ، فأقر ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن يهود بني النضير ، وبني قريظه كانوا يدبرون في الخفاء الكيد والمكر والخداع لما كان في قلوبهم من حقد وحسد على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين ، وكان من ذلك المكر محاولة بني النضير قتل الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم لكي يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أميه ومعه جماعة من الصحابة فيهم أبو بكر وعمرو علي ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نعم نعينك على ما أحببت ثم تآمروا فيما بينهم على قتله وهو جالس إلى جنب جدار ، فقالوا : من يعلوا هذا البيت فيلقي عليه صخرة ، فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش، فنهاهم عن ذلك العمل سلام بن مشكم ، وقال لهم : إنه يعلم:أي الرسول عليه السلام ، فلم يستجيبوا لقوله ، وصعد عمرو بن جماش ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما دبروه له من قتل ، فقام إلى أصحابه ، وقال : لا تبرحوا حتى آتيكم وعاد مسرعا إلى المدينه ، فلما تأخر قام الصحابه رضوان الله عليهم في طلبه فأخبرهم بماحدث ، وأمر المسلمين بحربهم ، ونزل بهم فتحصنوا في الحصون فقطع النخل ، وأحرقها، فنادوه : أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وإحراقها !

وأرسل عبد الله بن أبي وجماعته إلى بني النضير أن يثبتوا ويمتنعوا فانهم لن يسلموهم ، وإن قوتلوا يقاتلوا معهم ، وإن أُخرجوا يخرجوا معهم ، وانتظر بنو النضير مساعدة عبد الله بن أبي وجماعته ، ولكنهم لم يساعدوهم وتخاذلوا عنهم ، فأنزل الله في قلوب بني النضير الرعب ، مما جعلهم يطلبون من الرسول عليه السلام أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم ، على أن لهم

ماحملت الابل من أموالهم إلا السلاح ،فأجابهم الرسول عليه السلام إلى ماطلبوه ،فاحتملوا من أموالهم مااستطاعت حمله الإبل وكان الرجل منهم يهدم بيته من ثجاف بابه ، ويضعه على ظهر البعير ، وينطلق به ، وخرجوا إلى خيبر ،ومنهم من سار إلى الشام(١)

١٥ - تأليب المشركين ضد الرسول عليه الصلاة والسلام وضد المسلمين :

لم تهدأ نفوس يهود من الحقد على الرسول عليه السلام ، وعلى المسلمين بل أخذوا يدبرون مكائد أخرى للإنتقام منه بعد إخراجهم من المدينة وطردهم منها فذهب نفر منهم وهم سلام بن أبي الحقيق النضرى ، وحيي بن أخطب النضري وكنانه بن أبي الحقيق النضري ، وهوذه بن قيس الوائلي ، وابو عمار الوائلي إلى نفر من بني النضير ونفر من بني وائل ،حتى قدموا مكة فدعوا قريشا إلى حرب الرسول عليه الصلاة والسلام وقالوا لهم : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يامعشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ،أفديننا خير أم دينه؟ قالت يهود بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ،فلما قالت ذلك يهود فرحت قريش ، وسرهم ذلك القول ونشطوا لما دعوهم إليه يهود من محاربة الرسول عليه السلام ،فاجتمعوا لذلك واستعدوا له ثم خرج أولئك النفر من يهود إلى غطفان فدعوهم إلى محاربة الرسول عليه السلام . وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم في ذلك واجتمعوا له وخرجت قريش ، وغطفان ومن تبعهم من المشركين لمحاربة الرسول عليه السلام في المدينة فلما سمع بهم الرسول عليه الصلاة والسلام ضرب خندقا حول المدينة . وخرج حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظه وعهدهم ، وقد كان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم فمازال به حييّ يقنعه ويغريه ويمنيه حتى جعله ينقض العهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام ويبرأ مما كان بينه وبين الرسول من ميثاق وعهد وكان ذلك أثناء حصار المشركين للمدينة .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء ٢ ،ص ١٧٣ .

لقد حاصر المشركون المدينة بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر ، ونقضت بنو قريظه العهد الذي بينها وبين الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان المسلمون آنذاك قد عظم فيهم البلاء واشتد الخوف ، حيث أتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن . ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب الغائط ولم تستطع الأحزاب مداهمة المدينة رغم حصارها مايقرب من الشهر حينئذ أرسل الله عليهم رياحا قويه، شديدة البرد ، فصارت تكفئ قدورهم، وتقوض خيامهم، وتطفئ نيرانهم، وكان الله قد أفسد مابين المشركين ومابين بني قريظه بمكيدة دبرها نعيم بن مسعود الغطفاني ، وكان قد أسلم حديثا ، فجاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وأخبره بأنه قد أسلم وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه يريد أن يأمره الرسول عليه السلام بما يشاء، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعه فخرج نعيم وأفسد مابين المشركين ومابين بني قريظه من اتفاق وارتحل الأحزاب عن المدينة ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وبقيت بنو قيريظه في المدينه ، فحاصرهم الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابه خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وحكم فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام بحكم الله ، وهو قتل الرجال ، وسبى النساء وتقسيم الأموال .(١)
وهكذا باءت محاولات يهود بالفشل رغم كل الوسائل والمكائد التي دبروها وقاموا بها وتم النصر للإسلام والمسلمين حيث أيدهم الله بالظفر بالنصر والتأييد .

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٣، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الفَصْلُ السَّادِسُ

الرَّدُّ عَلَى يَهُودْ

الفصل السادس

الرد على يهــــود

لقد علمنا مما تقدم من صفات اليهود وأخلاقهم بأنهم قوم ضربت عليهم الذله والمسكنه وباءوا بغضب من الله، وذلك لأنهم كفروا بالله وجحدوا به ووصفـــوه بصفات النقص التى لاتليق بجلاله وعظمته، كما عبدوا العجل، وقولهـــــم: العزير بن الله، ثم قتلهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم لله وللرسل، وعــــدم اتباعهم لما جاء فى الكتب المنزله إليهم حيث آمنوا ببعضها، وكفروا بالبعض الآخر، ونقضهم للميثاق وإلباسهم الحق بالباطل، وسعيهم فى الأرض بالفساد وطغيانهم، وكذبهم ومكرهم، وخداعهم، وجبنهم، وقسوة قلوبهم، وأنهـــــم كانوا يرون المنكر ولا ينكرونه إلى غير ذلك من الصفات السيئه التي أخبر عنهـــا القرآن الكريم والتي استحقوا بسببها اللعنة والغضب من الله عز وجل .

والقرآن الكريم سيرد على اليهود وأعوانهم من الكفار والمشركين لأنــــه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العـــــزيز الحميد .

لقد أرسل الله لكل أمة من الأمم السابقه رسولا وأنزل عليه كتابا ليستمد منه التعاليم الإلهيه ولتعمل به أمته ، كذلك أرسل الله موسى عليه السلام رســولا إلى بني إسرائيل وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، وذلك لكي يتبعهـــــا بنو إسرائيل ويتذكروا أحكامها ، ويعملوا بما جاء فيها . قال تعالى : (إنــا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .) (١)
ولكن بني إسرائيل حرفوا التوراة وبدلوها ، ونسوا ما أخذه الله عليهم من عهد وميثاق بأن يقولوا على الله الحق، وأن يطبقوا ما جاء فيها من أحكــــام قال تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيــــة يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة

---

(١) المائدة آيه ٤٤

منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين) (١)
وقال : (فخلف من بعد هم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلا الحق ودرسوا مافيه والدار الآخره خير للذين يتقون أفلا تعقلون .) (٢)
وقال : (إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لايؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون .) (٣)
من الآيات السابقة تبين لنا كيف بدل بنو إسرائيل التوراة ، وحرفوها ، ولم يلتزموا بأوامر الله ، وشرعه وكيف نقضوا الميثاق ، وكفروا بالله ، وعصوه ، وهذه الصفات والأخلاق الرذيله لايزالون عليها حتى وقتنا الحاضر يتوارثونها جيلا عن جيل حتى تقوم الساعه .
يقول ابن حزم : (إن بأيدي الساميه توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها المنزله ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفه ، ومبدله ، وسائر اليهود يقولون : أن التي بأيدي السامريه محرفه ومبدله .) (٤)
فاليهود حرفوا التوراة ، وبدلوها بما يناسب أهواءهم يشهد بذلك القرآن الكريم كما يشهد بذلك اليهود أنفسهم حيث يعتقد السامريون أن التوراة التي عند سائر اليهود محرفه ومبدله ، وسائر اليهود يعتقدون بأن التوراة السامريه محرفه ومبدله كذلك وكلاهما على حق فى مايقوله عن الآخر . (٥)
والمحرفون لهذه التوراه هم الأحبار الذين كانوا يحرمون ما أحله الله ويحلون ماحرمه الله ، وذلك لكي تكون لهم المناصب والرياسه ، والأموال بالباطل .
أما التوراة العبريه الموجوده الآن فهي من كتابة عزرا .

---

(١) المائدة آيه ١٣
(٢) الاعراف آيه ١٦٩
(٣) الانفال آيه ٥٥ - ٥٦
(٤) الفصل فى الملل والنحل ص ١٧ جزء ١
(٥) وقد حقق الدكتور احمد السقا التوراه السامريه وبين الفروق بينها وبين التوراه العبريه وهي موجوده فى المكتبات .

قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الها واحدا سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضه ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم .) (١)

يقول ابن كثير : (وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن إتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهله أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار يوم القيامه لا ينصرون .) (٢)

والقرآن يرد على الأباطيل والتحريفات التي يعتقدها يهود بناء على ماجاء فى التوراه المحرفه المبدله .

تقول التوراة : (متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرة من أمامك الجيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والعزيزيين والحوبيين ، واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم إلهك أمامك ، وضربتهم فإنك تحرمهم ، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق بهم .) (٣)

فهؤلاء الكذبه يصورون الله فى صورة المدمر الذي لا يرحم ، والذي يوصي بعدم قطع العهد ، وبعدم الشفقه .

تنزه الله عما يقوله الكافرون وعما يصفونه من صفات النقص وهو أعدل العادلين وأرحم الراحمين ، فهو الذي أنزل رحمة واحدة فى الكون وأبقى ليوم القيامه تسعا وتسعين. فالله عز وجل له صفات ولكن ليست كصفات البشر إنما صفات تليق بجلال الله وعظمته لقوله تعالى : (ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير .) (٤)

---

(١) التوبة آيه ٣١ - ٣٤

(٢) تفسيرابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٥١

(٣) التثنيه اصحاح ٧ ، ص ٢٩٠

(٤) الشورى آيه ١١ .

فالإسلام يأمر بالإيمان بهذه الصفات والأسماء التي وردت في القرآن الكريم وفي السنه من غير تحريف ولا تبديل ولا تكيف ولا تشبيه ولا تمثيل ، والله عز وجل يأمر بالرحمة والشفقه والوفاء بالعهد فكيف يأمر بها ويوصي بنى إسرائيل بعدم العمل بها .

وأما كذبهم وافتراؤهم على الله وذلك بزعمهم أن الله لا يعلم ويطلب من بني إسرائيل أن يرشدوه ويعلمون بيوت بني اسرائيل حتى لا يصيبها الهلاك واستشهدوا بما ورد في التوراة المحرفه التي تقول : (إني أجتاز أرض مصر هذه الليله وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب ويكون الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضرب للهلاك حين أضرب أرض مصر .) (١)

ونرد عليهم بأن الله عالم الغيب والشهادة عالم السر والجهر العليم بما تخفيه الصدور ويصفه بنو إسرائيل بعدم العلم ، وبأن اليهود يرشدونه وهو العليم المحيط بكل شيء في هذا الكون . هل يقول هذا القول عاقل ؟

قال تعالى : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار .) (٢)

فالله عز وجل يخبرنا عن إحاطة علمه وتمامه وشموله بكل ما يحدث في الأرحام من حمل من حيث كونه ذكرا أم أنثى وكل ما يحصل في الأرحام من زيادة ونقصان ، ويعلم كل ما يشا هذه العباد ، وما يغيب عنهم ، فهو العالم بكل ما يحصل في هذه الدنيا من أفعال وأقوال ، ويعلم ما يحصل في الآخرة من حساب وجزاء ، وأن علمه محيط بجميع خلقه وذلك سواء عنده من جهر بالقول أو الفعل أو من أخفاه فإن الله يعلمه فهو العليم الخبير بما في الصدور . أيصفه بنو إسرائيل بعدم العلم ؟ فكم كذبه مفترون على الله .

وأما الرد على قولهم بأن الإله يأمر بالسرقه حيث طلب من بني إسرائيل أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل أمرأة من صاحبتها أمتعه من الفضه

---

(١) خروج اصحاح ١٢ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٢) الرعد آيه ٨ - ١٠

والذهب ، وإعطاء الرب نعمه للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين .

فنقول لهم : إذا كان إنسان لديه عقل بسيط لا يأمر بالسرقه فكيف يأمر الإله بني إسرائيل أن يسرقوا المصريين ؟

ولقد حرم الله السرقه ، وجعل لها عقوبة محدوده ذكرها الله في القرآن وهي قوله تعالى : (والسارق والسارقه فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم .) (١)

إن الفرق كبير بين القرآن الكريم المنزل من عند الله وبين التوراة المحرفه التي حرفها البشر ، فالقرآن حرم السرقه ، وجعل لها عقوبة وضحها الشرع وهي : قطع اليد اليمنى ثم إذا عاد إلى السرقه ثانية تقطع رجله اليسرى ثم إذا عاد إلى السرقه ثالثة تقطع يده اليسرى ثم إذا عاد إلى السرقه رابعة تقطع رجله اليمنى . (٢)

وأما الرد على قولهم بأن الإله يسير في عامود سحاب .

حيث تقول التوراه : (وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عامود سحاب ليهديهم في الطريق وليلا في عامود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهارا وليلا .) (٣)

فنجد التوراه المحرفه وصفت الإله بصفات البشر وهي المشي أمامهم نهارا في عامود سحاب ، وفي الليل في عامود نار ليضيء لهم . وهذا بالطبع كذب وافتراء ، فالله عز وجل لا يسير أمامهم لأنه في السماء (لا تدركه الأبصار وهو يدركها .) (٤)

يقول القرآن الكريم : (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربيه يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور

---

(١) المائده آيه ٣٨ - ٣٩

(٢) المغني جزء ١٠ ، ص ٢٦٤

(٣) خروج الاصحاح ١٣ ، ص ١٠٩

(٤) الانعام آيه ١٠٣

يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم .) (١)
فالله عز وجل يهدي أهل السماء والأرض وهذا معنى الله نور السموات والأرض. يقول السدي ، الله نور السموات والأرض فبنوره أضاءت السموات والأرض ومعنى قوله تعالى : (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يرشد ويدل إلى الهدايه والرشاد من يختاره ، وليس معناه أن يسير أمامهم في عامود سحاب نهاراً وفي عامود نار ليلاً ليدلهم كما جاء في التوراه المبدله .
وأما الرد على قولهم بأن الله يخطيء ثم يندم :
فالله صاحب الإراده والقدره والإختيار وصاحب الحكمة في مايصنع العليم الحكيم الخبير تصفه التوراه بأنه يخطيء ثم يندم على الخطأ . حيث تقول التوراه : (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه .) (٢)
إن الخطأ لايكون إلا من البشر لأنهم ليس لديهم الإراده والقدره والإختيار التام وذلك لأن إرادتهم وقدرتهم واختيارهم تابعه لله عز وجل ، وكذلك ليس لديهم الحكمه والخبره لأنها من صفات الله العليم الخبير الحكيم المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص، فالله عز وجل لايخطيء ولايندم على الخطأ لأن الخطأ من صفات البشر أما الله فهو الخالق لكل مافي الكون وكل مافي الكون مخلوق لله عز وجل وهو به عليم .
قال تعالى : (وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم .) (٣)
فالله المتصف بهذه الصفات لايندم على مايفعل ، بل الذى سيندم المحرفون للتوراه والمبدلون لها وذلك يكون يوم القيامه .
وأما الرد على قولهم ، بأن موسى عليه السلام ينصح الإله بعدم الغضب ، والندم على الشر الذى فعله بالشعب .
حيث تقول التوراه المحرفه : (فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يحمى غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر . . . أرجع عن حموغضبك

---

(١) النور آيه ٣٥

(٢) خروج الاصحاح ٣٢ ، ص ١٤٠

(٣) الأنعام آيه ١٠٧

واندم على الشر .) (١)

أيكون إلها الذي يندم على فعله ، ويقبل النصح من غيره ؟

إنه من كانت صفته كذلك ، فلا يستحق أن يكون الها ، والله منزه عما يقوله الكافرون وصدق الله حيث يقول : (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون .) (٢)

ويبين الله جحود وكفر بني إسرائيل ، حيث دعاهم موسى عليه السلام للإيمان بالله وحده لاشريك له وعبادته ، وقد أظهر لهم المعجزات الداله على صدقه ، والتي كان منها نجاتهم من فرعون ، وآله ، وإغراق فرعون وصحبه ، ورغم ذلك ، فقد طلبوا من موسى أن يتخذ لهم أصناما يعبدونها ، وذلك حينما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم ثم مالبثوا أن عبدوا العجل حينما ذهب موسى لمناجاة الله .

قال تعالى : (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون . إن هوءلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين .) (٣) . وقال : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين .) (٤) .

وقال : (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم .) (٥)

وأما الرد على قولهم : بأن الإله يتعب ويستريح ويتنفس .

حيث تقول التوراه : (في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس .) (٦)

---

(١) خروج اصحاح ٣٢ ص ١٤٠

(٢) الزمر آيه ٦٧

(٣) الاعراف آيه ١٣٨ - ١٤٠

(٤) الاعراف آيه ١٤٨

(٥) البقره آيه ٩٣

(٦) خروج اصحاح ٣٤ ، ص ١٤٤

فيرد القرآن على كذب هوءلاء بأن الله خلق السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام، ولم يصبه التعب لأنه القوي العظيم القدير، والضعف من صفات النقص التي تصيب البشر، والله منزه عن صفات النقص فهو الكامل في كل شيىء الذي ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير.

قال تعالى: (ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة أيام ومامسنا من لغوب.) (١)

وأما الرد على قولهم بأن الإله يستيقظ من مسكن قدسه:

حيث تقول التوراة: (أسكتوا ياكل البشر قدام الرب لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه.) (٢)

فيرد القرآن الكريم على كذب التوراه المحرفه: بأن الله لايأخذه النوم ولا النعاس لأن هذه الصفات من صفات البشر والله ليس كالبشر.

قال تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم.) (٣)

وأما الرد على قولهم: بأن الله خلق آدم على شبهه.

حيث تقول التوراه: (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم.) (٤) وقال: (اصنع أبناء آدم كصورتنا كشبهنا) (٥)

ويرد الله على هوءلاء الكاذبين بأن الله ليس له شبيه ولا مثيل حيث يقول:

(ليس كمثله شيىء وهو السميع البصير.) (٦).

---

(١) ق آيه ٣٨

(٢) زكريا الاصحاح ٢، ص ٤٢

(٣) البقره آيه ٢٥٥

(٤) تكوين الاصحاح ١، ص ٤

(٥) الفصل في الملل والنحل جزء ١، ص ١١٧

(٦) الشورى آيه ١١

ولا يمكن لعاقل أن يقول : بأن الخالق العظيم العليم القدير الخبير ، كالمخلوق الضعيف المخلوق من ماء مهين حقير . وهل من المعقول أن يكون الخالق كالمخلوق ؟

وأما الرد على قولهم : بأن الله له أولاد يدخلون ببنات آدم فيلدن الجبابرة : حيث تقول التوراة : (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا . . . وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر .) (١)
ما أقبح هؤلاء القوم وما أضلهم أيكون لله أولاد وهو الغني الصمد الذى لايحتاج للولد ولا لأي مخلوق في الكون حيث كل المخلوقات محتاجه إليه .

ويرد القرآن الكريم عليهم بقوله : (قل هو الله احد الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .) (٢) وقوله : (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا .) (٣) .
فتعالى الله عزت قدرته وهو العظيم الغني أن يتخذ زوجة وأن يكون له أولاد فالإنسان هو الذي يحتاج إلى الزوجه والأولاد أما الله عز وجل فهو الصمد الذي تصمد إليه الخلائق فى قضاء حوائجها .

وأما الرد على قولهم : بأن الله يكذب حيث وعد أن يفدي قابيل إلى سبعة ولم يفده . (٤) تنزه الله عما يقوله الكافرون ، فالله عز وجل إذا وعد لم يخلق ، وهو القائل فى القرآن : (وعد الله لايخلف الله الميعاد .) (٥) .
يقول ابن حزم : (إن ذكر السبعه هنا حمق لأن لامك الذي قتله هو الخامس من ولد قابين ، وقابين هو الخامس من آباء لامك فلا مدخل للسبعه ههنا .) (٦)

---

(١) تكوين الاصحاح ٦ ، ص ١٠
(٢) الاخلاص آيه ١ - ٤
(٣) الجن آيه ٣
(٤) الفصل فى الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٢١
(٥) الزمر آيه ٢٠
(٦) الفصل فى الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٢١

فهو لا هم الكذب به وليس الله عز وجل ، فالله قد حرم الكذب فكيف يحرمه ويقوم به ؟ فالله عز وجل هو أصدق الصادقين فهو الحق ، وقوله الحق ولا يأمر إلا بالحق والصدق حيث جاء في القرآن : (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) (١)
وقال : (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون .) (٢)

والرد على قولهم : (إن ساره تكذب الله وتراجعه :
حيث قالوا : إن الله تعالي قال : إن ساره ضحكت ، وقالت ساره : لم أضحك فقال : بلى قد ضحكت .

يقول الإمام ابن حزم : فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء ، وحاشا لساره الفاضله المنبأه من الله عز وجل بالبشاره من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول وتكذب هي في ذلك فتجحد مافعلت فتجمع بين سوأتين إحداهما كبيره من الكبائر ، وقد نزه الله الصالحين عنها فكيف الأنبياء ، والأخرى أدهى وأمر وهي التي لايفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال . (٣)

والرد على قولهم ، أن إبنتى لوط تسقيان والدهما الخمر لكي يزني بهما وينجبا منه نسلا . حيث قالت إبنة لوط الكبرى لأختها الصغرى أبونا شيخ وليس أحد يأتينا كسبيل النساء تعالي نسق أبانا الخمر ونضاجعه ، ونستبق منه نسلا ، فسقتا أباهما الخمر وضاجعت الكبرى أباها ، ولم يعلم بذلك ، فحملت منه وكذلك فعلت الصغرى مافعلته أختها فحملت من أبيها فولدت الكبرى إبنا اسمه مؤاب وهو أبو المؤابين إلى اليوم وولدت الصغرى إبنا سمته ابن عمي وهو أبو العمونين . (٤)

---

(١) الزمر آيه ٧٤

(٢) الأحقاف آيه ١٦

(٣) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٣٢

(٤) تكوين اصحاح ١٩ ، ص ٢٩

هذا الكلام في غاية الحمق والكذب أترى انقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعهما ؟

وهل يسمح الله لنبيه بأن يفعل الفاحشه مع إبنتيه ؟ ؟ فان قيل لا لوم عليه في ذلك لأنه كان سكران ولم يعلم بذلك . فكيف عمل إذ رآهما حاملتين واذ رآهما قد ولدتا ولدين غير شرعيين ثم تربيان أولاد الزنا ؟ ثم إطلاقهم على الله تعالى أنه ينسب أولاد ذينك الزنيمين فرخي الزنا إلى ولادة لوط عليه السلام حتى ورثهما بلدين كما ورث بني إسرائيل وبني عيسو سواء بسواء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فان قيل إن الزنا كان مباحا قلنا لهم فقد صح النسخ الذي تنكرونه . (١)
وهذا مجرد فرض لأن الزنا لم يكن حلالا في أي شريعة من الشرائع بل كل الشرائع السماويه حرمته .

والرد على قولهم : بأن يعقوب يسرق ويغش، ويخدع أخاه عيسو لكي يأخذ منه البكوريه والبركه . (٢)
فهذه الأفعال لايمكن أن تصدر من إنسان عاقل حتى مع الأعداء ، فكيف يصدر ذلك من نبي مع أخيه النبي ، والله عز وجل قد عصم الأنبياء من الخداع والكذب والغش ، ومن الذنوب الصغيره والكبيره ، ولكن هذا كذب وخداع من هؤلاء الكفره الضالين وصدق الله حيث يقول : (يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون .) (٣)

والرد على قولهم : بأن يعقوب عليه السلام صارع الله وانتصر يعقوب على الله حيث جعله يمشي وهو يعرج من رجله ، وقال الله ليعقوب إن كنت قويا على الله فكيف على الناس، ولذلك سمي يعقوب إسرائيل ، حيث معنى إيل : إله ، وأسر أي قهر أي قهر الإله . (٤)
ما أكذب هؤلاء القوم وما أضلهم ، أيعجز الله القوي العزيز خالق السموات والأرض ومن فيهمن المالك لها على قهر يعقوب المخلوق الضعيف الذي

---

(١) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٣٤
(٢) التكوين من ٢٨ - ٢٩
(٣) البقره آيه ٩
(٤) الفصل في الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٤٢

خلقه الله من ماء مهين حقير ؟ وهل يمكن لأي مخلوق في هذا الكون أن يصارع الله أو يجرؤ على ذلك ؟

ولكنهم كاذبون خادعون ضالون طاغون ،لذلك استحقوا اللعنة والخزي من الله نتيجة كفرهم وضلالهم وتحريفهم وإلباسهم الحق بالباطل .

قال تعالى : (وضربت عليهم الذله والمسكنه وباءوا بغضب من الله .) (١)
وقال : (أولئك الذين أشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين .) (٢) .

وأما الرد الله على قولهم : بأن راءوبين يضاجع سرية أبيه بلهة وهي أم أخويه دان ونفثالي . وقولهم أن :
يهودا يطلب الزنا من إمرأة مقابل جدي" يعطيها إياه وقد لقيها في الطريق ، وكانت هذه المرأة زوجة إبنه وهو لايدري ،فحملت منه ولما علم بأنها حامل أراد حرقها ،وحينما علم بأنها حامل منه أسقط الحكم عنها وهذه المرأة هي جدة داوود وسليمان عليهما السلام . (٣) وقولهم أن :
يعقوب يتزوج بأمرأة فدست اليه أخرى ليست أمرأته فولدت له أولادا منهم انتسل موسى وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء . (٤) وقولهم أن :
داود يزني جهارا بأمرأة رجل من جنده محصنة ،وزوجها حي وأنها ولدت من ذلك الزنا إبنا مات ثم بعد ذلك تزوجها فأنجبت له سليمان عليه السلام . (٥)
هذه نماذج مماورد في التوراه المحرفه التي حرفها شر ذمة البشر بعون من الشيطان الذين لايعرفون شيئا عن عصمة الأنبياء الذين اختارهم الله واصطفاهم

---

(١) البقره آيه ٦٣ (٢) البقره آيه ١٦

(٣) تكوين الاصحاح ٣٨ ،ص ٦٢ - ٦٣

(٤) الفصل فى الملل والنحل جزء ١ ، ص ٤٧

(٥) صمويل الثانى اصحاح ١١ - ١٢ ،ص ٤٩٧ - ٤٩٩

ليكونوا هداة للأمم يهتدى بهم ويقتدى أثرهم وصدق الله حيث يقول : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) . ويقول : (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) (٢)
ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس.) (٣)
وأن من ينسب العيب إلى الرسل الكرام فكأنما ينسبه إلى الله عز وجل ، ولكن هذا يهون بالنسبه لما وصفوا به الله عز وجل ، فقد وصفوه بصفات النقص التي لا تليق بجلاله وعظمته تنزه الله وتقدس عما يقوله الكافرون عنه وعن رسله الكرام .

وأما كذبهم وقولهم : بأن الله قال لموسى : (قل لفرعون السيد يقول : إسرائيل بكر ولدي ، ويقول لك إئذن لولدي ليخدمني وإن كرهت الآن سأهلك بكر ولدك .) (٤) .

وكذلك ماحكاه القرآن عنهم وقولهم : (وقالت اليهود عزير ابن الله ! (٥))
فحاشا الله أن يكون له ولد وهو الغني الذي لا يحتاج للولد فالإنسان لضعفه يحتاج للولد أما الله فهو الصمد الذي تقصده كل الخلائق لقضاء حوائجها وهو لا يحتاج إلى أحد .
قال تعالى : (قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد .) (٦)
وقال : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا .) (٧) .

---

(١) الانعام آيه ٢٤

(٢) ص آيه ٤٧

(٣) الحج آيه ٧٥

(٤) الفصل فى الملل والنحل جزء ١ ، ص ١٥٣

(٥) التوبه آيه ٣٠

(٦) الاخلاص آيه ١ - ٤

(٧) الاسراء آيه ١١١

ولقد رد الله عليهم بقوله : (ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوءفكون .) (١)

فنسبتهم الولد إلى الله مأخوذ من أقوال الوثنيين من قبل .

وقد بين الله إجرام الذين قالوا : بأن لله ولداً، فهذا القول تكاد السماء تتفطر وتتشقق الأرض من هوله، فهو قول عظيم في الكفر.

قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدّا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا .) (٢) .

والله عز وجل قد تنزه عن اتخاذ زوجة فكيف يكون له ولد ؟ وهو القائل : بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيىء وهو بكل شيىء عليم .) (٣)

وقال : (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا .) (٤)

والرد على قولهم : أن هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل لكي يعبدوه . (٥) : فحا شا لله أن يكون هارون الذي صنع لهم العجل لكي يعبدوه ، فهو رسول وأخو رسول من أولي العزم، فالذي صنع لهم العجل السامري يشهد بذلك القرآن الكريم حيث يقول : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري . فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم

---

(١) التوبه آيه ٣٠

(٢) مريم آيه ٨٨ - ٩٣

(٣) الأنعام آيه ١٠١

(٤) الجن آيه ٣

(٥) خروج الاصحاح ٣٢، ص ١٣٩ - ١٤٠

عجلا جسدا له خوار فقال : هذا إلـهكم وإله موسى فنسى . أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى . قال ياهارون مامنعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري . قال : يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي : قال فما خطبك ياسامرى . قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلـهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا ، وإنما إلـهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيئ علما . (١)

فرد الله على اليهود وبين لهم بأن السامري هو الذي صنع لهم العجل وليس هارون .

والرد على قولهم: بأن الله جعل موسى إلـها لفرعون وأخاه هارون نبيا .

حيث تقول التوراه : (فقال الرب لموسى : انظر أنا جعلتك إلـها لفرعون وهارون أخوك نبيا .) (٢)

يرد القرآن عليهم مبينا كذبهم وضلالهم بقوله : (إذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لاتخافا إنني معكما أسمع وأرى . فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما ياموسى ؟ . قال ربنا الذي أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى .) (٣)
لقد بينت هذه الآيات المباركات بأن الله أرسل موسى وهارون رسلا إلى فرعون وليس موسى إلـها ، وحينما سأل فرعون موسى من ربه ؟ قال له : ربنا الذى أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى ، ولم يقل له أنا كما تدعي التوراه المحرفه .

---

(١) طه آيه ٨٥ - ٩٨

(٢) خروج الاصحاح ٧ ، ص ٩٦

(٣) طه آيه ٤٣-٥٠

والرد على قولهم : بأن سليمان عليه السلام يعصى الله ولم يستمع إلى أوامره حيث يتزوج من النساء التي نهاه الله من التزوج منهن ، فأمالوا قلبه عن الله الى آلهتهن حيث صنع سليمان الشر فى عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداوود أبيه . (١)

فيرد القرآن على قول هؤلاء الكاذبين بقول الهدهد لسليمان عن أهل سبأ : (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ، ويعلم ماتخفون وماتعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .) (٢) وكذلك قول بلقيس ملكة سبأ : (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .) (٣) فلم تقل بلقيس أنها آمنت بالآلهة التي تتحدث عنها التوراة ، إنما قالت: آمنت بالله رب العالمين ، حيث لا يوجد إله غير الله عز وجل .

ويرد الله عليهم مبينا كذبهم حيث يقول : (ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب .) (٤) ويقول : (وإنا له عندنا لزلفى وحسن مآب) (٥)
ويقول على لسان سليمان : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك في عبادك الصالحين .) (٦)
ويعدد الله أنبيائه في قوله : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا من قبل ومن ذريته (داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين .) (٧) . فبعد أن ذكر الله الأنبياء ومنهم سليمان عليه السلام قال : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده .) (٨) .

---

(١) الملوك الاول اصحاح ١١ ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤
(٢) النمل آيه ٢٥ - ٢٦
(٣) النمل آيه ٤٤
(٤) ص آيه ٣١
(٥) ص آيه ٤٠
(٦) النمل آيه ١٩
(٧) الانعام آيه ٨٣ - ٨٤
(٨) الانعام آيه ٩٠

فالله عز وجل جعل الأنبياء قدوه ويأمرنا باتباعهم فكيف يقع منهم ما أسنده اليهود إليهم من أعمال وأقوال باطله . ؟

والرد على قولهم ، أن آمنون بن داوود يزني بأخته ثامار . (١)

وأن نوح عليه السلام يسكر بعد شربه الخمر ، ويبصر عورته ابنه حام (٢)

فنقول : إن هؤلاء الكاذبين لا يعرفون شيئا عن عصمة الأنبياء الذين أختارهم الله واصطفاهم لرسالته ولهداية البشر ، وإخراجهم من الظلمات الى النور ، وبما أن هؤلاء قد افتروا على الله عز وجل فليس ببعيد أن يفتروا على الرسل الذين هم عبيد الله ورسله ، وبما أنهم قتلوا الأنبياء فليس ببعيد عليهم وصفهم بهذه الصفات .

والرد على قولهم : أن الله اختار بني اسرائيل وفضلهم وميزهم على سائر البشر . حيث تقول التوراه : (أنا الرب ، وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوالي .) (٣) وتقول : (أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس لكونكم أكثر من الشعوب . بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائكم .) (٤) وكذلك ما حكاه القرآن من قولهم : (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه .) (٥)

فرد الله عليهم بقوله : (قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض ومابينهما وإليه المصير .) (٦)

---

(١) صموئيل الثالث عشر ص ٢

(٢) تكوين اصحاح ، ٩ ، ص ١٥

(٣) اللاويين الاصحاح ، ٢٠ ، ص ١٩١

(٤) التثنيه اصحاح ٧ ص ٢٩

(٥) ، (٦) المائده آيه ١١٨

فرد الله على كذب اليهود بأنهم ليسوا أبناء الله وأحباؤه ، بل هم بشر كغيرهم من خلق الله يغفر للمؤمن منهم ويعذب الكافر منهم والله هو المالك للسموات والأرض ومن فيهن والمتصرف فيهن كما يريد ، وإليه مصير كل الخلائق .

والرد على قولهم: بأن النار لا تمسهم إلا أياما معدوده .
قال تعالى عنهم : (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدوده .) (١)
فرد الله عليهم بقوله : (قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون .) (٢) .
فبين الله كذب اليهود وسألهم هل أخذوا من الله عهدا بألا يعذبهم ، أم يقولون بلا علم . ؟ بلا شك هم كاذبون في قولهم وفي اعتقادهم لأن الله لم يعطهم عهدا على ذلك بل سيثيب المؤمن ويعاقب الكافر . قال تعالى : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون .) (٣)

فالله عز وجل جعل الثواب والعقاب بناءً على الإيمان والعمل وليس على الأحساب والأنساب .

والرد على قولهم: يد الله مغلولة ، أى أن الله بخيل تعالى الله عن ذلك وتنزه . فيقول القرآن عنهم : (وقالت اليهود يد الله مغلولة .) (٤)
فرد الله عليهم مبينا كفرهم وكذبهم بقوله : (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامه كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين .) (٥) .

---

(١) ، (٢) البقره آيه ٨٠

(٣) البقره آيه ٨١

(٤) ، (٥) المائده آيه ٦٤

هؤلاء الكفره الكذبه يصفون الله بالبخل وهم البخلاء الذين امتلأت قلوبهم حسدا وبغضا ، أما الله فهو صاحب الفضل والسعه والنعمه الذي عنده خزائن كل شيئ لا شريك له وهو الذي يرزق عباده المؤمن والكافر ليلا ونهارا بلا انقطاع .

وأما الرد على قولهم : (إن الله فقير ونحن أغنياء .) (١)

فقد رد الله عليهم بقوله جل وعلا : (سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق .) (٢) تهديد ووعيد من الله بأنه سيكتب قولهم وقتلهم للأنبياء بلا ذنب اقترفوه وبأنه سيجزيهم على ذلك عذاب النار .

ولقد رد الله على شبههم التي آثاروها عند تحويل القبله :

بقوله : سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .) (٣)

يعلم الله رسوله عليه السلام أن يرد على هؤلاء السفهاء من اليهود ومن على شاكلتهم المعترضين على تحويل القبله بأن الجهات كلها لله عز وجل وهو المتصرف فيها بحكمته وعلمه وإرادته ، وليس لأحد أن يعترض على ذلك .

وقد بين الله الحكمه من تحويل القبلة إلى الكعبة وهي : حتى يظهر ويتبين من يطيع الرسول ويتبعه ، ومن يعصيه ولا يتبعه .

قال تعالى : (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه .) (٤)

وقد بين الله أثر تحويل القبلة فى نفوس المؤمنين عن غيرهم من الكافرين .

قال تعالى : (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله .) (٥)

يقول الله لرسوله عليه السلام : (إنما شرعنا لك التوجه إلى بيت المقدس أولا ثم صرفناك عنه إلى الكعبه ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك

---

(١)، (٢) آل عمران آيه ١٨١

(٣)، (٤)، (٥) البقره آيه ١٤٢ - ١٤٣ .

حيثما توجهت ممن يرتد عن دينه وإن كانت لكبيرة وهي صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبه ، وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول عليه السلام وأن كل ماجاء به حق لا مرية فيه ، وأن الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد فله أن يكلف عباده بما يشاء وينسخ مايريد ، وله الحكمة البالغة التامة في جميع ذلك بخلاف الذين في قلوبهم مرض فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا . (١)

ولقد رد الله على يهود الذين شككوا المسلمين فيمن مات منهم وهو يصلي إلى المسجد الأقصى بقوله : (وماكان الله ليضيع إيمانكم) (٢)

أي أن الله لايضيع أجر صلاة من مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ، بل أجره عندالله والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

وقد أخبر الله رسوله عليه السلام بأنه لو جاء لليهود ومن على شاكلتهم من الكفار بالأدله والبراهين على أن ماجاء به هو الحق لم يتبعوه عنادا وكبرا وحسدا منهم .

قال تعالى : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيه ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ، ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين .) (٣)

يخاطب الله رسوله عليه السلام ، والخطاب للمسلمين جميعا ، وجاء الخطاب في صيغة تهديد ووعيد بعدم اتباع آراء اليهود النابعه من هواهم وشهواتهم فلو اتبع الرسول عليه السلام وهو أفضل البشر أهواء أهل الكتاب ورغباتهم لجازاه كما يجازي الظالمين .

ثم بين الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين بأن أهل الكتاب من يهود ونصارى يعرفون النبي عليه السلام معرفه حقيقيه يقينيه ، كما يعرفون أبناءهم ولكنهم يكتمون معرفته وصفته الحقه الموجوده في التوراة والإنجيل ، ويعرفون أن ماجاء به الحق ، ولكنهم لايؤمنون به حسدا وعنادا وكبرا لأنه من العرب وليس من بني إسرائيل .

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ، ص ١٩١

(٢) البقرة آية ١٤٣ ، (٣) البقرة آيه ١٤٥

كما يعرفون

قال تعالى : (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .) (١) .

فالله عز وجل يخبر الرسول عليه السلام والمؤمنين بأن ماجاء به من الوحي ومن تحويل القبله هو الحق الذى ليس فيه شك ، وأن مايقوله اليهود وأعوانهم من أهل الكفر والضلال : هو الباطل فلا يلتفت إلى أقوالهم لأنها كذب وفيها الكفر والجحود بالله عز وجل .

ولقد رد الله على اليهود الذين أثاروا الوقيعة والفتنة بين المؤمنين ، وحذر المؤمنين منهم وبين لهم كيدهم ومكرهم ووبخ اليهود على أفعالهم السيئة التى فعلوها بالمؤمنين ، وبين لهم الطريق المستقيم الذى ينبغى أن يتبعوه لكى يكونوا مهتدين .

قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون . يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله ، فقد هدى إلى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .) (٢)

يقول إبن كثير : فى هذه الآيات تعنيف من الله تعالى للكفرة أهل الكتاب على عنادهم وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله من أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم أن ماجاء به الرسول حق من عند الله ، وبما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين والسادة المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه ، ومابشروا ، ونوهوا به من ذكر النبى الأمى وخاتم الأنبياء ، وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم ذلك بماخالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء ومعاملتهم الرسول المبشر بالتكذيب والجحود

---

(١) البقرة آية ١٤٦ - ١٤٧

(٢) آل عمران آية ٩٩ - ١٠٣

والعناد ، فأخبرهم الله بأنه ليس بغافل عما يعملون ، وسيجزيهم على ذلك يوم لاينفع مال ولابنون ،ثم يحذر الله المؤمنين أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ماآتاهم الله من فضله ومامنحهم من إرسال رسوله ويودون لويردونكم بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم.
ويقول الله عز وجل : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .) يعني الكفر بعيد منكم فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلا ونهارا وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، ومن يعتصم بالله ويتوكل عليه يهده ويدله ويسدده إلى الطريق المستقيم وهو طريق الإيمان .ويأمر الله المؤمنين بتقواه حق التقوى وأن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا بالقسط. ويأمر الله المؤمنين بالإعتصام بعهد الله وبالقرآن وبالجماعة وعدم التفرق وأن يتذكروا نعمة الله عليهم حينما كانوا اعداءً فألف بين قلوبهم، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها بهدايتكم إلى الإيمان .) (١)
فالله عز وجل يأمر المؤمنين جميعا في كل عصر من العصور بالإعتصام وعدم التفرق كما كان شأنهم في الجاهليه أعداءً متقاتلين ،وألا يستمعوا إلى الأعداء من اليهود وغيرهم الذين يريدون إثارة الفتن والتفريق بين المؤمنين لتكون لهم السيادة كما يقال : فرق تسد .

ولقد رد الله على يهود الذين سألوا الرسول عليه السلام قاصدين بذلك إحراجه وتشكيك المسلمين في عقيدتهم وإظهار الرسول عليه السلام أمامهم بمظهر العاجز عن إجابتهم. ومن هذه الاسئلة أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما أنزلت التوراة مكتوبة على موسى .
قال تعالى عنهم: (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء .)(٢)
فرد الله عليهم موبخا لهم ومسليا للرسول عليه السلام بأن لايحزن فقد سأل أجداد هؤلاء من موسى أكبر من ذلك وهي : رؤية الله عز وجل عيانا بأبصارهم وأن حاضر هؤلاء كماضي آبائهم وأجدادهم وهو العناد والكبر والعنت .
قال تعالى : (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ،فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم.) (٣) وكان نتيجة تبجحهم مع الله عز وجل ومع رسوله

---

(١) تفسير إبن كثيرجزء ١ ،ص ٣٨٧-٣٨٩ (٢) ، (٣) النساء آية ١٥٣

أن أرسل عليهم صاعقة بسبب ظلمهم وطغيانهم. ورغم الأدلة والمعجزات والبراهين التى أتى بها موسى دليلاً على صدقه اتخذ بنو اسرائيل العجل ،فعبدوه من دون الله فعفا الله عنهم بسبب توبتهم التى تابوها الى الله وذلك بقتل أنفسهم ،وأعطى الله موسى الحجج والمعجزات الواضحة.
قال تعالى : (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا .) (١) .

ولقد بين الله جحود بنى إسرائيل وعنادهم فى قوله تعالى : (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا .) (٢)

يقول ابن كثير : (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وذلك حين إمتنعوا عن الإلتزام بأحكام التوراة ، وظهر منهم إباء عما جاءهم به موسى عليه السلام رفع الله على رؤوسهم جبلاً ثم ألزموا فالتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون إلى فوق رءووسهم خشية أن يسقط عليهم كما قال تعالى : (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة .) (٣) .

ولكن بنى إسرائيل كعادتهم نقضوا العهد الذى أخذه الله عليهم فلم يدخلوا باب مدينة بيت المقدس خاضعين طائعين شاكرين لله بل خالفوا ما أمرهم الله به من القول والفعل ،وتحايلوا على صيد الحيتان التى نهاهم الله عن صيدها يوم السبت ، ونكثوا عهودهم وكفروا بالله وقتلوا الأنبياء بلا حق وبلا ذنب وارتكبوا السيئات والمعاصى والذنوب لذلك عاقبهم الله باللعنة والخزى والذل والمسكنة والغضب من الله فى هذه الدنيا ويوم القيامة العذاب العظيم .

قال تعالى : (فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا .) (٤)

---

(١) النساء آية ١٥٣

(٢) النساء آية ١٥٤

(٣) تفسير إبن كثير جزء ١ ص ٥٧٣

(٤) النساء آية ١٥٥

لقد بينت لنا الآيات السابقة بعضاً من صفات اليهود القبيحة الملازمة لهم على مدى الدهور.

ومن المسالك الخبيثة الحقيرة التي اتبعتها يهود التلاعب بأحكام الله، ومحاولتهم بذلك أن يفتنوا الرسول عليه السلام.

لقد استعمل اليهود كل مايملكونه من مكر وخداع وخبث للكيد بالإسلام والمسلمين ومن ذلك التقاضي عند الرسول عليه السلام آملين أن يقضي ويحكم بينهم بغير ما أنزل الله فيشيعوا ذلك بين الناس بأن محمدا غير صادق في نبوته لأنه لو كان صادقا لحكم بما أنزل الله ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أحبط مكرهم وكيدهم حيث حكم فيهم بما أنزل الله، فهم أرادوا أن يحكم في زانيين بغير ما أنزل الله.

فرد الله عليهم مواسيا رسوله ومبينا صفات اليهود التي تتكرر في كل زمان ومكان فقال عز وجل : (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم. ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم. سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا . وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) (١)

من الآيات السابقة تبينت لنا بعض من صفات اليهود المجبولين عليها وهي : الإسراع في الكفر - الإيمان باللسان دون القلب - الإستماع الى الكذب - تحريف الكلام - عدم الحكم بما أنزل الله - أكل المال الحرام - وقد كررت الآيات توبيخهم وتأنيبهم لتلاعبهم بالدين وانحرافهم عن الطريق المستقيم إلى الطريق الحقير وحذرت الرسول عليه السلام والمؤمنين منهم ومن خداعهم ومكرهم وشرهم وبينت لهم مافيه السعادة والفلاح في الدنيا والآخره.

---

(١) المائدة آية ٤١ - ٤٣

ولقد عجب الله من تحكيم اليهود للرسول عليه السلام بعد علمهم بما في التوراه من حد الزاني ثم تركوا الحكم الذى لجئوا اليه طلبا للرخصة ،فأعرضوا عنه ،وقد حكم فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجم حتى الموت وهذا الحد موجود في التوراة ،ولكنهم أعرضوا عنه وبدلوه بالتجبية.

يقول الرازى : (لقد ظهر جهلهم وعنادهم في هذه الواقعة من وجوه وهى :

١ - عدولهم عن حكم كتابهم.

٢ - رجوعهم إلى حكم من كانوا يعتقدون فيه أنه مبطل .

٣ - إعراضهم عن حكمه بعد أن حكموه فبين الله جهلهم وعنادهم لئلا يغتر بهم مغتر أنهم أهل كتاب وحافظين . (١)

ولقد رد الله عز وجل على يهود الذين حاولوا أن يردوا المسلمين عن دينهم وذلك بإظهارهم الإيمان ثم رجوعهم بعد ذلك إلى الكفر حتى يدخل الشك في قلوب ضعاف الإيمان ويجعلهم في حيرة واضطراب فقد كانوا ينظرون إلى يهود بأنهم أهل كتاب وأنهم أعلم منهم حيث كانوا أميين ،وأنهم ما ارتدوا عن الإسلام إلا لعلمهم بنقص فيه وعيب .

قال تعالى : (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم .) (٢)

فرد الله عليهم بقوله : (قل إن الهدى هدى الله .) (٣)

أى أن هداية الله ليست مقصورة علىا ليهود وانما هى ملك لله عز وجل وحده يهبها لمن يشاء من عباده المؤمنين ،ثم يبين الله قبائح اليهود وأنانيتهم التى جعلتهم يتواصون بعدم الإيمان وهى :

١ - (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) أى لا تظهروا ماعندكم من العلم للمسلمين فيتعلمونه منكم ويساوونكم فيه ويمتازون عليكم لشدة إيمانهم .

---

(١) تفسير الرازي جزء ٣ ،ص ٤٠٧

(٢) ،(٣) آل عمران آية ٧٢ - ٧٣

٢ - (أو يحاجوكم به عند ربكم) أى يتخذونه حجة عليكم بما فى أيديكم وتقوم عليكم الحجة فى الدنيا والآخرة. (١) وقد بين الله تعصب اليهود وعنصريتهم للباطل حيث تواصوا بألا يؤمن منهم إلا لمن كان على دينه وشاكلته.

فرد الله على يهود بقوله: (قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.) (٢)
يقول إبن كثير: الأمور كلها تحت تصرف الله وهو المعطى المانع يمن على من يشاء بالإيمان والعلم والتصرف التام، ويضل من يشاء فيعمى بصره وبصيرته ويختم على قلبه وسمعه ويجعل على بصره غشاوة وله الحجة التامة والحكمة البالغة اختصكم أيها المؤمنون من الفضل بما لا يحد ولا يوصف بما شرف به نبيكم محمداً على سائر الأنبياء وهداكم به إلى أكمل الشرائع. (٣)
ولقد رد الله عز وجل على يهود ووبخهم على تحالفهم مع المشركين وقولهم: بأنهم أهدى من المؤمنين ، وبين ماجبل عليه اليهود على مر العصور من بخل وحسد وأنانية وجحود للحق وكفران ، وذلك حينما ذهب حيي بن الأخطب ، وكعب بن الأشرف الى أهل مكة ،فقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وعلم فأخبرونا عنا وعن محمد ،فقالا ما أنتم ؟ ومامحمد ؟ فقالوا نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقى الماء على اللبن ونفك العانى ، ونسقى الحجيج ،ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجيج من غفار فنحن خير أم هو ؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى. (٤)

وقد صور الله رأيهم بقوله: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا.) (٥)

---

(١) تفسيرابن كثير جزء ١ ،ص ٣٧٣

(٢) آل عمران آية ٧٣ - ٧٤

(٣) تفسير إبن كثير جزء ٣٧٣

(٤) تفسير إبن كثير جزء١ ،ص ٥١١

(٥) النساء آية ٥١

فرد الله عليهم مبيناً حكمه فيهم : (أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا .) (١)

فهذا إخبار من الله بلعنهم وطردهم من رحمته وبعدم نصرتهم في الدنيا والآخرة وذلك لكونهم ذهبوا يستنصرون بالمشركين ضد الرسول عليه السلام والمؤمنين ، وقد استجاب لهم المشركون وجاءوا معهم يوم الأحزاب لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، والتي نصر الله فيها المؤمنين ، وخذل الأحزاب من الكفار والمشركين .

ولقد صور الله كذب اليهود في قولهم : (ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا .) (٢)

فهم ما قالوا هذا القول الكاذب إلا إرضاءً لقريش حتى يستميلوها لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وقد بين الله بأن اليهود تركوا العمل بما جاءهم من التوراة وهم قد أوتوا نصيباً من الكتاب فلو كانوا عاملين ومطبقين لأحكام التوراة لما فضلوا عبادة المشركين على عبادة المسلمين .

ثم وبخ الله يهود على بخلهم وحسدهم وأنانيتهم التي جعلتهم لا يؤمنون بالرسول عليه السلام حسداً وعناداً ، وأنانيتهم التي جعلتهم لا يتمنون الخير لأحد من غير اليهود .

قال تعالى : (أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما . فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا .) (٣)

وأنكر الله على يهود بخلهم وحسدهم وأنانيتهم ، فلو كان لهم نصيب من الملك والتصرف لما أعطوا أحدا من الناس شيئا ولو كان قدر النقير وهو النقطة التي في النواة ، والذي منعهم من الإيمان بسيدنا محمد صلى الله عليه حسدهم كونه من العرب ولم يكن من بني إسرائيل مع أن الله قد أعطى

---

(١) النساء آية ٥٢

(٢) النساء آية ٥١

(٣) النساء آية ٥٣ - ٥٥

بنى إسرائيل النبوة والحكمة والملك فمنهم من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم من كفر به والله قد أعد للكافرين عذاباً أليماً فى جهنم سعيرا .

ولقد رد الله على اليهود وبين ما أعده لهم من العذاب الأليم والجزاء العظيم بسبب إيذائهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وذلك أن اليهود كانوا يؤذون الرسول عليه السلام بالقول وبالفعل ومن ذلك قولهم : راعنا بدلا من اسمع لنا ، والسام عليكم بدلا من السلام عليكم ، كذلك إذا نودى للصلاة إتخذوها هزواً ولعباً . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم .) (١)

يقول إبن كثير : (أن اليهود كانوا يعانون من الكلام مافيه تورية لمايقصدون من التنقيص فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا . يقولوا : راعنا ، ويورون بالرعونة وكذلك جاءت الاحاديث أنهم كانوا إذا سلموا إنما يقولون : السام عليكم والسام هو الموت .) (٢)

لذلك نهانا الله عن التشبه بالكافرين فى القول والفعل ، وحذرنا من ذلك ، وبين لنا عداوة الكفار والمشركين ، وحسدهم وعدم تمنى الخير للمؤمنين قال تعالى : (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم .) (٣)

ثم بين الله للمؤمنين ما أنعم عليهم من خير وهو بعثة الرسول عليه السلام، وإنزال القرآن الكريم الذى فيه كل مايحتاج البشر من تشريع وفضائل واخلاق وعلوم .

قال تعالى : (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .) (٤)

ولقد نهى الله عز وجل المؤمنين من موالاة أهل الكتاب ، والكفار ومحبتهم بسبب إستهزائهم بالدين وخاصة الصلاة التى اتخذوها هزوا ولعبا .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لايعقلون .) (٥)

---

(١) البقره آية ١٠٤ (٢) تفسير إبن كثير جزء ١ ، ص ١٤٨

(٣) البقره آية ١٠٥ (٤) البقرة آية ١٠٥

(٥) المائده آية ٥٧ – ٥٨

ولقد بين الله سبب نقمة أهل الكتاب على المؤمنين وهي إيمانهم بالله عز وجل وبما أنزل من الكتب التي قبل القرآن والتي لم تحرف وإيمانهم بالقرآن .

قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وبما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون .) (١)

وقد رد الله عز وجل عليهم بأن شر الناس جزاءً عنده يوم القيامة هم الذين لعنهم الله، وغضب عليهم ، وأبعدهم من رحمته وطردهم منها ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، أولئك شر مكانا ، وأضل وأبعد عن الصراط المستقيم وهو طريق الإيمان والحق حيث ابتعدوا عنه ، واتبعوا طريق الشيطان وهو طريق الضلال والكفر .

قال تعالى : (قل هل أونبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل .) (٢)

وأما محاولتهم قتل الرسول عليه الصلاة والسلام فقد حفظ الله رسوله عليه الصلاة والسلام من هذه الفعلة الدنيئة التي تدل على خسة ماقاموا به طالباً من المؤمنين أن يشكروا الله على هذه النعمة وهي نجاة الرسول صلى الله عليه وسلم من كيدهم ومكرهم . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .) (٣)

يقول ابن كثير : (أنها نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحى لما جاءهم يستعينهم في دية العامريين حيث وكلوا عمرو بن جحاش بن كعب بذلك وأمروه ان جلس النبي عليه السلام تحت الجدار ، واجتمعوا عنده أن يلقى تلك الرحى من فوقه ، فأطلع الله نبيه عليه السلام على ماتماثلوا عليه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينه ورجع أصحابه من ورائه .) (٤)

---

(١) المائدة آية ٥٩

(٢) المائدة آية ٦٠

(٣) المائده آية ١١

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ، ص ٣٢

وكذلك حينما نجى الله رسوله عليه السلام من الموت حينما وضعت له امرأة يهودية السم في الشاة، فنجاه الله منها، وهذه نعمة من الله تستحق أن نشكره عليها، كما أنها فضيحة لليهود، ولسرائرهم، وليتهم أدركوا أنها من الله فآمنوا، فانتفعوا بإيمانهم، ولكن ذلك لم يحصل.

قال إبن إسحاق: (لما أطمأن النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مشوية، وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إليه ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها، وأكل معه بشر بن البراء فأساغ لقمته، وأنه مات من السم أي بشر.) (١)

فالله عز وجل رد كيدها ليهود في نحورهم حيث نجا رسوله منهم وحفظه وعصمه منهم كما حفظ دينه وشرعه منهم، وعلى الله يتوكل المؤمنون.

يقول إبن كثير: (من توكل على الله كفاه ماأهمه وحفظه من شر الناس وعصمه.) (٢)

قال تعالى: (ومن يتق الله يجعل الله مخرجا. ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً.) (٣)

ولقد رد الله على قولهم: (لايغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لايعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وإنك لم تلق مثلنا.) (٤) وقد كان غرضهم من ذلك التهديد والتثبيط فرد الله عليهم بقوله: (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.) (٥).

---

(١) فتح الباري جزء ٧، ص ٤٩٧

(٢) تفسير ابن كثير جزء ٢، ص ٣٢

(٣) الطلاق آيه ٢ - ٣

(٤) تفسير ابن كثير، جزء ٢، ص ٣٥٠

(٥) آل عمران آيه ١٢ - ١٣

يقول الله عز وجل : قد كان لكم أيها اليهود القائلون ماقلتم دلالة على أن الله معز دينه وناصر رسوله، ومظهر كلمته ، ومعل أمره في طائفتين تقاتلا وهم مشركوا قريش يوم بدر ، والمؤمنون الذين قاتلوا في سبيل الله وكان المشركون يرون المؤمنين مثيلهم في العدد رأى أعنيهم أى جعل الله ذلك فيما رأوه سببا لنصرة الإسلام عليهم ، وقيل أن المسلمين كانوا يرون الكافرين ضعفيهم في العدد ومع ذلك نصر الله المؤمنين على الكافرين ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لمن له بصيرة فهم ليهتدى به إلى حكم الله وأفعاله وقدره الجارى بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . (١)

ولقد رد الله على يهود الذين وسوسوا للمنافقين بعدم الإنفاق على الرسول وعلى المؤمنين حتى ينفضوا ويتركوا المؤمنين والرسول عليه السلام قائلاً : ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون .) (٢)
فبين الله عز وجل لليهود وللمنافقين ، أن خزائن السموات والأرض بيده ، فلو امتنع أهل الأرض جميعاً عن مساعدة هذا الدين فإن الله سيسخر له من يؤيده ، وينصره وينشره .
ولقد رد الله على يهود الذين حاولوا مناصحة المؤمنين بعدم الإنفاق على الرسول وصحابته بقوله : (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً .) (٣) . فبين الله بأنه أعد جهنم لهم يصطلون بحرها وينالون فيها الهوان والذل .
ولقد رد الله على يهود الذين تركوا الحكم بما أنزل الله ، ولم يتبعوا الرسول بعد أن عرفوا وتأكدوا بأن نبى مرسل من عند الله قائلاً لرسوله : (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوآمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا .) (٤)

(١) تفسيرابن كثير جزء ١ ، ص ٣٥٠ .
(٢) المنافقون آية ٧
(٣) النساء آية ٣٧
(٤) المائدة آية ٤١

ورد الله على يهود الذين استهزأوا بمن آمن منهم، وقالوا : ما آمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا من أخيارنا ماتركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره .)

فرد الله عليهم بقوله : (ليسو سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين . ومايفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين . إن الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وماظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .) (١)

يقول الله عز وجل : ليس كل اليهود سواء بل منهم الذين آمنوا بالله واتبعوا شرعه وقاموا على أمره يتلون آيات الله آناء الليل والنهار، ويكثرون من التهجد ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات فهؤلاء من الصالحين ومايفعلوا من خير وعمل صالح فلا يضيع عند الله بل يؤجرهم الله عليه ويجازيهم الجزاء العظيم لأن الله عليم بالمتقين منهم حيث لا يخفى عليه أعمالهم ولا يضيع عنده أجر المحسنين منهم . أما الكفار فإنها لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ولاتغنيهم عن الله ولا ترد عنهم بأس الله إذا أراد الله بهم بأساً ، وأولئك ملازمون النار ومخلدون فيها ، ثم ضرب الله مثلاً لما ينفقه الكافرون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها برد شديد أصابت حرث قوم كافرين فأحرقته وأفسدته وكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم فى هذه الدنيا ، وماظلمهم الله ، ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم باتباعهم طريق الضلال والكفر فاستحقوا لذلك عذاب الله وغضبه .

ولقد رد الله على يهود الذين تهجموا على ذات الله ، حيث سألوا عمن خلق الله؟ وعن ذراع الله؟ وعن عضد الله ؟

فأنزل الله فيهم قوله : (وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون .) (٢)

---

(١) آل عمران آية ١١٣ - ١١٧

(٢) الزمر آية ٦٧

ولقد رد الله على اليهود الذين سألوا الرسول عليه السلام أن يخبرهم متى تقوم الساعة إن كان نبياً كما يقول ؟

فأمر الله نبيه أن يقول لهم : (قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفي عنها، قل إنما علمها عند الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .) (١)
ولقد أرادت يهود من سؤالها التعنت والجدل، فهم يعلمون أن علم الساعة عند الله لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

ولقد رد الله على يهود الذين إدعوا أنهم على حق ، فأنزل فيهم قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين .) (٢) يقول الله تعالى لرسوله عليه السلام : أن يقول لأهل الكتاب : بأنهم ليسوا على شيء من الدين حتى يقيموا التوراة والإنجيل ، ويؤمنوا بجميع الكتب المنزلة من الله على أنبيائه ويعملوا بما فيها ويؤمنوا بمحمد عليه السلام ويتبعوه . (٣)
ولقد رد الله على يهود الذين أنكروا نبوة عيسى عليه السلام فقالوا : لا نؤمن بعيسى إبن مريم ولا بمن آمن به .

فأنزل الله فيهم قوله : (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل، وإن أكثركم فاسقون .) (٤)

ولقد رد الله عليهم قولهم : أتريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم ؟ فأنزل الله فيهم قوله تعالى : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين

---

(١) الاعراف آية ١٨٧

(٢) المائدة آية ٦٨

(٣) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٨١

(٤) المائدة آية ٥٩

بما كنتم تعلمون الكتاب، وبما كنتم تدرسون .) (١)

فبين الله لهم بأن دعوة جميع الرسل واحدة وهي توحيد الله وعبادته وعدم الإشراك به ودعوة الناس لذلك .

ولقد رد الله عليهم حينما طلبوا من الرسول عليه السلام : أن يفجر لهم أنهارا لكي يتبعوه ويصدقوه ، فأنزل فيهم قوله : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل .) (٢)

فقد بين الله لهم بأن الأسئلة على وجه التعنت تؤدى إلى الكفر .

ولقد رد الله على يهود الذين حاولوا مع الرسول أن يحكم لهم ويكون الحكم لصالحهم حتى يتبعوه ، ويؤمنوا به .

فأنزل الله فيهم قوله : (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم . واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ،فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون . أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .) (٣)

يأمر الله عز وجل رسوله عليه السلام الحكم بين الناس جميعا بما أنزل الله وهو القرآن الكريم ولا يتبع آراءهم ويحذر أعداءه اليهود أن يدلسوا عليه الحق فيما ينهونه إليه من الأمور فلا يغتربهم فإنهم كذبة كفرة خونة ، فإن أعرضوا عن حكم الله وخالفوا شرعه فإن ذلك كائن عن قدرة الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما لهم من الذنوب السالفة التى اقتضت ضلالهم ونكالهم . (٤)

ولقد رد الله على يهود الذين زعموا أن جبريل عدو لهم ولم يؤمنوا بالرسول عليه السلام لأن جبريل وليه ونقضوا العهد الذى أعطوه للرسول عليه السلام إذا أخبرهم وأجابهم على أسئلتهم ،فأنزل فيهم قوله : (قل من كان

---

(١) آل عمران آية ٧٩

(٢) البقرة آية ١٠٨

(٣) المائدة آية ٤٩ - ٥٠

(٤) تفسير ابن كثير جزء ٢ ،ص ٦٨

عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين . ولقد أنزلنا آيات بينات ومايكفر بها إلا الفاسقون .أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون .) (٣)

وهكذا رد القرآن على عقائد اليهود المحرفة فى الله وفى الرسل ورد على مواقفهم العدائية التى كانت ضد الإسلام والمسلمين والتى لا تزال حتى الوقت الحاضر مستمرة فى كل بقاع العالم الإسلامى .

---

(١) البقرة آية ٩٧ ـ ١٠٠

الفَصْلُ السَّابِعُ

المَسِيحِيَّةُ

الفصل السابع

المسيحية

المسيحية فى أصلها دين سماوي ، فقد بعث الله عيسى عليه السلام كما بعث محمداً عليه الصلاة والسلام ، وأنزل على عيسى عليه السلام الإنجيل كما أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام القرآن .

قال تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّن من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهٰرون وسليمٰن وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً .) (١)

فقد أرسل الله عيسى عليه السلام بشيراً ونذيراً كما أرسل غيره من الرسل لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد إرسال الرسل .

قال تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .) (٢)

قال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى إبن مريم وآتيناه الإنجيل .) (٣) .

فعيسى رسول من الله عز وجل كغيره من الرسل دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وإلى توحيده .

قال تعالى : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذونى وأمي إلٰهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أنْ أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ، ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم إلا ماأمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .) (٤) .

---

(١) النساء آية ١٦٣ – ١٦٥ (٢) الشورى آية ١٣

(٣) الحديد آية ٢٦ – ٢٧ (٤) المائدة آية ١١٦ – ١١٧

فمن هذا النص يتبين لنا أن عيسى عليه السلام دعا إلى التوحيد الخالص لله عز وجل ، وقد أيده الله بالمعجزات الدالة على صدقه بأنه رسول من عند الله كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الدالة على صدقهم .

معجزات عيسى عليه السلام

لقد أيد الله عيسى عليه السلام بالمعجزات كما أيد الأنبياء الآخرين بالمعجزات الدالة على صدقهم بأنهم رسل من عند الله .

١ - المعجزة الأولى : أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، فالخالق هو الله عز وجل ولكن الله أجرى هذه المعجزة لسيدنا عيسى عليه السلام .

٢ - المعجزة الثانية : إحياء الموتى بإذن الله .

٣ - المعجزة الثالثة : إبراء الأكمه والأبرص بإذن الله .

٤ - المعجزة الرابعة : إنزال مائدة من السماء بإذن الله .

٥ - المعجزة الخامسة : إخباره عليه السلام بأمور غائبة عن حسه بإذن الله .

قال تعالى : (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم إذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين .) [١]

وقال تعالى : (إذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم . هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال إتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين .) [٢]

---

(١) المائدة آية ١١٠

(٢) المائدة آية ١١٢ - ١١٥

وقال تعالى مخبراً عما قال عيسي لقومه : (وأنبئكم بما تأكلون وماتد خــرو ن في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم موءمنين .) (١)

ومن المعجزات التي أيد الله بها عيسى عليه السلام وجوده بلا أب وتكلمه في المهد . يقول الشهرستاني : (وكانت له آيات ظاهرة وبينات زاهرة مثـل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعليم سالف .) (٢)

ولقد بعث الله عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل خاصة كما قال تعالـى : (ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية .) (٣) . وكما قال عيسى عليه السلام لقومه : (لم أرسل إلا إلى خرافبني إسرائيل الضالة .) (٤) .

ورغم ما بذله المسيح عليه السلام من جهود في نشر دعوته ، ورغم ما أجـرى الله عليه من معجزات باهرات تدعو إلى الإيمان به ، فإن بني إسرائيل لـم يستجيبوا لدعوته ولم يوءمن به إلا عدد قليل . أما أكثر اليهود فقد أنكـروا دعوته . وحاولوا قتله حيث دبروا مكيدة لصلبه ، فنجاه الله منهم وألقـى الشبه على واحد منهم ظانين أنه عيسى عليه السلام .

قال تعالى : (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم .) (٥)

ثم رفعه الله إليه بعد أن توفاه . قال تعالى : (ومكروا ومكر الله والله خيرالماكرين إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا .) (٦)

---

(١) آل عمران آية ٤٩

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ، ص ٥٩ ، جزء ٢ ٦

(٣) آل عمران آية ٤٩

(٤) متى الاصحاح ١٥ ص ٢٨

(٥) النساء آية ١٥٧

(٦) آل عمران آية ٥٤ - ٥٥

مما سبق رأينا أن عيسى عليه السلام كان يدعو إلى العقيدة السمحاء عقيدة التوحيد الخالصة لله عز وجل التى دعا إليها جميع الرسل والأنبياء لكن هذه العقيدة بعد أن رفع الله المسيح إليه لم تبق كما كانت إنما حرفوها وبدلوها وغيروها كما غيروا وبدلوا وحرفوا الإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام.

يقول إبن القيم : (وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضها بعضا ويناقضها وأن مافيها من الزيادة والتحريف والنقصان مالايخفى على الراسخين في العلم. وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس من الإنجيل الذي أنزله الله على المسيح وكيف يكون فى الإنجيل الذي أنزل على المسيح (قصة صلبه وماجرى له ، وأنه أصاب كذا وكذا ، وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مماهو من كلام شيوخ النصارى ، وغاية أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلا .
والنصارى لايقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون فى أزمان مختلفة ولا يعرفون عن الإنجيل غير هذا .) (١)

---

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ،تأليف إبن قيم الجوزية تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

الأناجيل المعتبرة عند النصارى

١ - إنجيل متى :

ألفه متى اللاواني تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام وقد كتبه بالعبرانية فى بلد يهوذا بالشام .

٢ - إنجيل مارقش: (مرقس)

ألفه مارقش الهـارونى تلميذ شمعون الصفا بن توما المسمى باطرة بعد إثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح عليه السلام وقد كتبه باليونانية فى بلد إنطاكية من بلاد الروم ويقولون أن شمعون المذكور هو الذى ألفه ثم محى إسمه من أوله ونسبه إلى تلميذه مارقش وشمعون هو تلميذ المسيح

٣ - إنجيل لوقا :

ألفه لوقا الطبيب الإنطاكي تلميذ شمعون باطرة وكتبه باليونانية فى بلد أقاية بعد تأليف مارقش .

٤ - إنجيل يوحنا :

ألفه يوحنا ابن سيذاي من تلاميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية فى بلد إشينية .

ويوحنا هو الذى ترجم إنجيل متى من العبرانية إلى اليونانية . والنصارى يعظمون كتاب الإفركسيس الذي ألفه لوقا الطبيب فى أخبار الحواريين وأخبار بولس البنيا مينى .

كتاب الوحى والإعلان :

ألفه يوحنا بن سيذاي وهو فى غاية السخافة والركاكة لما فيه من خرافات .

الرسائل القانونية :

وهى سبع رسائل : ثلاث رسائل ليوحنا بن سيذاي - ورسالتان لباطرة شمعون . ورسالة واحدة ليعقوب بن يوسف النجار والثانية لأخيه يهوذا .

رسائل بولـــس :

وهي خمس عشرة رسالة مملوءة حمقاً ورعونةً وكفراً . (١)

هذه الأناجيل التي هي معتمد النصارى هناك إختلاف في تاريخ تدوينها وفي ترجمة بعضها ، وفي نسبة من كتبها .

فمثلا إنجيل متى كتب بالعبرية ولكن هناك اختلاف في من ترجمه إلى اليونانية ؟ وفي أي عام دون ؟ وفي أي عام ترجم ؟ وعدم وجود النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية والجهل لحال المترجم كل ذلك يؤدي إلى عدم الثقة به واليقين منه .

يقول الأستاذ أبو زهرة : (ولاشك أن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح أوغيره ، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها ، وكل هذا يؤدى إلى فقد حلقات في البحث العلمي .) (٢)

ويقال بأن متى كان من تلاميذ المسيح وكان قبل ذلك جابياً للرومان .

أما إنجيل مرقس فيقولون : أنه كتب بتدبير من بطرس وآخرون يقولون أن مرقس ماكتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس وبولس فقد قرر الكاتب القديم أربينوس: أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس . كذلك إختلفوا في زمن تأليفه فيقول هورن : ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ ومابعدها إلى سنة ٦٥ والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ م ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين أنه كتب سنة ٦١ م .

أما إنجيل لوقا فقد إختلف في مولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل ، فمنهم من يقول : (إنه إنطاكي ولد بإنطاكية ومنهم من يقول إنه روماني ولد بإيطاليا ومنهم من يقول : إنه كان طبيباً ، ومنهم من يقول أنه كان مصوراً وكلهم متفقون بأنه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من تلاميذ الحواريين وإنما من تلاميذ ورفقاء بولس الذي له شأن خطير على المسيحية .

---

(١) الفصل في الملل والاهواء والنحل ـ لابن حزم جزء٢ ، ص ٢ ـ ٣

(٢) محاضرات في النصرانيه للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ص ٤٩ .

كذلك اختلف في القوم الذين كتب لهم هذا الانجيل كما اختلف في تاريخ تدوينه . (١)

هذه الأناجيل الثلاثة لم تصرح بألوهية المسيح عليه السلام وإنما الذى صرح بألوهيته إنجيل يوحنا الذي سنتكلم عنه الآن حيث يعتقد النصارى أن كاتب إنجيل يوحنا هو الحواري بن زيد الذي كان يحبه المسيح عليه السلام، ولكن بعضاً من محققي المسيحية ، أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل يوحنا الحواري بل أنه لايمت إليه بصلة وأن هذا الإنكار ليس الآن وإنما كان قد إبتدأ في القرن الثاني الميلادي فإن العلماء بالمسيحية أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري .

قال استادلن : (إن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إليه .) (٢)

ويقول الشيخ أبو زهرة : لقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى مانصه : (أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزورا أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهم لبعض وهما القديسان يوحنا ، ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ، ووضعت إسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لارابطة بينها وبين من نسبت إليه ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى .) (٣)

---

(١) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٠ - ٥٤

(٢) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٥

(٣) محاضرات في النصرانية ، ص ٥٥ - ٥٩

كذلك قد اختلف في تاريخ تدوينه كغيره من الأناجيل .

ويقال : أنه كتب لغرض خاص، وهو أن بعض الناس قد ساد عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية، فكتب هذا الإنجيل .

وقد قال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه : (أن شيرينطوس وأبيسون وجماعتهما لماكانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنسانا ، وأنه لم يكن قبل أمه مريم فلذلك في سنة ٩٦ أجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون وأن يكتب بنوع خاص ألوهية المسيح . (١)

كما قال بمعنى ذلك يوسف الدبس في مقدمة تفسيره ، وصاحب مرشد الطالبين . فالجميع يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة بعينها .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٥٥ - ٥٩

رسائل الرسل

وتسمى الأسفار التعليمية ماعدا رسالة أعمال الرسل . وعددها اثنتان وعشرون رسالة .

١ - الأولى : وتسمى أعمال الرسل وتنسب إلى لوقا صاحب الإنجيل .

٢ - أربع عشرة رسالة كتبها بولس .

٣ - ورسالة كتبها يعقوب.

٤ - ورسالتان كتبها بطرس .

٥ - وثلاث رسائل كتبها يوحنا .

٦ - ورسالة كتبها يهوذا .

هذه الرسائل تعليمية وعظية ، وتتعرض كثيراً لذكر بنوة المسيح وتخليصه للعالم من خطيئته .

٧ - رسالة أخرى تسمى السفر النبوي وهي روءيا يوحنا اللاهوتي ، وتعني ببيان ألوهية المسيح وسلطانه في السماء ، وعلمه بحال الكنيسة والقائمين عليها .

هذه الرسائل كتبت باليونانية . (١)

---

(١) كتاب النصرانية ص ٧٦-

رسائل الرسل : أطلق هذا الإسم على واحد وعشرين سفراً في العهد الجديد كتبها الرسل إلى كنائس معينة أو أشخاص معينين أو إلى المسيحيين بصفة عامة . وقد كتب بولس أربعة عشر رسالة وثلاثة عشر رسالة ، ويعقوب واحدة وبطرس رسالتين ويوحنا ثلاثاً ويهوذا واحدة ولاشك في أن العهد الجديد لايتضمن جميع ماكتبه الرسل غير أن الكنيسة الأولى قررت أن هذه الرسائل الحالية هي القانونية التي كتبت بإلهام الروح القدس (كما يزعمون) وقد كتبت بعض الرسائل قبل كتابة الأناجيل فرسالة يعقوب ربما كانت هي أسبق أسفار العهد الجديد حيث كتبت حوالي ٥٠م.

وكل الرسائل ماعدا الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يوحنا الأولى تبين في بدايتها إسم كاتبها وإسم الكنيسة أو الشخص الموجهة إليه أما رسالة بطرس ويهوذا فإنها موجهة إلى جماهير المؤمنين . قاموس الكتاب المقدس ص ١٨ .

والآن سنتكلم عن بولس مؤسس النصرانية المحرفة.

فقد إختلف في جنسيته وفي ديانته ، حيث كان من أشد الأعداء على المسيحية وكان نشيطاً ، ذكياً ، قوي التأثير على من حوله ، لذا إستطاع أن يؤثر على المسيحيين مدعياً بأنه رأى عيسى عليه السلام حيث عاتبه على أفعاله بالمسيحيين وأمره أن يدعو بالمسيحية فإدعى بأن الإلهام يأتيه لذلك كتب هذه الرسائل الكاذبة المزورة التي نادى فيها بألوهية المسيح ، وأخذ يطوف في الأقاليم ، ويلقي في الجموع دعواه الكاذبه، وأقواله المحرفة الباطلة.

يقول إبن القيم : (بولس الشمشاطى هو أول من إبتدع فى شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب، لا يختلف فيه إثنان منهم، فقال بولس هذا وهو أول من أفسد دين النصارى - إن سيدنا المسيح خلق من اللاهوت إنسانا كواحد منّا في جوهره، وأن ابتداء الإبن من مريم ، وأنه إصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الأنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ، ولذلك سمي إبن الله وقال : إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد .) (١)

هذه المصادر الكاذبة هى التي إستقت منها النصارى ديانتهم المحرفة المبدلة، التى لا تدين إلى دين سماوي . وعلماً بأنه يوجد إنجيل برنابا هذا الإنجيل الذي لم تعترف به الكنائس وأنكرته ، فليس معتبراً عند المسيحيين مصدراً دينياً ولكنه متداول بين علماء الأمم الأوربية ، وقد إتجهوا إليه بالبحث والعناية رغم إنكار الكنيسة له.

وكاتب هذا الإنجيل هو الرسول برنابا وهو قديس من قديسي المسيحية وقد جاء في هذا الإنجيل :

١ - أن المسيح لا يعتبر إلها ولا إبن إله.

٢ - أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم عليه السلام للفداء هو إسماعيل وليس إسحق.

---

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، ص ٣١٨

٣ - أن المسيح المنتظر هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس يسوع عليه السلام.

٤ - أن عيسى عليه السلام لم يصلب وإنما شبه لهم حيث ألقى الله المشبه على يهوذا الإسخريوطى . (١)

عقائد النصارى بعد التحريف

كانت عقيدة النصارى التى جاء بها المسيح عليه السلام غاية فى البساطة فقد كان يعلن التوحيد كما يعلن أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بعث إلى خراف بني إسرائيل الضالة وكان يعلن بأنه مبعوث إلى بنى إسرائيل خاصة. يقول شارل جينيبز: (كانت رسالة المسيح قائمة على التوحيد وكان هم السيد المسيح كل همه أن يدعو إلى الخلق الكريم. إنه يدعو إلى الرحمة والمحبة والتعاطف ،ولم يدخل فى تفاصيل العقائد ،ولم يتحدث عن شريعة ، وكان يؤمن بأنه نبى من أنبياء بني إسرائيل ،وكان أنبياء بني إسرائيل فيما عدا موسى عليه السلام لا شأن لهم بحديث عن عقيدة أو عن تشريع ، التوحيد وخلق كريم ،فى ذلك يتلخص جوهر دعوة عيسى ،أما المسيحيه الحاضره بكل مافيها من عقائد وطقوس وشعائر فإنها غريبة وبعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح عليه السلام.

وأن المسيحية بدأت تنفصل منذ دخلها بولس، وأن عقيدة بنوة المسيح إنما هى عقيدة كانت أثراً لخطأ فى ترجمة كلمة (عبد الله) التى كان يقولها السيد المسيح كثيرا . كيف تترجم : (عبد الله) ؟

وما كان أمام القديس بولس إلا أن يترجمها بكلمة (طفل) أو بكلمة (خادم) واختار بولس أن يترجمها بكلمة (طفل) طفل الله.

وكان لذلك تغير هائل فى المسيحية ،وفى الفكرة الدينية عن صورة الإله فى الفلسفة عامة ،وفى الدين المسيحي خاصة .) (٢)

---

(١) محاضرات فى النصرانية ،ص ٦٤ - ٧٤

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ،تأليف شارل جينيبز ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود . ص ٥٠ - ٥١

يقول مرقس في إنجيله : (سأله أحد الكتبة أي وصية هى أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هى إسمع ياإسرائيل . الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى .

فقال الكاتب : جيداً يامعلم . بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ومحبوب من كل قلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة .) (١)

فبين المسيح عليه السلام أن أول كل الوصايا هى توحيد الله وحبه لأنها أساس الدين وجوهره .

وسأله واحد قائلاً : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية فقال يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله .) (٢)

فعيس عليه السلام يعترف بأنه بشر يخطىء أما صفات الكمال فهي لله عز وجل المنزه عن كل نقص .

وحينما عرض إبليس على المسيح عليه السلام أن يعطيه جميع ممالك العالم ومجدها إن خر وسجد له قال يسوع : إذهب ياشيطان . لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد .) (٣)

رفض عيسى عليه السلام ممالك العالم ومجدها لكي لايشرك بالله الواحد المعبود .

هكذا كانت عقيدة المسيح قبل أن يحرفها يوحنا وبولس . كانت عقيدة صافية منزلة من عند الله كسائر العقائد الربانية التي أنزلها على جميع الأنبياء والرسل .

أما العقيدة الجديدة فهي من صنع البشر عقيدة باطلة كاذبة لايقبلها العقل ولا المنطق وسوف نعرضها لكي يرى من له عقل وتفكير هذه الترهات والأباطيل .

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ ، ص ٧٩

(٢) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠ ، ص ٧٤

(٣) إنجيل متى الإصحاح الرابع ، ص ٧

عقيدة النصارى المحرفه في الله عز وجل

يعتقد النصارى بأن المسيح عليه السلام هو إبن الله.

قال تعالى : (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يوءفكون . إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .) (١)

وهناك من يرى بأن المسيح هو الله حاشا مايقولون وتعالى الله عمايقولون علواً كبيراً.

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض ومابينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير .) (٢)

وقال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار .) (٣)

وهناك من النصارى من يذهب إلى أن الله ثالث ثلاثة حيث جعلوا المسيح وأمه إلهين مع الله . (٤)

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم .) (٥)

وهناك من أله مريم. إجتمع النصارى في عهد قسطنطين الرومي بن هلانة الحرانية الفندقية وفي زمنه اقر تبديل دين المسيح (٦) وهو الذى كان قد أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفي رجل ،

---

(١) التوبة آيه ٣٠-٣١

(٢) المائدة آيه ١٧

(٣) المائدة آيه ٧٢

(٤) تفسير إبن كثير جزء ٢ ،ص ٨٢ (٥) المائدة آية ٧٣

(٦) أي أقر التبديل الذي بدأ مبكرا كما قلنا عن يوحنا وبولس.

فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لا يتم لأحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه (سنهودس) وهي الأمانة ولفظها :

(نؤمن بالله الأب الواحد خالق ما يرى وما لا يرى ، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع، إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه ، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته ، وأخذ وصلب، وقتل أيام بيلاطس البنطي ومات ودفن ، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس يمين أبيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء.

ونؤمن بالروح القدس روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبته وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قد يسية سليحية جاثلقية، وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين .) (١)

فهذا تصريح واضح لما قرروه وأعلنوه بأن المسيح رب وبأنه إبن الله، وأنه ولده البكر الذي ليس له ولد غيره، وأنه ليس عبداً مخلوقاً بل هو خالق وأنه إله حق ولد من إله حق مساو لأبيه في الجوهر بيده أتقن العوالم، وبيده ذاق ألم المسامير التي سمرت في يده، وبعودته مرة ثانية ليقضي بين الأموات .

هذه العقيدة المحرفة يوضحها الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس فيقول : (طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الآب والله الإبن ، والله الروح القدس ، فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الإبن ، وإلى الإبن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير . فبعضهم من قال أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق . (٢)

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٦٧ - ٢٦٩ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ١ ،ص ١١٥

(٢) محاضرات في النصرانية ،ص ١١٢

أما فلاسفة المسيحية فيعتقدون أن الله عز وجل يتكون من ثلاثة أقانيم(١) . أي ثلاثة عناصر أو أجزاء وهي : الذات والنطق والحياة

فالله موجود بذاته .

ناطق بكلمته .

حي بروحه .

ولكل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطينا وصفاً معيناً ومظهراً خاصاً .

فإذا تجلى الله بصفته ذاتاً سمي الآب .

وإذا نطق فهو الإبن .

وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس.

ويروى فلاسفة النصارى أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله ، فكما أن الله مثلث الأقانيم كذلك فالإنسان مكون من ثلاثة عناصر .

فكما أن الله ذات كونية كذلك فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله

وكما أن الله ناطق كذلك فالإنسان ناطق على صورة الله ومثاله .

وكما أن الله حي كذلك فالإنسان حي على صورة الله ومثاله . (٢)

يقول القمص إبراهيم : (لايصح مطلقا نفي التثليث لأنه بانتفائه تنتفي أنت ، إذ هو إنموذجك ومصدر صفاتك الذاتية الثلاثية . الذات والنطق والحياة وآثارها غير مفقودة ، فكيف يصح إنتفاؤك ، وأنك موجود . . . بنفي الأقانيم الثلاثة الإلهية . .) (٣)

لقد شبه الكاذبون الحقيرون الله جل جلاله صاحب العظمة والسلطان الذي ليس كمثله شيء الذي له جميع صفات الكمال المنزه عن كل عيب شبهوه

---

(١) الأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها أقنوم وهي تعني شخص أو كائن مستقل بذاته كما جاء ذلك في كتاب (الله واحد أم ثالوث) لمحمد مجدي مرجان .

(٢) الله واحد أم ثالوث ص ٩ - ١٠ تأليف محمد مجدي مرجان .

(٣) نفس المصدر ص ١٠

بالإنسان الضعيف الذي هو مخلوق من مخلوقات الله عز وجل ثم لم يكتفوا بهذا التشبيه بل شبهوه بالتفاحة فهي لها ثلاثة خواص هي : الذات والطعم والرائحة وممكن التميز بين هذه العناصر الثلاثة وإن كانت التفاحة واحدة فالرائحة تختلف عن الطعم اللذان يختلفان عن الذات وكما لا يمكن وجود التفاحة بدون رائحة وطعم، كذلك لا يمكن تصور الآب بدون الإبن والروح القدس فبغير هذه الأقانيم لا يتأيد وجود الله . (١)

وكذلك شبه الله جل جلاله آخرون بالشمس التي تتكون من ثلاثة عناصر هي : الجرم - الشعاع - الحرارة . (٢)

ومثله آخرون بالشجرة التي لها أصل ، وثمر ، وساق وآخرون مثلوه بينبوع الماء أو فتيلة الشمعة.

فيقول الأستاذ محمد مجدى مرجان : (وكثرت التشبيهات والفلسفات في شرح الله الثالوث.) (٣)

وظائف الثالوث كما يعتقد المحرفون من النصارى :

بعد أن قسموا الله إلى ثلاثة أقسام وجعلوا الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ثلاثة آلهة جعلوا لكل إله مجموعة من الأعمال والوظائف فكل منهم له خصائص ومميزات تختلف عن الآخرين :

الله الآب	جعلوه	مصدراً	للعدل
الله الابن	جعلوه	مصدراً	للرحمة
الله الروح القدس	جعلوه	مصدراً	للنعمة

والله الآب ينسب إليه الخلق والتبني والدعوة .

الله الإبن ينسب إليه فداء البشرية وغفران الخطايا والذنوب ، الله الروح القدس ينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الظاهرة وتقديس النفوس. (٤)

(١) الله واحد أم ثالوث ، ص ١٦

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ١٢٠

(٣) الله واحد أم ثالوث ص ١٦

(٤) الله واحد أم ثالوث ص ٢٧ - ٢٨

حقيقة الآب

الله الآب هو: الأقنوم الأول من الثالوث المسيحي، وقد سمي أباً لأن له في إعتقاد فلاسفة المسيحية إبناً فمن أجل وجود هذا الإبن سمي الله أباً وهذا الإبن من أجله دعي الله أباً وعيسى عليه السلام إبن الله وبما أنه مولود من الله فهو إله مثل الله أبوه . (١)

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن الأب لفظ يطلقه المسيحيون على الله لأنه الأب (السماوي) ويعتبر الله في الديانة المسيحية أباً فيقال (أبانا الذي تقدس في السماء) .

حقيقة الابن

يعتقد أصحاب الثالوث أن الله الإبن هو كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت إبنا للذات، وصارت الذات أباً للكلمة وكل من الذات والكلمة أقنوم قائم بذاته يدعى الأول الأب والثاني الإبن . (٢)

يقول يوحنا في إنجيله: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء كان به وبغيره لم يكن شيء مما كان، والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الأب مملوء نعمة وحقا .) (٣)

فهو يعتقد أن الله الكلمة وهو الله الإبن منذ بدء الخليقة، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر وهو الإبن الوحيد لله عز وجل .

حقيقة الروح القدس

يعتقد النصارى أن الروح القدس الذي يمثل عنصر الحياة من الثالوث المقدس يعتبر أقنوماً قائماً بذاته، وإلهاً مستقلاً بنفسه فالثالوث المقدس يتكون من ثلاثة أقانيم هي الذات والنطق والحياة.

---

(١)، (٢) الله واحد أم ثالوث، ص ٩٤ و ص ١٠٤

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح ١، ص ٤٥

فالذات هو الله الأب .
والنطق هو الله الإبن .
والحياة هي الله الروح القدس.

يقول يسن منصور : (إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث في اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة بل هو ذات حقيقي شخص حي ، وأقنوم متميز ولكنه غير منفصل وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الإبن ومساولهم في السلطان والمجد ومشترك وإياهما في جوهر واحد ولاهوت واحد .

وأنه سر عظيم أعلنه الكتاب المقدس ويقبله العقل وإن يكن فوق العقل . (١)

وجاء في القاموس المقدس أن روح القدس وهو الأقنوم الثالث قد سمي روحاً لأنه مبدىء الحياة والروح ودعي قدوساً لأنه من ضمن عمله تقديس قلب المؤمن ويدعى روح الله وروح المسيح وينسب إليه أسماء الله وصفاته . وأعماله وعبادته . (٢)

---

(١) الله واحد ام ثالوث ، ص ١١٦ - ١١٧

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٤١٤

الفصل الثامن

موقف النصارى من الإسلام والمسلمين

الفصل الثامن

موقف النصارى من الإسلام والمسلمين

لقد بدأ الرسول عليه السلام دعوته في مكة ولم يكن له أعداء من النصارى واليهود لأنهم كانوا أفراد قليلين بل كان أعداءوه من الوثنين ، ولما هاجر عليه السلام إلى المدينة كان هناك جاليات كثيرة من اليهود الذين عادوا الرسول عليه السلام والمؤمنين كما تقدم ذكرهم ، ولما بدأ الإسلام ينتشر في المدينة وماحولها أخذ النصارى الذين كانوا في مشارف بلاد الشام من الروم وعمالهم من الغساسنة والنصارى الذين في الجنوب يقلقون ، لذلك أخذوا في مضايقة المسلمين حيث بدأوا بالإعتداءات غير عابئين حتى بالأعراف الدولية التي كانت معروفة في ذلك الوقت كما هي معروفة في كل وقت من الأوقات وهي تأمين الرسل . (١)

يقول إبن كثير : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل ، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا ، فارتث منهم رجل جريح في القتلى ، فلما أن برد عليه الليل تحامل حتى أتى الرسول عليه السلام فهم بالبعثة إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر .) (٢)

ولم يكتف النصارى بغدر الرسل ، بل أخذوا يغدرون بمن دخل في الإسلام وذلك مثل ماحصل لعمرو الجذامي .

---

(١) تأمين الرسل كان معروفا فى ذلك الوقت يخبرنا التاريخ أنه لما نهى الرسول عليه السلام عن كعب بن مالك وصاحبيه أرسل إليه صاحب إيلة رسولاً يقول له : بلغني أن صاحبك قد قلاك ولست بدار هوان فالحق بنا نكرمك ، فرد عليه كعب قائلاً ، وهذه أيضا من البلية والله لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ، ثم أخذ الرسالة ورمى بها في التنور ، فكعب بن مالك نطق بتقليد كان معروفا في ذلك الوقت.

(٢) البداية والنهاية لإبن كثير جزء ٣ ، ص ٢٤١ دار الفكر بيروت .

يقول ابن هشام : (بعث فروة بن عمرو النافرة الجذامي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله بمعان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ ذلك الروم من إسلامه ، طلبوه ، حتى أخذوه فحبسوه عندهم ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء .) (١)

فمن هذا نرى أن الروم بدأوا يدبرون المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين لأنهم أصبحوا يدركون أن الخطر آت عليهم من هذا الدين الجديد ، وهنا يجب أن نذكر حادثة حصلت مع قيصر الروم وهي :
حينما أرسل الرسول عليه السلام إلى هرقل ملك الروم يدعوه فيها إلى الإسلام طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش للتجارة ، وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأل أبا سفيان وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه فصار يجدهم موافقين له في الأخبار . فسألهم هل كان في آبائه ملك ؟ فقالوا : لا . وهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قالوا : لا . ، وسألهم أهو ذو نسب فيكم ؟ قالوا : نعم . وسألهم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقالوا ماجربنا عليه كذبا . وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم ؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه ، وسألهم هل يزيدون أم ينقصون ؟ فذكروا أنهم يزيدون . وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة بعد أن يدخل فيه فقالوا : لا . وسألهم هل قاتلتموه ؟ قالوا : نعم ، وسألهم عن الحرب بينهم وبينه ؟ فقالوا : يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى ، وسألهم هل يغدر ؟ فذكروا أنه لايغدر . وسألهم بماذا يأمركم ؟ فقالوا : يأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .

فأجابهم هرقل بأن هذه صفات الأنبياء ، وبأنه كان يعلم بأن نبياً يبعث ولم يكن يظن أنه من العرب ولولا خوفه وحرصه على الملك والجاه لذهب

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٤ ، ص ١٧٨ - ١٧٩

إليه وآمن به وبأن الرسول سيملك موضع قدميه هاتين .

يقول هرقل : (وهذه صفات الأنبياء ، وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث ولم أكن أظن أنه منكم ولودت أني أخلص إليه ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه وإن كان مايقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .) وقد كان المخاطب بذلك أبا سفيان وهو حينئذ كافر ومن أشد الناس عداوة للرسول عليه السلام ، قال أبو سفيان : فقلت لأصحابي ونحن خروج لقد ظهر أمر ابن أبي كبشة أنه يخافه ملك بني الأصفر ، ومازلت موقناً بأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله علي الاسلام وأنا كاره . (١) .

ولا شك أن كلام هرقل هذا قد شاع بين كثير من الروم لأنه لم يتكلم به سراً وإنما تكلم به أمام وفد عربي وأمام أتباعه من الروم ، وكلام ملك كهذا لا بد أن تردده الألسنة ويشاع بين الناس ، من هذه الحادثة تبين لنا أن الروم بدأوا يحسون بالخطر عليهم بعد أن كانوا غير آبهين للإسلام والمسلمين لأن الملك كان في يدهم وهم إحدى الدولتين المسيطرتين على العالم في ذلك الوقت ، لذلك أخذوا يدبرون المؤامرات بطرق محكمة ضد الإسلام والمسلمين ويعتبر قتل عمرو الجذامي وقتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلاً على أن الروم في موجة خوف وعداء للإسلام والمسلمين أنستهم التقاليد التي كانت مرعية وأن حقدهم وعداوتهم للإسلام جعلتهم يقتلون عاملهم الذي أسلم ونسوا الولاء له .

مما سبق يتبين لنا موقف النصارى العدائي للإسلام وكيف كانوا هم البادئين بالقتال لذلك كانت غزوة مؤتة .

وسببها كما يقول المقريزي : (أن الحارث بن عمير الأزدي لما نزل مؤتة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صاحب بصرى أخذه شرحبيل بن عمرو الغساني وضرب عنقه . فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وندب الناس ، فأسرعوا وعسكروا بالجرف ، ولم يبين لهم الأمر ، فلما صلى الظهر جلس في أصحابه وقال : (زيد بن حارثة أمير الناس فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ،

---

(١) العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٣ - ٩٩

فإن أصيب عبد الله بن أبي رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم .) (١)

وسار الجيش الإسلامي الذي كان قوامه ثلاثة آلاف مسلم حتى وصلوا مقتل الحارث بن عمير ، وسمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم ، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من البلقاء في مائة ألف من الروم ، ومعه بهراء ووائل ولخم وجذام في مائة ألف منهم ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب للرسول عليه السلام ونخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا برجال وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له . فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال ياقوم : والله إن الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة مانقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مانقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس: قد صدق والله ثم مضى المسلمون حتى كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب فانحاز المسلمون إلى مؤتة فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله حتى قتل فحملها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل ثم حملها عبد الله بن رواحه حتى قتل ، فحملها بعده خالد بن الوليد . (٢) واستشهد الأمراء الثلاثة في هذه الغزوة .

ثم لم يكتف النصارى بذلك ولم يشبع حقدهم بما حصل في غزوة مؤتة بل جمعوا جموعهم وجهزوا جيوشهم ثانية لقتال المسلمين ومنع الإسلام أن يصل إلى تلك المشارف لذلك أمر الرسول عليه السلام المسلمين بالإستعداد لرد كيد النصارى الذين يكيدون للمسلمين وأخبر المسلمين عن وجهته وهي السفر إلى تبوك لغزو الروم .

وسبب غزوة تبوك كما يرويها المقريزى : هي : (أن أخبار الشام كانت بالمدينة عند المسلمين لكثرة من يقدم من الأسباط بالدرمك والزيت ، فذكروا أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة

---

(١) امتاع الاسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحق ، والمتاع ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزى جزء ١ ، ص ٣٤٤ .

(٢) تاريخ الطبرى جزء ٣ ، ص ٣٩ - ٤٠

وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعامله . وزحفوا وقد موا مقد ماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص .) (١)

لذلك أمر الرسول عليه السلام بالتهيوء لغزو الروم ، وذلك فى زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان الرسول عليه السلام قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يعمد له إلا ماكان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد المشقة وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يعمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته .) (٢)

ولما إنتهى الرسول عليه السلام إلى تبوك أتاه يمنة بن رؤبة صاحب أيلة فصالح الرسول عليه السلام وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح ، فأعطوه الجزية وكتب لهم الرسول كتاباً .

كما أرسل الرسول عليه السلام خالد بن الوليد الى إكيدر دومة رجل من كندة وكان ملكاً عليها وكان نصرانيا فأخذه خالد إلى الرسول عليه السلام حيث صالحه على الجزية . (٣)

وعاد الرسول عليه السلام منتصراً ومعه المسلمون إلى المدينه حيث دفع النصارى وأعوانهم الجزية وهم صاغرون ولم يقاتلوا الرسول عليه السلام والمؤمنين .

يقول إبن تيمية : (وأما النصارى فلم يقاتل النبي عليه الصلاة والسلام أحداً منهم ، حتى أرسل رسله إلى قيصر والمقوقس ، والنجاشي وملوك العرب بالشرق والشام ، فدخل في الإسلام من النصارى وغيرهم من دخل ، فعمد النصارى بالشام ، فقتلوا بعض من أسلم ، فالنصارى هم الذين حاربوا المسلمين أولاً ، وقتلوا من أسلم منهم بغياً وظلماً ، فلما بدأ النصارى بالقتال أرسل محمد عليه السلام سرية أمر فيها زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبى طالب ثم عبد الله بن رواحة وهو أول قتال قاتله المسلمون بموءتة من أرض الشام ،

---

(١) إمتاع الأسماع جزء ١ ، ص ٤٤٥ - ٥٤٦

(٢) سيرة إبن هشام جزء ٤ ، ص ١١٨

(٣) سيرة إبن هشام ١٢٥ - ١٢٦

واجتمع على أصحابه خلق كثير من النصارى قيل إنهم مائة ألف ، واستشهد أمراء الجند ، رضي الله عنهم واحداً بعد الآخر ، فأخذ الراية . . خالد بن الوليد .) (١)

ولم تنته أحقاد النصارى بعد ذلك حيث بلغ الرسول عليه السلام بتجهيز الروم ثانية لغزو المدينة ، لذلك جهز جيش أسامة بن زيد وكان ذلك أثناء مرض الرسول عليه السلام ، ولما قبض الرسول عليه السلام أمر الخليفة أبو بكر بتيسير هذا الجيش ثم تتابعت الحروب مع النصارى بعد ذلك ولا تزال حتى يومنا هذا لمحاولتهم منع الإسلام من الإنتشار ولصد الناس عن إتباعه حرب سببها الحقد والحسد والكراهية للإسلام والمسلمين وصدق الله العظيم حيث يقول : (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم .) (٢)

وقال : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم ، من بعد ماتبين لهم الحق .) (٣)

يقول إبن كثير : (يحذر الله تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وماهم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم .) (٤)

وقال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .) (٥)
يبين الله حقد أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكراهيتهم للإسلام وأهله وعدم رضاهم عنهم وإصرارهم أن يكونوا هوداً أو نصارى ولا يزالون على كرههم وحسدهم للإسلام حتى يتخلى المسلمون عن دينهم وعقيدتهم ويتبعوهم ولا يزال هؤلاء الكفار حتى هذا الزمان يحاولون محاولات عديدة لإخراج المسلمين عن دينهم واتباعهم وأكبر دليل على ذلك حملات التبشير والتجويع

---

(١) رسالة القتال لإبن تيميه من مجموع الرسائل النجدية ص ١٢٦-١٢٨ .
(٢) البقره آيه ١٠٥
(٣) البقره آيه ١٠٩
(٤) تفسيرابن كثير جزء ١ ، ص ١٥٣
(٥) البقره آيه ١٢٠

التي يقوم بها النصارى في إفريقيا وفي آسيا . والمدارس الأجنبية والمستشفيات الأجنبية التى ظاهرها خير وباطنها شر وهو القضاء على الإسلام وإتباع المسلمين ملتهم.

٢ - ادعاؤهم الكاذب بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً .
قال تعالى : (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى .) (١)
لقد ملأ الغرور والكبر قلوب اليهود والنصارى حيث اعتقد كل منهما أنه هو الذى سيدخل الجنة وماعداهم لايدخلون وهذه أوهام كانوا يشيعونها بين الناس لكي يعتقد الناس أن دينهم هو الحق فيتبعوهم ولا يتبعوا الإسلام.

٣ - محاولة تشويه عقيدة الإسلام :
وذلك حينما دعاهم الرسول عليه السلام إلى الإسلام :قالواله : أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى إبن مريم .
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (قال أبو رافع القرطبي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند الرسول عليه السلام ودعاهم إلى الاسلام أتريد يامحمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ؟
فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يامحمد وإليه تدعونا ؟ فقال عليه السلام : (معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني .) (٢)

٤ - إدعاء وفد نجران بأن عيسى إله أو إبن إله أو ثالث ثلاثة :
قال تعالى : (لقدكفرالذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (٣)
وقال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .) (٤)
وقال : (وقالت النصارى المسيح إبن الله .) (٥)

---

(١) البقره آية ١١١

(٢) تفسير إبن كثير جزء ١ ، ص ٣٧٧

(٣) ، (٤) المائدة آيه ٧٢ - ٧٣

(٥) التوبة آية ٣٠

فكذب الرسول عليه السلام وفد نجران في قولهم : عن عيسى بأنه إله أو إبن إله أو ثالث ثلاثة ودعاهم إلى المباهلة والملاعنة وهي التضرع إلى الله في الدعاء باللعن وغيره وأن تكون لعنة الله على الكاذبين فأبوا المباهلة

٥ - اتخاذ مراكز ضد الدعوة الإسلامية كما حدث عندما اتخذوا مسجد الضرار في المدينة المنورة :

حاول النصارى بالتعاون مع المنافقين إتخاذ مركز لهم في المدينة المنورة للإضرار بالمؤمنين ، ولتقوية أهل الكفر من المنافقين ، وغيرهم وستر المتآمرين الذين أرادوا الكيد للإسلام والمسلمين والتعاون مع أعداء الدين ، وذلك لكي يفرقوا بين المؤمنين ويعدوه لأعداء الدين الذين أرادوا محاربة الرسول عليه السلام والقضاء عليه وعلى المؤمنين وهؤلاء هم أبو عامر وجنود هرقل ملك الروم. والحادثة كما يرويها الرازي وغيره من العلماء هي : كان أبو عامر الذي سماه الرسول عليه السلام الفاسق ، قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لأنه زالت رياسته ، وقال لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم ، ولم يزل يقاتله إلى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن خرج إلى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر وآت من عنده بجند فأخرج محمد وأصحابه ، فبنوا هذا المسجد وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ، وقالوا للرسول عليه السلام بنينا مسجداً لذي العلة والليلة المطرة الشاتيه ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة ، فقال عليه السلام أني على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما رجع من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد (١) ، فنزلت هذه الآية : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى .) (٢)

فدعا الرسول عليه السلام بعض القوم وقال : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وخربوه ، ففعلوا ذلك وأمر أن يتخذ مكانه كناسه يلقى فيها الجيف والقمامة .

---

(١) راجع تفسير الرازي جزء ٤ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤

(٢) التوبه آيه ١٠٧

الفصل التاسع

الرد على عقائد النصارى المحرفة ومواقفهم ضد الإسلام

الفصل التاسع

الرد على عقائد النصارى المحرفة ومواقفهم ضد الإسلام

لقد قدمنا فيما سبق عقائد النصارى المحرفة، ومواقفهم ضد الإسلام والمسلمين.

ولقد بين القرآن الكريم هذه التحريفات ورد عليها وأبطلها كما قيض الله من العلماء المسلمين من أبطلها ورد عليها، كذلك بعض من النصارى المنصفين بينوا هذه التحريفات وردوا عليها، وسوف نقدم هذه الردود وهي كما يأتي :

١ - الرد على النصارى لإبطال التثليث.

لقد اجتمع في عهد قسطنطين الملك ثلاث مائة وثمانية عشر رجلاً، وضعوا الأمانة التي اتفقوا عليها ولعنوا من خالفها من الأريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل بها كتاب بل هي مخالفة لجميع الكتب السماوية ومخالفة للعقل الصريح فقالوا فيها : (نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق السموات والأرض كل مايرى ومالا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد المخلوق المولود من الأب قبل كل الدهور نور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوى الأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الأب، وأيضاً فيسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لافناء لملكه، وبروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب مع الأب والإبن مسجود له وبمجد الناطق في الأنبياء واعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وإرجاء قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي آمين.) (١)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - جـ١، ص ١١٥

فقولهم : (فالإله واحد ، خالق واحد ، رب واحد) هذا صحيح وحق لكن نقضوه بقولهم : (نور من نور ، يسوع المسيح إبن الله الوحيد ، إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو للأب في الجوهر .) حيث أثبتوا إلهين هنا وأثبتوا روح القدس إلها ثالثا مسجوداً له فبذلك صاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون : إنما نثبت إلها واحداً وهذا تناقض ظاهر حيث جمعوا بين النقيضين .

يقول إبن تيمية : (قالت طائفة من العقلاء : إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى ، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم بين النقيضين ، ولهذا قال بعضهم لو اجتمع عشر نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولا . وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وإمرأته وإبنه عن توحيدهم لقال الرجل قولاً وامرأته قولاً آخر وإبنه قولاً ثالثاً . (١)

وهذه ليست أمانة وإنما خيانة ، وليست ككل خيانة وإنما هي خيانة عظمى لأنهم خانوا الله ورسله حيث بدلوا وحرفوا ما أنزل الله .

إبطال التثليث بأقوال المسيح

١ - قوله عليه السلام في إنجيل يوحنا الباب السابع عشر الآية الثالثة (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته .) (٢) فبين عليه السلام أن الحياة الأبدية هي معرفة الناس أن الله واحد حقيقي وأن عيسى رسول .

٢ - (فجاء واحد من الكتبه وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هي أول الكل) فاجابه يسوع : إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك وهذه هي الوصية الأولى .) (٣)

---

(١) الجواب الصحيح جزء ٢ ، ص ١٥٥

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ آية ٣

(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ آية ٢٨

فلم يقل عيسى عليه السلام : بأن أول الوصايا أن الرب واحد له ثلاثة أقانيم ، وإنما إله واحد لاشريك له .

٣ - (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله .) (١)

فبين عيسى عليه السلام أن الصالح هو واحد وهو الله عز وجل .

٤ - (ونحو التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً إيلى إيلى لما شبقتني) أي إلهي إلهي لماذا تركتني) (فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح)(٢) فهذا القول ينفى ألوهية المسيح لأنه لو كان إلهاً لما استغاث بإله آخر ولا متنع العجز والموت عليه .

٥ - قول المسيح عليه السلام لمريم المجدلية : (لا تلمسيني لأني لم أصعد إلى أبي ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولى لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم .) (٣)

فسوى بينه وبين تلاميذه وهم ليسوا أبناء الله حقيقة بل مجازاً وهذا القول على زعمهم قبل العروج بقليل وهو يثبت بأنه عبد الله وهو يتفق مع ماجاء في القرآن قوله : (ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربي وربكم .) (٤)

٦ - قوله عليه السلام : (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الإبن إلا الأب .) (٥) فنفى عن نفسه علم القيامة كغيره من الناس وأثبته لله عز وجل .

٧ - قوله عليه السلام : (إن أبى أعظم مني .) (٦) ففيه نفي لألوهيته لأن الله ليس كمثله شيء فضلاً عن أن يكون أعظم منه .

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ١٩ آيه ٦ - ١٧

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٧ آيه ٤٦ - ٥٠

(٣) انجيل يوحنا الاصحاح ٢٠ ، آيه ٧

(٤) المائدة آية ١١٧

(٥) إنجيل مرقس الإصحاح ١٣ آية ٣٢

(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ آية ٢٨

٨ - ثم أخذ معه بطرس وابني زيدي وابتدأ يحزن ويكتئب ،فقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت أمكثوا ههنا واسهروا معي .) (١)
أيحزن الإله ويكتئب ،فهذا نفي للألوهيـة .

٩ - وقال عليه السلام في خطابه لتلاميذه : (ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح .) (٢)
فبين عليه السلام أن الله واحد وأنه أي عيسى معلم وليس إلهاً .

١٠ - لقد عبر المسيح عن نفسه في مواضع كثيرة من الأناجيل بأنه إبـن الإنسان وأن ابن الإنسان يكون إنساناً وليس إلهاً فهذا نفي لألوهيتـه عليه السلام .

يقول الشيخ رحمة الله الكيرانوي : (فالأقوال التي يتمسك بها المسيحيـون غالباً مجملة منقولة من إنجيل يوحنا وعلى ثلاثة أقسام بعضها لا يدل بحسـب معانيها الحقيقية على مقصودهم فاستنباط الألوهية منها مجرد زعمهـم وهذا الإستنباط والزعم ليس بمعتدين ولا جائزين في مقابلة البراهيـن العقلية القطعية والنصوص العيسوية ،وبعضها أقوال يفهم تفسيرها مـن الأقوال المسيحية الأخرى ومن بعض مواضع الإنجيل ففيها أيضاً لا اعتبـار لرأيهم وبعضها أقوال يجب تأويلها عندهم أيضا فإذا وجب التأويـل فنقـول لابد أن يكون هذا التأويل بحيث لا يخالف البراهين والنصوص وأنى لهـم ذلك ؟ فلا حاجة إلى نقل الكل بل أنقل الأكثر ليتضح منه للناظر حـال استدلالهم ويقيس الباقي عليه .) (٣) .
والآن نورد بعض مما ذكره الشيخ رحمة الله في كتابه :

من إطلاق لفظ إبن الله على المسيح عليه السلام فذلك في غاية الضعف بوجهين أولا :- لأن هذا الإطلاق معارض بإطلاق إبن الإنسان وبإطلاق

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٢٦ آية ٣٨ - ٣٩ .

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٣ آيه ٩ - ١٠

(٣) إظهار الحق جـ٢ ،ص ٤٠

إبن داود .

ثانياً : لأنه لايصح أن يكون لفظ الإبن بمعناه الحقيقي لأن معناه الحقيقي باتفاق أهل اللغة في العالم هو من تولد من نطفة الأبوين وهذا محال ههنا ،فلابد من الحمل على المعنى المجازي المناسب في شأنه وقد علم من الإنجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح .

يقول مرقس : (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرح هكذا وأسلم الروح قال حقا كان هذا الإنسان إبن الله .) (١)

ونقل لوقا قول القائد : (بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً .) (٢)

فاستبدل بدل لفظ إبن الله البار وهي بمعنى الصالح .

يقول المسيح عليه السلام : (طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناءالله يدعون وأما أنا فأقول لكم أحبواأعداءكم باركوالاعنيكم أحسنواإلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسبونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات .) (٣)

فأطلق عيسى عليه السلام على صانعي السلام والصلح والعاملين الأعمال الصالحة أبناء الله .

وقال المسيح لليهود : (أنتم تعملون أعمال أبيكم فقالوا له : إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله فقال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني أنتم من أب ،هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا بها ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذب وأبو الكذب) (٤) فليس الله والشيطان أباً حقيقياً لهم وإنما بالمعنى المجازي .

وقال يوحنا في إنجيله : (كل من هو مولود من الله لايفعل خطيئة لأن زرعه يثبت فيه ولايستطيع أن يخطىء لأنه مولود من الله .) (٥)

---

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ آية ٣٩

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣ آية ٤٧

(٣) إنجيل متى الإصحاح ١٥ آية ٤٤ - ٤٥

(٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨ آية ٤١ - ٤٢

(٥) إنجيل يوحنا الباب الثالث آية ٩

وقال أيضاً : (وكل من يحب فقد ولد من الله .) (١)

وقال : (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً .) (٢)

وقال : (لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله .) (٣)

فتدل هذه الأقوال على المجاز وليس حقيقة أبناء الله فالله لم يلد ولم يولد .

يقول الله في سفر الخروج : (وتقول له هذا مايقول الرب إبني بكري إسرائيل)(٤)

فلو كان إطلاق لفظ إبن الله موجباً للألوهية لكان إسرائيل إلهاً وليس عيسى لأنه البكر .

ومن استدلالهم على ألوهية المسيح قوله : (أنا والأب واحد) (٥)

فقالوا هذا يدل على إتحاد المسيح بالله وهذا باطل بقول المسيح : (ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد .) (٦)

وقال أيضاً : (أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد .) (٧)

فقوله : ليكون الجميع واحداً ، وليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ، ويكونوا مكملين إلى واحد تدل على إتحادهم وهذا ليس حقيقياً أنه متحد معهم وكذلك إتحاده مع الله ليس حقيقياً إذ لو كان حقيقيا لوجب أن يكون الجميع متحدين مع الله وليس المسيح عليه السلام : فالمقصود بالإتحاد بالله إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة.ومما استدل به النصارى على ألوهية المسيح أنه خلق بلا أب وهذا القول باطل لأن آدم عليه السلام خلقه الله بلا أب وبلا أم فهو أولى بالألوهية من عيسى عليه السلام وجميع المخلوقات في بداية خلقها مخلوقة بلا أب وبلا أم فهي جميعها تكون آلهة وليس عيسى فقط وهذا بالطبع قول باطل وكذب وليس فيه شيء من الحقيقية .

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ، ٤ ، آيه ٧

(٢) إنجيل يوحنا الاصحاح ٥ آيه ٢

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن آية ١٤

(٤) الباب الرابع من سفر الخروج

(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر آية ٣٠ (٦) . (٧) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ آية ٢١-٢٢ وآية ٣٣

ومما استدل به النصارى على ألوهية المسيح معجزاته ومنها إحياء الموتى، وهذا القول أيضاً باطل لأنه عيسى ليس الوحيد الذي له معجزات بل كل الرسل لهم معجزات أيدهم الله عز وجل بها ، وليس عيسى الوحيد الذي أحيا الموتى وإنما حزقيال أحيا ألوفاً كما ورد في كتابه فهو أولى بالألوهية وإيلياء أحيا ميتاً كما ورد في سفر الملوك وكذلك اليسع أحيا ميتاً وأبرأ الأبرص كما ورد في سفر الملوك فكلهم أحيوا الموتى بإذن الله وليس عيسى الذي أحيا فلماذا أثبتوا لعيسى الألوهية ولم يثبتوا لغيره من الرسل الذين لهم نفس المعجزات .

ومن الأدلة على نفي ألوهية المسيح قولهم : أن اليهود صلبوه، وتركوه حياً على الخشبة وقد مزقوا أضلعه وأنه كان يحتال ليهرب ويختفي منهم وأنه أظهر الجزع الشديد ،فلو كان إلهاً أو أن الإله حل فيه أو كان جزءٌ من الإله حل فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه ؟ ولم يهلكهم جميعاً ؟ فهذا يدل على الكذب فلو كان إلهاً وقتل لبقى العالم بلا إله والإله الذي تقتله اليهود وهم أشد الناس ذلاً ودناءة فهو في غاية العجز ولا يستحق أن يكون إلهاً .

ومن الأدلة على بطلان ألوهية المسيح قولهم : أن عيسى عليه السلام كان كثير العبادة والطاعة ،فلو كان إلهاً كيف يعبد نفسه ؟ فالإله هو الذى تأله إليه العباد بالعبادة والطاعة وليس هو الذي يعبد نفسه فيتبين من ذلك قولهم الباطل بألوهية المسيح . (١)

٢ ـ ماجاء في القرآن ينفي ألوهية المسيح ويرد على المكذبين :

لقد بينا فيما سبق من أقوال المسيح ومن أحواله ، ومما يقبله العقل والمنطق ماينفي ألوهية المسيح ويثبت الألوهية لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وبأن المسيح عليه السلام رسول كغيره من الرسل ،وسوف نذكر ماجاء في القرآن من آيات تبين بأن عيسى عليه السلام رسول ، وترد على الكاذبين الذين قالوا بأنه إله ، أو إبن إله ، أو ثالث ثلاثة .

---

(١) كتاب إظهار الحق الجزء الثاني ص ٢٥ - ٦١

قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (١)
فالنصارى يقولون : إن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام ، فأقنوم الكلمة إما أن يكون ذاتاً أو صفة ، فإن كان ذاتاً فذات الله تعالى قد حلت في عيسى واتحدت بعيسى ، فيكون عيسى هو الإله على هذا القول ، وإن قلنا أن الأقنوم عبارة عن صفة فانتقال الصفة من ذات إلى ذات أخرى غير معقول ، ثم بانتقال تقدير العلم عن ذات الله تعالى إلى عيسى يلزم خلو ذات الله عن العلم ، ومن لم يكن عالماً لم يكن إلهاً ، فحينئذ يكون الإله هو عيسى على قولهم ، فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلا أن حاصل مذهبهم ليس إلا ذلك .
والله إحتج على قولهم بقوله : (قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً .) (٢)

وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط ، والتقدير : إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ، فمن الذي يقدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره أي من الذي يملك من أفعال الله ، ويقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده .

فالله عز وجل هو صاحب الملك فهو مالك السموات والأرض وما بينهما ومن فيهما يخلق ما يشاء باختياره وإرادته وهو على كل شيء قدير حيث يخلق ما يشاء فتارة يخلق من الذكر والأنثى كما هو معتاد وتارة لا من الأب ولا من الأم كما هو في حق آدم وتارة من الأم كما هو في حق عيسى عليه السلام .(٣)
قال تعالى : (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير .) (٤)
ثم رد الله على النصارى وبين كفرهم حيث قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم .) (٥)

---

(١) ، (٢) المائدة آية ١٧

(٣) تفسير الرازي جزء ١١ ، ص ١٩١

(٤) المائدة آية ١٧

(٥) المائدة آية ٧٢

وهذا القول لليعقوبية لأنهم يقولون : إن مريم ولدت إلهاً ، ولعل معنى هذا المذهب أنهم يقولون : (أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى .

ولقد بين لهم عيسى فساد قولهم بالحجة القاطعة حيث قال لهم : (يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار .) (١)
فعيسى عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره فالجميع عبيد لله والله ربهم المستحق للعبادة وحده لاشريك له ومن يشرك به فجزاؤه جهنم خالدا فيها وليس له نصير من دون الله ينصره .
ثم بين الله كفر الذين قالوا : بأن الله ثالث ثلاثة .
قال تعالى : (لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة .) (٢)
هذا القول لبعض المفسرين حيث يقولون : أن النصارى أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة ، والذى يؤكد ذلك قوله تعالى : (وأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله .) (٣) فقوله ثالث ثلاثة أى أحد ثلاثة آلهة .

أما المتكلمون فقد حكوا عن النصارى قولهم : جوهر واحد وثلاثة أقانيم ، آب وإبن ، وروح القدس ، وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس إسم يتناول القرص والشعاع والحرارة ، وعنوا بالأب الذات ، وبالإبن الكلمة ، وبالروح الحياة ، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة ، وقالوا : أن الكلمة التي هى كلام الله إختلطت بجسد عيسى إختلاط الماء بالخمر واختلاط الماء باللبن ، وزعموا أن الأب إله والإبن إله والروح إله والكل إله واحد . وهذا القول باطل . ببديهة العقل ، فإن الثلاثة لاتكون واحداً والواحد لايكون ثلاثة ولايرى في الدنيا مقالة أشد فساداً أو أظهر بطلاناً من مقالة النصارى . (٤)

---

(١) المائدة آية ٧٢

(٢) المائدة آية ٧٣

(٣) المائدة آية ١١٦

(٤) تفسير الرازي جزء ١٢ ، ص ٦٠

ورد الله على الكافرين من النصارى وبين لهم بأنه لا إله إلا الله وإن لم ينتهوا عن هذا القول سيصيبهم عذاب أليم يوم القيامة ، ومن كرم الله وجوده ورحمته بخلقه أنه يدعوهم إلى التوبة من هذا الذنب العظيم الذي قالوه والكذب الذي افتروه .

فإن تابوا فإن الله يتوب عليهم فإن الله غفور رحيم يغفر ذنوب التائبين

قال تعالى : (ومامن إله الا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .)(١)

ثم بين الله عز وجل للكافرين بأن المسيح رسول كغيره من الرسل السابقين وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .

قال تعالى : (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام .) (٢)

يقول الرازي : بأن عيسى ماهو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما جاءوا بمثلها ، فما أجراه الله على يديه من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، فقد أحيا الله العصى وجعلها حية على يد موسى وإن كان خلقه بلا أب خلق آدم بلا أب وبلا أم ، وأمه صديقة أي صدقت بآيات ربها بكل ما أخبرعن ولدها وصدقت جبريل واجتهدت في العبادة لله عز وجل .

ويستدل على فساد قول النصارى من وجوه :

١ - أن كل من كان له أم فقد حدث بعد أن لم يكن وكل من كان كذلك كان مخلوقاً لا إلهاً .

٢ - إنهما كانا محتاجين إلى الطعام والإله غني عن جميع الأشياء .

٣ - الإله هو القادر على الخلق والإيجاد ، فلو كان عيسى إلهاً لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير طعام وشراب . (٣)

---

(١) المائدة آية ٧٣ - ٧٤

(٢) المائدة آية ٧٥

(٣) تفسير الرازي جزء ١٢ ، ص ٦١ - ٦٢

قال تعالى : (إنظر كيف نبين لهم الأيات ثم انظر أنى يوءفكون .) [١]
يقول تعالى : (إنظر يا محمد كيف نوضح لهم الآيات ونظهرها ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون ؟ وبأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون . [٢]

ولقد رد الله عليهم مستنكراً وعلى كل من عبد غير الله من الأوثان والأصنام ومن الأنبياء بأن كل ماعبدوه لا ينفعهم ولا يضرهم لأن الله هو الضار وهو النافع وهو السميع العليم لأقوال عباده وأفعالهم ، ونهى أهل الكتاب عن تجاوز الحد في تعظيم عيسى والمبالغة فى إطرائه حتى أخرجوه من النبوة إلى الألوهية ونهاهم عن إتباع القوم الضالين الذين كانوا قبلهم والذين أضلوا غيرهم وأخرجوهم إلى الضلال وأبعدوهم عن طريق الإستقامة والإعتدال كما هم خرجوا وبعدوا عن الحق .

قال تعالى : (قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل .) [٣]
ثم رد الله على الذين قالوا : بأن المسيح ابن الله وبأن قولهم ليس له دليل على صحته بل هو كذب وافتراء .

قال تعالى : (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) [٤]
فرد الله عليهم مبيناً كذبهم بأن مايقولونه ليس له أى دليل على صحته بل هو كذب وافتراء يشابهون فى ذلك ويماثلون من قبلهم من الأمم الضالة الذين ضلوا عن سواء السبيل .
قال تعالى : (ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل) [٥]

---

(١) المائدة آية ٧٥
(٢) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٨٣
(٣) المائدة آية ٧٦ - ٧٧ .
(٤) التوبة آية ٣٠
(٥) التوبة آية ٣١

ولقد لعنهم الله لأنهم ضلوا عن الحق وعدلوا إلى الباطل .

قال تعالى : (قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون .) (١) ونحن إذا رجعنا إلى أصل التوراة والإنجيل فإننا نجدهما يأمرانهم بعبادة إله واحد لا شريك له فأهل الكتاب من يهود ونصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله حيث حللوا لهم ماحرم الله وحرموا ماحلل الله فاتبعوهم وأطاعوهم فهذه عبادتهم وكذلك عبدوا المسيح ابن مريم وما أمروا إلا بعبادة الله وحده لاشريك له وهو الذي يحلل ويحرم وله التشريع وحده لا شريك له تنزه وتقدس عن الشركاء والأنداد والأولاد .

ثم بين الله مايريده الكفار من أهل الكتاب والمشركين وهو إطفاء نور الله أي ما جاء به الرسول عليه السلام من عند الله وهو الحق والهدى والرشاد ولكن لايستطيعون لأن الله متم نوره ومظهره على سائر الأديان وناصره بالرغم من كره الكفار لذلك والمشركين .

قال تعالى : (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .) (٢)

قال تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون . وقالوا آآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون . إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل . ولو نشاء لجعلنامنكم ملائكة فى الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم . ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين . ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون.) (٣)

عن إبن عباس رضى الله عنه قال : (قال عليه الصلاة والسلام : يامعشر

---

(١) التوبة آية ٣٠ - ٣١

(٢) التوبة آية ٣٢ - ٣٣

(٣) الزخرف آية ٥٧ - ٦٣

قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير .) فقالت قريش : يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه السلام كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل اليه عز وجل قوله : (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) أى يضحكون وقيل يتعجبون ويجزعون كيف ينهاهم عن عبادة الأوثان من دون الله والنصارى يعبدون عيسى وقالوا آلهتهم خير مما يدعوا النصارى ، وقيل بأنهم قالوا بأن محمد يريد أن نعبده كما تعبد النصارى ابن مريم وبأن آلهتنا خير منه ويعنون بذلك الرسول عليه السلام .

فرد الله عليهم : بأنهم ما قالوا إلا جدلاً ومراءً ، ليس يعتقد صحته ، فهم قوم خصمون . جبلوا على الجدال والمراء والخصام .

ولقد بين الله بأن عيسى ليس إلا عبداً من عباد الله أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة وجعله دلالة وحجة و برهاناً على قدرته سبحانه وتعالى ولو أراد الله لجعل الملائكة فى الأرض يخلفونكم فيها ، وأن الله سيبعث عيسى ثانية ويكون من علامات الساعة ويكون إماماً وعادلاً وتبعاً للرسول عليه السلام ولا يأتى بشرع جديد فلا تشكوا فيها فإن القيامة واقعة وإن عيسى سيخرج قبل وقوعها ويكون من أشراطها ، واتبعونى في ما أخبركم به هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان عن اتباع الحق إنه عدو مبين واضح العداوة يريد أن يصدكم ويمنعكم من اتباع الحق .

وحينما جاء عيسى بالمعجزات التى أيده الله بها قال لهم : قد جئتكم بالنبوة ولأبين لكم ماتختلفون فيه من الأمور الدينية فاتقوا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه وأطيعوني فيما آمركم به من تقوى الله . (١)

ولقد بين عيسى بالحجة القاطعة بأنه عبد من عباد الله مربوب وبأن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادة الله وحده فالجميع عبيد من عباد الله ومحتاجون لله ومشتركون في عبادته وحده لا شريك له ، وهذا هو الصراط المستقيم الذى جاءهم به وهو عبادة الله وحده لا شريك له .

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ٤ ، ص ١٣٠ - ١٣١

قال عيسى لقومه : (فاتقوا الله وأطيعون . إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .) (١)

فما قاله عيسى عليه السلام فيه إظهار الخضوع، والإعتراف بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه بالباطل بأنه إله أو إبن إله أو ثالث ثلاثة لأن إقراره بالعبودية يمنع ماتدعيه جهال النصارى عليه، ثم قال : (فاعبدوه) والمعنى أنه تعالى لما كان رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه، ثم أكد بقوله هذا صراط مستقيم. (٢)

ثم اختلف النصارى بعد ذلك أي بعد موت عيسى فمنهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق، ومنهم من يقول بأنه إله إبن إله أو ثالث ثلاثة،

قال تعالى : (فاختلف الأحزاب من بينهم) (٣)

فتوعد الله هؤلاء المشركين الذين أشركوا عيسى مع الله بالعذاب الأليم في نار جهنم خالدين مخلدين .

قال تعالى : (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم) (٤)

وسوف يوبخ الله النصارى ويهددهم ويقرعهم على رؤس الاشهاد وذلك يوم القيامه حين يسأل عيسى أمام الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله هل هو قال لهم ذلك ؟

قال تعالى : (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . ؟) (٥)

فيجيب عيسى عليه السلام بكل أدب وخضوع وتواضع لله عز وجل ، وينزهه عما قاله الكافرون حيث لا ينبغي له أن يقول لهم ذلك القول ولا يحق له أن يقول مافيه كفر وجحود لله عز وجل فيقول عيسى عليه السلام (سبحانك مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا أعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب. ماقلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا

---

(١) الزخرف آية ٦٣ - ٦٤

(٢) تفسير الرازي جزء ٨ ،ص ٥٩ - ٦٠

(٣) ، (٤) الزخرف آيه ٦٥

(٥) المائده آيه ١١٦

الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد .) (١)

فيقول عيسى عليه السلام : إن كان صدر منه هذا القول فإن الله يعلمه لأنه لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء لأن الله يعلم مافي نفس عيسى وما يضمره وعيسى لايعلم مافي نفس الله لأن الله هو علام الغيوب .
ويقول عيسى أمام الأشهاد بأنه ماقال لهم : إلا ماأمره الله به وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، وكان شاهداً على أعمالهم حين كان بين أظهرهم فلما توفاه الله كان الله رقيباً على أعمالهم وشاهداً على كل شيء من أفعالهم وأقوالهم .
يقول إبن تيمية : (فإذا كان بعضهم قد غلط في النقل عنه أو في تفسير كلامه أو تعمد تغيير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك ، وإنما هو رسول عليه البلاغ المبين .) (٢)
أما القول الثاني : وهو أن الله ثالث ثلاثة :
هذا القول تقول به فرق من النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية ، حيث يقولون : أب ، وإبن ، وروح القدس ، ولا يقولون ثلاثة آلهة ، وهو معنى مذهبهم وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم ، وماكان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة ، وذلك أنهم يقولون : إن الإبن إله والأب إله وروح القدس إله .
فأكفرهم الله بهذا القول حيث قال : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) (٣) .

ورد الله عليهم وبين كذبهم حيث قال : (ومامن إله إلا إله واحد .) (٤)
أي أن الإله لايتعدد ، وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة وإن لم يصرحوا بذلك لفظاً ، وإن لم يكفوا عن هذا القول بالتثليث ليمسنهم عذاب أليم . (٥)

---

(١) المائدة آية ١١٦ - ١١٧

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جزء ٢ ، ص ٢٨١

(٣) ، (٤) المائده آيه ٧٣

(٥) تفسير القرطبي جزء ٣ ، ص ٢٢٤٧

قال تعالى : (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم .) (1)

٣ - الرد على النصارى القائلين بأن عيسى إبن الله :

الله هو الأقنوم الأول في الثالوث المسيحي ، وقد سمي أباً لأنه في إعتقاد فلاسفة النصارى له إبن ، وهذا الإبن هو المسيح عليه السلام .
حاشا الله عما يقوله الكافرون وتنزه عما يصفون وهو القائل في محكم كتابه :
(قل هو الله أحد . الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد) (2)
فالله عز وجل هو واحد في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته وهو الصمد الذي تقصده كل الخلائق لقضاء حوائجها وهو لايحتاج لشيء في الوجود فهو واجب الوجود ، ولم يكن له ولد ولا بنت ولم يكن له أم ولا أب فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، فليس له فرع ولا أصل وليس له معين ولا مثيل ولا شبيه ولا ند في هذا الكون .
قال تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئا إداً . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً . أن دعوا للرحمن ولداً . وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً .) (3)
ينكر الله على من زعم بأن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً ، فقد قالوا قولاً عظيماً تكاد لعظمته وهو له أن تتفطر السماء وتتشقق الأرض وتخر الجبال متساقطة مهدمة إعظاماً للرب وإجلالاً له لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده وأنه لا إله إلا هو ، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد ولا صاحبة ولا كفء له بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .
وصدق القائل : وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
وماينبغي ولايصلح للرحمن أن يتخذ ولداً لأنه الصمد الذي لايحتاج إلى الولد ولا إلى الزوجة لأن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً فالكل عبيد لله ، وقد علم عددهم وأحصاهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً أي لا ناصر

---

(١) المائدة آية ٧٣

(٢) الإخلاص آية ١ - ٤.

(٣) مريم آية ٨٨ - ٩٣

لهم ولا مجير إلا الله وحده لاشريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لايظلم أحداً مثقال ذرة . (١)

وقال (قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له مافي السموات ومافي الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالا تعلمون .) (٢)

يقول تعالى منكراً على من إدعى كذباً وزوراً بأن لله ولداً وهو الغني تقدس وتنزه عن ذلك فكل مافي السموات ومافي الأرض ملك لله عز وجل وهو مالكها وكل مافي الوجود فهو فقير ومحتاج إلى الله الغني الصمد ،فكيف يكون له ولد وكل المخلوقات عبيد لله عز وجل ،هل عند هوءلاء الكافرين دليل وحجه وبرهان على مايدعونه كذباً ؟ . أيقولون على الله الكذب ؟ ثم توعد الله الكاذبين الذين افتروا عليه بأن له ولداً بأنهم لايفلحون في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يملي الله لهم في الدنيا بالنعم ويستدرجهم بها ثم يذيقهم العذاب الشديد في نار جهنم بسبب كفرهم ونسبتهم الولد لله عز وجل .

قال تعالى : (قل إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون . متاع في الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) (٣)

٤ ـ الرد على النصارى الذين قالوا بأن الله الإبن هو كلمة الله التي خرجت من الذات فصارت إبناً للذات ،وصارت الذات أباً وكل منهما أقنوم قائم بذاته يدعى الأول الأب والثاني الإبن . (٤) :

يقول يوحنا في إنجيله : (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله ،وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله كل شيء كان به وبغيره لم يكن شيء مما كان . والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءً نعمة وحقاً .) (٥)

---

(١) تفسير إبن كثير جزء ٣ ،ص ١٣٨

(٢) يونس آية ٦٨

(٣) يونس آية ٦٩ - ٧٠

(٤) الله واحد أم ثالوث ،ص ١٠٤

(٥) إنجيل يوحنا الإصحاح واحد ،ص ٤٥

فهو يعتقد بأن الله الكلمة هو الله الإبن منذ بدء الخليقة، وأن الله الكلمة تجسد وحل بين البشر وهو الإبن الوحيد لله عز وجل .

أما القرآن فيبين لنا ماهي الكلمة حيث يقول : (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .) (١)

فالمسيح خلق بكلمة الله كما خلق آدم عليه السلام وكما خلق الكون وكل مافيه بهذه الكلمة وهي كن فيكون يخلق الله بها مايشاء حتى تقوم الساعة قال تعالى : (كذلك الله يخلق مايشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون .) (٢)

معنى الكلمة كمايرى علماء المفسرين في الإسلام :

١ - أنه خلق بكلمة الله وهي قوله كن من غير واسطة الأب فلما كان تكوينه بمحض قول الله كن وبمحض تكوينه وتخليقه من غير واسطة الأب والبذر لاجرم سمي كلمة كما يسمى المخلوق خلقاً .

٢ - تكلم في الطفولة وآتاه الله الكتاب في زمن الطفولة فكان كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً فهي كلمة بهذا التأويل . (٣)

٣ - الكلمة : هي البشارة لأمه . (٤)

فالكلمة ليست إلا بن كما يعتقد النصارى بل هذا كذب وافتراء لم يقل به نبي ولا رسول إنما قال به كذبة مفترون .

الرد على النصارى القائلين بأن الروح القدس هو الأقنوم الثالث :

فهم يعتقدون بأن روح القدس هو الذي يمثل عنصر الحياة من الثالوث المقدس حيث يعتبر أقنوماً قائماً بذاته وإلهاً مستقلاً . (٥)

---

(١) آل عمران آية ٤٥

(٢) آل عمران آية ٤٧

(٣) تفسير الرازي جزء ٨ ،ص ٣٥ - ٣٦

(٤) تفسير المنار جزء ٣ ،ص ٣٠٤

(٥) الله واحد أم ثالوث ص ١١٦

الله عز وجل هو الذي خلق كل المخلوقات في هذا الكون ولكنه أضاف خلق الروح إليه إضافة تشريف .

قال تعالى في حق آدم عليه السلام : (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين). (١)

وقال : (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) (٢)

وقال : (وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون .) (٣)

فالله عز وجل خلق كل المخلوقات وخلق كل الناس فآدم وعيسى وكل إنسان نفخة من روح الله وليس أقنوماً قائماً بذاته ولا إلهاً مستقلاً كما يدعى النصارى وقال تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .) (٤)

فالروح هنا بمعنى النسمة التي تدب بها الحياة في الكائنات الحية وهي نفخة من روح الله وليست إلهاً مستقلاً .

وقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدري ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا .) (٥)

وقال تعالى : (ينزل الملائكة بالروح من أمره .) (٦)

وقال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (٧)

---

(١) ص آية ٧٢

(٢) التحريم آية ١٢

(٣) السجدة آية ٧ - ٩

(٤) الاسراء آية ٨٥

(٥) الشورى آية ٥٢

(٦) النحل آية ٢

(٧) المجادلة آية ٢٢

فما أنزله الله على أنبيائه من الوحي يسمى روحاً ويسمى نوراً وهدى . وكذلك القوة التي يرسلها الله لتأييد رسله وأنبيائه .

وقد جاء في القرآن جبريل عليه السلام بمعنى الروح .

قال تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين .) (١)

وجاء جبريل بمعنى روح القدس .

قال تعالى : (وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) (٢)

يقول ابن كثير : (وأيدناه بروح القدس) يعني أن الله أيده بجبريل عليه السلام) (٣)

قال تعالى : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً) (٤)

فالروح هنا بمعنى الرسول الذى أرسله الله إلى مريم عليها السلام .

وهو جبريل عليه السلام . وليس أقنوماً قائماً بذاته كما يدعى النصارى .

٥ - الرد على قول النصارى بأن عيسى صلب تكفيراً عن الخطيئة :

يقول مرقس : (إن إبن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخْدَم بل لِيَخْدِم وليبذل نفسه فديه عن كثيرين .) (٥)

وقال يوحنا : (لأنه أحب العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ، لأنه لم يرسل الله إبنه للعالم ليدين العالم بل ليخلص العالم .) (٦)

---

(١) الشعراء آية ١٩٢ - ١٩٤

(٢) البقرة آية ٢٥٣

(٣) تفسير إبن كثير جـ١ ، ص ٣٠٤

(٤) مريم آية ١٧ - ١٩

(٥) إنجيل مرقس للإصحاح العاشر ، ص ٧٦

(٦) إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث ، ص ١٤٩

ويرد القرآن عليهم :

١ ـ بأن عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إليه وألقى الشبه على واحد منهم فصلبوه ظانين أنه عيسى عليه السلام .

قال تعالى : (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم .) (١)

٢ ـ والله عز وجل من عدله ورحمته أنه لا يؤاخذ أحداً بذنب لم يرتكبه ولم يكن له أى دخل فيه كما قال تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى .) (٢) بل كل إنسان مسئول عن أعماله .

فقولهم : بأن المسيح بذل نفسه فداءً عن البشر ، قول كاذب لا يقبله العقل وليس له دليل بل هو من إختراعهم وزعمهم وأباطيلهم .

وأما قولهم : بأن المسيح إرتفع إلى السماء بعد صلبه وجلس بجوار الرب وسيأتى ليحاسب الناس ويجازيهم يوم القيامة على أعمالهم ، فهذا أيضا كذب لم يقل به المسيح عليه السلام ولا غيره من الرسل ، لأن الذي سيحاسب الخلائق يوم القيامة هو الله عز وجل وليس المسيح عليه السلام .

يقول الشيخ محمد عبده : (والله إننى لا أرى من عجائب أطوار البشر وقلبهم للحقائق ، ولبسهم الحق بالباطل أعجب وأغرب من وجود الديانة النصرانية في الأرض ديانة بنيت على أساس التوحيد الخالص المعقول جعلوها ديانة وثنية بتثليث غير معقول ، أخذوه من تثليث اليونان والرومان المقتبس من تثليث المصريين والبراهمة إقتباساً مشوهاً ، ديانة شريعة سماوية ، نسخوا شريعتها برمتها وأبطلوها ، واستبدلوا بها بدعاً وتقاليد غريبه عنها ـ ديانة زهد وتواضع وتقشف وإيثار وعبودية جعلوها ديانة طمع وجشع وكبرياء وترف وأثرة وإستعباد للبشر ، ديانة أصولها التي هم عليها مقتبسة من الوثنية الأولى لم ترد كلمة تدل على أن عقيدتها عن أنبياء بني إسرائيل ، ولكنهم زعموا أنها مستمدة من جميع كتب أنبياء بني إسرائيل ديانة نسبوها للمسيح عليه السلام وليس عندهم نص من كلامه في أصول عقيدتها التي هي التثليث ، وإنما بقي عندهم نصوص قاطعة من كلامه في

---

(١) النساء آية ١٥٧

(٢) فاطر آية ١٨

حقيقة التوحيد والتنزيه وإبطال التثليث وعدم المساواة بين الأبوالإبن الذي أطلق لفظه مجازاً عليه وعلى غيره من الأبرار ومع أنه كان يعبر عن نفسه فى الأكثر بإبن الإنسان .) (١)

ويرد المنصفون من اليهود والنصارى على خرافات أقوال النصارى مثل إسبنيوزا - وشارل جينيبير.

فيقول إسبنيوزا : (لاشك في أن هذا الإختلاف في الأسس التي يقيم عليها الحواريون الذي كان سبباً لكثير من المنازعات والإنقسامات التي مازالت تعاني منها الكنيسة منذ زمن الحواريين ، لاشك أنها ستظل تعاني منها إلى الأبد حتى يأتي اليوم الذي ينفصل فيه الدين أخيراً عن التأملات الفلسفية ويقتصر على عدد صغير جداً من العقائد الشديدة اليسر التي دعا إليها المسيح نفسه . أما الحواريون فلم يستطيعوا ذلك لأن الناس كانوا يجهلون الإنجيل ، وعلى ذلك فلكي لايصدم الناس بشدة بهذه العقيدة الجديدة كيفها الحواريون بقدر إستطاعتهم مع روح عصرهم . (٢)

أما شارل جينيبير فيقول : (فالمسيحية إذن ديانة أنشئت - على أساس يهودي - من عناصر متباينة كثيراً ، وإن جمع بين أشتاتها على سواء الأصل الشرقي : عناصر يونانية في جوانب كثير منها ، ولكنها أيضاً عناصر من آسيا الصغرى وسوريا ومابين النهرين ومصر .) (٣)

ويقول شارل جينيبير عن الأناجيل : (وتصفح الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث مما يحتم معه القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ، ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم بل على العكس من ذلك : اتبع كل هواه وخطته الخاصة في تنسيق وترتيب مؤلفه .

ولم يقل عن نفسه بأنه إبن الله ، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوى فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين .

---

(١) تفسير المنار جزء ٦ ، ص ٩٣ - ٩٤

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسه ، ص ٣٣٥ ، تأليف اسبنيوزا ترجمة دكتور حسن حنفى مراجعة دكتور فؤاد زكريا ، ١٩٧١م .

(٣) المسيحيه نشأتها وتطورها ٢٨٥

كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها بوليس، كما استخدمها مؤلفا الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة، وعلى قدر كاف من الوضوح بالنسبة إليهما.) (١)

ويقول موريس بوكاي : (بالنسبة للأناجيل فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده. لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح : فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها. (٢)

وبهذا تتبع القرآن الكريم شبه النصارى ورد عليها رداً يخرسهم، وقد احتذى النصارى حذو القرآن، فنجد هؤلاء عندما تنورت عقولهم لا يستسيغون هذه العقيدة المحرفة فيتركونها إما إلى الإلحاد وإما إلى الإسلام.

٦ ـ الرد على مواقف النصارى تجاه المسلمين :

لقد كان الرد على النصارى يتفق مع أفعالهم التي كانت متنوعة فهم قد قاموا بإثارة الجدل والشبه، واتخاذ مراكز فى بلاد المسلمين، وبقتل الرسل ثم بقتل من أسلم منهم، ثم بإعلان الحرب على المسلمين.

ولقد كان الرد يناسب ما قاموا به من أفعال فمن حيث الحرب قد جرت عادة النصارى وبخاصة في العصور الأخيرة أن يتهموا الإسلام بأنه انتشر بالسيف والمتتبع للتاريخ يجد أن النصارى هم الذين بدأوا بالإعتداء في القديم وفي الوسيط وفي الحديث، فقد رأينا ذلك واضحاً في غزوة مؤتة حيث كانوا هم البادئين بالتحرش والعداء بالمسلمين سواء كان على يد الروم أو أتباعهم من العرب الذين كانوا يحكمون تحت سلطانهم ويأتمرون بأمرهم.

---

(١) المسيحيته نشأتها وتطورها، ص ١٣ - ١٤

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣١

وفي العصور الوسطى هم الذين أشعلوا الحروب الصليبية والتي استمرت قرنين من الزمان ، والتي انتهت بهزيمتهم .
أما في العصور الحديثة فكل ما وقع لبلاد المسلمين من شر كان بسببهم ولا يزال يحصل حتى الآن .
فهل بعد ذلك يقولون بأن الإسلام انتشر بالسيف !
هل كانوا يتوقعون من المسلمين أن يقفوا مكتوفي الأيدي يمدون رقابهم لمن يذبحهم ؟
إن ما حصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المسلمين من بعده كان دفاعاً ضد هؤلاء المعتدين الذين كانوا يمنعون الإسلام أن يصل إلى شعوبهم ليخلصها من عبادة الناس إلى عبادة الله ويخرجها من الظلام إلى النور ، وينصر المستضعفين الذين استعبدوهم .
لذلك جهز الرسول عليه السلام الجيوش الإسلامية لرد إعتدائهم ولقتالهم إمتثالاً لقول الله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .) (١)
ففي هذه الآية دليل على أن النصارى لا يؤمنون بالله ولو ادعوا ذلك لأن الذي يؤمن بالله إيماناً مشوهاً حيث نسبوا لله الولد ، وجعلوه ثالث ثلاثة وحرموا ما أحله الله وأحلوا ما حرمه الله لا يكونوا مؤمنين ولو ادعوا الإيمان ثم لم يؤمنوا باليوم الآخر . وما فيه من حساب وجزاء حيث يقولون : (إن كل معصية تغفر بالإتحاد بالمسيح وتناول العشاء المقدس .)
فكانت غزوة مؤتة ثم تبوك التي نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكانت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية التي تكللت بالنصر والتوفيق وانتشر الإسلام حتى وصل إلى أوربا . غرباً وإلى الصين شرقاً .

وأما بالنسبة لحسدهم للمسلمين وحقدهم عليهم فإن الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله بألا يلقي إليهم بالاً وأن يتوكل عليه في كل أموره ويعفو عنهم

---

(١) الحرب في الإسلام لا تقتصر على الدفاع عندما يهاجم الأعداء المسلمين ولكنها تكون أيضاً هجومية وليست لذات الهجوم وإنما لإزالة العقبات للدعوة ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا ذهبت الجيوش الإسلامية إلى البلاد البعيدة لأنهم أرادوا أن يدعوا الناس للإسلام وأن يبعدوا من طريقهم الدعوة من يحاربها

(٢) التوبة آية (٢٩)

ويصفح حتى يأتى الله بأمره فهو القادر على كل شيء .

قال تعالى : (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير .) (١)

وأنه هو الذي يختص برحمته من يشاء من عباده لأنه صاحب الفضل العظيم ومن فضله العظيم ورحمته أن أرسل الرسول عليه السلام بالإسلام وأنزل عليه القرآن الذي فيه الخير والرشاد للإنس والجان .

قال تعالى : (والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) . (٢)

ولقد رد الله على قولهم : (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) (٣) بأن هذه أوهام وتخيلات وطالبهم بالدليل على صدقهم فى مايقولون ومايدعون ؟ وهيهات أن يأتوا ببرهان أو دليل فهذه أماني تمنوها ، وتخيلات تخيلوها وليس لها دليل من الصحة والواقع .

قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .) (٤)

لقد تحداهم الله بأن يأتوا بدليل على صحة مايقولون ، ولايزال هذا التحدي قائماً حتى تقوم الساعة .

ولقد بين الله حقيقة الكفار وهي عدم الرضا عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم ويتركوا دين الاسلام لأن الحقد والكراهية قد ملأت قلوبهم والغرور والكبر سيطر عليهم فرد الله عليهم بقوله : (قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير .) (٥)

---

(١) البقرة آية ١٠٩

(٢) البقره آية ١٠٥

(٣) ، (٤) البقرة آية ١١١

(٥) البقرة آية ١٢٠

يقول ابن كثير : (يقول جل ثناؤه وليست يامحمد اليهود ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب مايرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى مابعثك الله به من الحق ، وقل لهم : إن هدى الله الذي بعثني به هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل .

يقول قتادة : هذه خصومة علمها الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليخاصموا بها أهل الضلالة ، وفيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن إتباع طرائق اليهود والنصارى بعد ماعلموا من القرآن والسنة فإن الخطاب للرسول عليه السلام والأمر لأمته . (١)

وحينماحاولوا أن يشوهوا عقيدة التوحيد بقولهم : أتريد أن نعبدك يا محمد كما عبدت النصارى ابن مريم ؟ رد الله عليهم بقوله : (ماكان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون .) (٢)

ولقد رد الرسول على وفد نجران وأبطل كذبهم في دعواهم أن عيسى إله أو ابن إله أو أنه ثالث ثلاثة ودعاهم إلى المباهلة لتبين الصادق من الكاذب . قال تعالى : (فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم . وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .) (٣)

ولم يقبل النصارى المباهلة ورضوا بدفع الجزية بعد أن أعلمهم كبيرهم العاقب بأنهم إن باهلوا الرسول عليه السلام إضطرم عليهم الوادى لأن محمداً نبي مرسل جاء بالفصل في أمر عيسى ، فتركوا المباهلة وانصرفوا إلى بلادهم على أن يؤدوا في كل عام ألف حلة في صفر وألف حلة في رجب ، فصالحهم الرسول عليه السلام على ذلك . (٤)

---

(١) تفسيرابن كثير جزء ١ ، ص ١٦٣ .

(٢) آل عمران آية ٧٩ - ٨٠

(٣) آل عمران آية ٦١

(٤) تفسير القرطبي جزء ٢ ، ص ١٣٤٦

وتأخذ من المباهلة أكبر دليل على أنهم لايوٴمنون بدينهم حق الإيمان لأنهم لو كانوا واثقين منه لقبلوا المباهلة دون النظر إلى النتائج ، ولكنه التعصب للباطل .

ولقد رد الله على النصارى الذين آرادوا إتخاذ مراكز ضد المسلمين، وأخبر الرسول عليه السلام بما يبيتونه في الخفاء ، وبما يدبرونه من مكائد ضد الإسلام والمسلمين هم وأعوانهم من المنافقين .

فبين الله كذبهم في إدعائهم بأنهم أرادوا الحسنى ، ونهى الرسول عليه السلام عن القيام فيه ، ويكفي من يشهد الله عليه بالكذب ذلاً وهواناً .

قال تعالى : (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون .) (١)

ثم بعد ذلك ينهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم كما ينهى جميع الموٴمنين عن القيام في هذا المسجد ، ثم يضع الأسس التي يجب أن تراعى في إقامة المساجد وهي تقوى الله سبحانه وتعالى في كل عمل نعمله وخاصة المساجد، فيقول : (لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) (٢) .

ثم يضع مقارنة بين بنائين أحدهما أسس على التقوى والأخر للإضرار وعدم التقوى ،وإنهمالا يمكن أن يتساويا ،فالذين يضعون بنيانهم للإضرار بالإسلام والمسلمين يبقى وبالاً عليهم . يقول الله عز وجل : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارفانهاربه في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين لايزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم .) (٣)

يقول سيد قطب رحمه الله : (هذا المسجد الذي إتخذ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مكيدة للإسلام والمسلمين ،لايراد به إلا الإضرار بالمسلمين ، وإلا الكفر بالله وإلا ستر المتآمرين على الجماعة المسلمة الكائدين لها في الظلام ، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدين على الكيد له تحت ستار الدين . هذا المسجد لايزال يتخذفي صور شتى تلائم إرتقاء الوسائل الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين تتخذ في صورة أوضاع ترفع

---

(١) (٢) التوبة آية ١٠٧ - ١٠٨

(٣) التوبة آية ١٠٩ - ١١٠

لافتة الدين عليها لتترس وراءها وهي ترمي هذا الدين وتُتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام لتخدِّر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ، ويمحق ، فتخدِّرهم هذه التشكيلات ، وتلك الكتب إلى أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق . . . وتُتخذ في صور شتى كثيرة .

ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشفها وإنزال اللافتات الخادعة عنها وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها . ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . (١)

---

(١) في ظلال القرآن جزء ٤ ، ص ٣٠٥ - ٣٠٦

الفصل العاشر

المنافقون وموقفهم من الإسلام

الفصل العاشـــر

المنافقـــون

تعريف النفـــاق :

المنافق في اللغة مأخوذ من النافقاء، والنافقاء إحدى جحرة اليربـــوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه ، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضـــرب الجربوع النافقاء برأسه فانتفق أي خرج وقيل مأخوذ من النفق وهـــو الـــرب تحت الأرض ويراد أن يستتر بالإسلام كما يستتر صاحب النفق فيه .
أما في الإصطلاح فهو إظهار الإيمان وستر الكفر . (١)

يقول إبن كثير : (النفاق : هو إظهار الخير وإسرار الشر وهو نوعان :
١ - إعتقادي ، وهو الذي يخلد صاحبه في النار .
٢ - عملي ، وهو من أكبر الذنوب لأن المنافق يخالف قوله ، فعله ، وسره علانيته . (٢)

تمهيـــد :

من المعارضين للدعوة الإسلامية في زمن الرسول عليه الصلاة والســـلام وكذلك في كل زمان ومكان المنافقون ، وهم الذين كانوا يظهرون الإســـلام كذباً ويبطنون الكفر حقيقة ، وقد أخبر نا القرآن الكريم عن صفاتهم السيئـــه وأعمالهم الحقيرة والدنيئة ضد الرسول عليه السلام وضد المسلمين لكي يأخـــذ المسلمون الحذر والحيطة منهم حيث يندسون بين المسلمين ، ويتســـترون بالإسلام لكي يحيكوا المؤامرات ، والمكائد في الخفاء ولا يخلو أي مجتمـــع من المجتمعات من أمثالهم ، وهؤلاء أشد خطراً على الإسلام من الكفار الذين أعلنوا كفرهم جهاراً فعرفهم المسلمون وحذروا منهم .

نشأتهـــم :

لم يكن في مكة نفاق ولا منافقون ، وذلك لأن الإسلام في مكة لم تكن لـــه دولة ولا قوة ، وكذلك لم تكن له عصبة يخشاها أهل مكة بل على العكس كـــان

---

(١) لسان العرب مادة نفق .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ، ص ٤٧

الإسلام مضطهداً ، وكان المسلمون مطاردين وكانت الدعوة كذلك مطاردة ولم يكن يدخل في الإسلام إلا الذين كانوا صادقين في إيمانهم مضحين في سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم وأولادهم ، ولكن حينما هاجر الرسول عليه السلام والمؤمنون إلى المدينة المنورة التي شرفها الله بهجرة المصطفى عليه السلام والتي انتشر فيها الاسلام إنتشاراً عظيماً وأصبح له قوة يحسب لها حساب فاضطر لمصانعتها عدد كثير وخاصة بعد غزوة بدر والتي كرم الله المؤمنين فيها بالنصر على الكافرين ، فوجد المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول فرصة سانحة لهم وهي إظهار الإسلام كذباً وإخفاء الكفر حقيقة وهذه الفرصة هي المصالح المادية التي يحصلون عليها ثم الكيد والمكر بالإسلام والمسلمين . وكان المنافقون متعاونين مع كل أعداء الإسلام وبخاصة مع اليهود الذين عرفوا على مر التاريخ بالكيد والمكر والخبث، فأخذوا يدبرون مخططاتهم الخبيثة ومكائدهم الحقيرة في الخفاء ضد الإسلام والتي كان القرآن يخبر الرسول عليه السلام عنها ويبين له خداع وكذب المنافقين ويوضح نواياهم أولاً بأول ، وقد سمى الله في القرآن سورة بإسمهم وهي سورة (المنافقون) والتي بين الله فيها صفات هؤلاء المنافقين وأفعالهم ، ولقد تحدثت كثير من سور القرآن عن المنافقين وهاهي آيات من سورة البقرة يصف لنا الله فيها المنافقين .

قال تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخروما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بماكانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين .) (١)

---

(١) البقره آيه ٨ - ١٦

هذه الآيات المباركات تبين لنا واقع المنافقين في المدينة المنورة وكأن التاريخ يعيد نفسه حيث نجد هذه الصفات متكرره فى هذا الزمان وهذه الصفات هي الكذب ، الخداع ، العناد ، الكبر ، اللوءم ، المكر ـ السفه ـ التآمر الجبن ـ الفساد ـ الإستهزاء ـ الضلال والإنحراف .

موقف المنافقين من الإسلام والمسلمين :

لقد كان للمنافقين مواقف مخزية ، وحقيرة مليئة بالكيد والخبث والحقد والعداء للرسول عليه الصلاة والسلام وللموءمنين ، وهذه المواقف المتعددة كانت طوال العهد المدنى وسوف نتكلم عن بعض منها وهي :

١ - موقف الخداع والكذب :

كان المنافقون يظهرون الإسلام كذباً ويبطنون الكفر حقيقة لكي يخدعوا الموءمنين ، وحتى يدبروا موءامراتهم في الخفاء والسر ، ونسوا أن الله مطلع عليهم ، ولكي يتركهم يتمادون فى أعمالهم وخداعهم ، فيخدعون أنفسهم دون أن يشعروا .

قال تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بموءمنين يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .) (١) ومن مظاهر كذب المنافقين وخداعهم أنهم كانوا يظهرون المحبة للرسول عليه السلام ويحدثونه بكلام أحلى من العسل ولكن كانت قلوبهم مليئة حقداً وبغضاً وضغينة للرسول عليه السلام وللموءمنين .

قال تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض . ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد .) (٢)

ومن كذب المنافقين إتخاذهم أيمانهم وقاية حيث كانوا يحلفون كذباً ليغتر المسلمون بهم ويصدقوهم فيما يقولون .

---

(١) البقرة آية ٨ - ٩

(٢) البقرة آية ٢٠٤ - ٢٠٥

قال تعالى : (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون . إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ماكانوا يعملون ، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .) (١)

ورغم ماكان يخفيه المنافقون من الحقد والبغض في قلوبهم إلا أنه كان يظهر على ملامح وجوههم ، ومن كلامهم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) . (٢)

ينهى الله عز وجل عباده المؤمنين من إتخاذ المنافقين بطانة يطلعونهم على أسرارهم والمنافقون يسعون جهدهم لمخالفتهم والضرر بهم بما يستطيعون من مكر وخديعة ويودون مايعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم .

قال إبن مسعود والسدى : (هذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين المودة وهم في الباطن بخلاف ذلك .) (٣)

ومن مظاهر كذب المنافقين وخداعهم إظهار الإيمان أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ثم بعد خروجهم من عنده يسارعون في العدوان والظلم ، وأكل المال بالباطل .

قال تعالى : (وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون .) (٤)

---

(١) المنافقون آية ١ - ٣

(٢) آل عمران آية ١١٨ - ١١٩

(٣) تفسير إبن كثير جزء ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩

(٤) المائدة آية ٦١ - ٦٢

يقول ابن كثير : (وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصانعون المؤمنين في الظاهر وقلوبهم منطوية على الكفر .) (١)

والسبب الذي جعل المنافقين يكذبون ويقسمون بالله بأنهم مؤمنون هو : خوفهم من المؤمنين بأن يفعلوا بهم مافعلوه بالمشركين لذلك أظهروا الإسلام تقية وأخفوا الكفر والحقد على الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين قال تعالى : (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجئاً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون .) (٢)

لقد بين الله عز وجل كيف كان حالهم الجزع والفزع والهلع الذي جعلهم يحلفون بالله إنهم لمنكم ولو وجدوا حصناً يتحصنون به أو حرزاً يتحرزون به أو سرباً لأسرعوا إليه ذاهبين عن المؤمنين لأنهم إنما يخالطون المسلمين كرهاً لا محبة وودوا أنهم لايخالطون المؤمنين ولكن للضرورة أحكام ولهذا لايزالون في هم وحزن وغم لأن الإسلام وأهله لايزالون في عز ونصر ورفعة ، ولهذا كلما أسر المسلمون ساء ذلك المنافقين وودوا أن لايخالطوا المؤمنين لذا قال الله : (لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون .) (٣)

فهذه الآيات المباركات صورت خوف المنافقين من المؤمنين .

٢ - موقف التثبيط والتخذيل وإشاعة الفشل بين المؤمنين :

لقد حاول المنافقون تخذيل المؤمنين واضعافهم وبذر الخوف في قلوبهم وذلك بإشاعة الأقوال الكاذبة لكي يحطموا معنويات المسلمين ويوهنوا من عزائمهم ، ويفرقوا صفوفهم ، ولكن كان إيمان المؤمنين قوياً أقوى من مكايد المنافقين .

وقد بين لنا القرآن هذه المواقف التى قام بها المنافقون .

---

(١) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٧٥

(٢) التوبة آية ٥٦ - ٥٧

(٣) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٣٦٤

قال تعالى : (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا .) هكذا كان موقف المنافقين يوم أحد حيث أخذوا يرددون قول : (لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا) وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين ويثبطوهم ويخذلوهم .

قال تعالى : (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين .) (١)

هذا القول كان يردده عبد الله بن أبي رئيس المنافقين وأصحابه وذلك لكي يوهنوا من عزائم المؤمنين . وكان قولهم : (لو سمعوا مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ماقتلوا مع من قتل .) (٢)

من هذا القول يتبين لنا أن المنافقين كانوا قد أشاروا على المؤمنين بعدم الخروج مع الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غروراً . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً .) (٣)

هكذا كان موقف المنافقين يوم غزوة الأحزاب حيث أخذوا يقولون الأقوال الكاذبة ويشيعون الفشل وينشرون الخوف بين المؤمنين وذلك لكي يبعدوهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين وليوهنوا عزائمهم ، ويثبطوا هممهم .

قال تعالى : (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور

---

(١) آل عمران آية ١٦٨

(٢) تفسير إبن كثير جزء ١ ، ص ٤٢٥

(٣) الاحزاب آية ١٢ - ١٣

أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير، أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً .) (١)

يبين الله لنا كيف كان المنافقون يعوقون المؤمنين عن الجهاد في سبيل الله وذلك بدعوتهم للإستمتاع بالظلال والثمار معهم ، وتركهم القتال وترغيبهم في الجلوس للراحة والدعة ، وهم بخلاء عليهم بالمودة والشفقة (٢)
قال تعالى : (وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيداً .) (٣)

تبين لنا هذه الآية موقف المنافقين أثناء الخروج للقتال يتباطئون ، وكذلك يبطئون المسلمين عن الخروج ويخذلونهم كما حدث أثناء خروج المسلمين إلى أحد ومعهم إبن أبي وجماعته المنافقون ثم بعد ذلك تولوا عن المؤمنين وعادوا إلى المدينة .

قال إبن إسحاق : (حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينه وأحد ، انخذل عنهم عبد الله بن أبي ، سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ماندري على ماذا نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب وأتبعهم عبد الله بن حرام أخو بني سلمة يقول : (ياقوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عند ما حضر من عدوهم ، فقالوا : (لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الإنصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه .) (٤)

---

(١) الاحزاب آية ١٨ - ١٩

(٢) تفسير إبن كثير جزء ٣ ، ص ٤٧٤

(٣) النساء آية ٧٢

(٤) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥

وكذلك ماكان من تخذيل المنافقين يوم تبوك وإرجافهم للمسلمين وتخويفهم قائلين لهم : (أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال .) (١)

ثم ماكان من إنسحاب إبن أبي وجماعته من غزوة تبوك بعد أن عسكر هو ومن معه نحو ذباب .

قال إبن إسحاق : (وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب.) (٢)
ومن محاولتهم في التثبيط قولهم للمؤمنين : (لا تنفروا فى الحر) (٣)
وذلك لأنه كان الخروج لغزوة تبوك في شدة الحر عند طيب الثمار والظل فى المدينة فأخذ المنافقون يثنون المؤمنين عن الخروج بتخويفهم من الحر ويجبون إليهم الجلوس فى المدينة حيث الراحة والثمار والظلال وهذا ليس رحمة وشفقة بالمؤمنين وإنما تخذيل وتثبيط وإحباط لهممهم ولإبعادهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم.
يقول إبن هشام : (أن ناساً من المنافقين كانوا يجتمعون فى بيت سويلم اليهودي وكان بيته عند جاسوم يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم الرسول عليه السلام طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ففعلوا .) (٤)

موقف التجسس لأعداء الاسلام :

كان المنافقون يستترون ويتخفون بالإسلام حتى يستطيعوا تدبير مكائدهم ومخططاتهم ضد الإسلام والمسلمين ، ومن هذه الخطط التجسس على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين حيث كانوا يحضرون مجالس الرسول عليه

---

(١) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ٦٤ - ٦٥

(٢) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ٥١٩

(٣) التوبة آية ٨١

(٤) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ٥١٧

السلام وغزواته حتى يستمعوا إلى أقواله ثم ينقلوها إلى الأعداء .

قال تعالى : (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا .) (١)

لقد بين الله لرسوله عليه السلام بأن المنافقين يحضرون مجلسه ليسمعوا مايقوله ثم ينقلوه إلى أعداء الإسلام والمسلمين ، وهذا شأن المنافقين قديماً وحديثاً التجسس للأعداء .

قال تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون . أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون .) (٢)

قال الضحاك : (يعنى المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : آمنا .) وقال السدي : (هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة نحن مسلمون ليعلموا خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره فإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر ،فلما أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يدخلون .) (٣)

وكان من مواقف التجسس إتخاذ المنافقين مسجد الضرار للإجتماع فيه لتدبير المؤامرات والتجسس ضد الإسلام والمسلمين .

قال تعالى : (والذين إتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين .) (٤)

---

(١) المائدة آية ٤١

(٢) البقرة آية ٧٦ - ٧٧

(٣) تفسير إبن كثير جزء١ ،ص ١١٥

(٤) التوبة آية ١٠٧ - ١٠٨

قال إبن عباس ومجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير : أن الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا إثني عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجداً يضارون به مسجد قباء .
وقد وصفه الله بأربع صفات وهي :

١ - ضراراً إتخذوه ليضروا به المؤمنين .
٢ - وكفراً أي بالنبي صلى الله عليه وسلم .
٣ - وتفريقاً بين المؤمنين أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين .
٤ - وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله ، والمقصود به أبو عامر الذي سماه الرسول عليه السلام الفاسق ، وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه لأنه زالت رياسته وحاربه يوم أحد ، وقال : (لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم .) ولم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج إلى بلاد الشام وأرسل الى المنافقين أن إستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجداً فاني ذاهب إلى قيصر ، وآت من عنده بجند ، فأخرج محمداً وأصحابه ، فبنوا المسجد وانتظروا بمجيء أبي عامر ليصلى بهم في ذلك المسجد .

وأن المنافقين عندما بنوا ذلك المسجد لتلك الأغراض الفاسدة كان ذلك عند ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، وقالوا : يارسول الله بنينا مسجداً لذي العلة والليلة المطيرة والشاتية ، ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة ، فقال عليه السلام : إني على جناح سفر وإذا قدمنا صلينا إن شاء الله فيه ، فلما رجع من تبوك سألوه إتيانه فأخبره الله بكيدهم ونهاه عن الصلاة فيه حيث قال الله عز وجل : (لا تقم فيه أبدا .) (١)
فدعا الرسول عليه السلام بعض القوم وقال لهم : (إنطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وخربوه) ففعلوا ذلك وأمر الرسول عليه السلام أن يتخذ مكانه كناسة يلقى فيها الجيف والقمامة . (٢)

---

(١) البقره آيه ١٠٨

(٢) تفسير الرازى جزء ١٦ ، ص ١٩٣ - ١٩٥

موقف الإعراض عن الجهاد والقتال في سبيل الله :-

كان المنافقون كما تقدم يحاولون ألا يشتركوا فى القتال ، ويقوموا بالإعتذار بأعذار واهية ،أو ينسحبوا قبل بدء القتال كما حدث في غزوة أحد حينما إنسحب إبن أبي وجماعته ، وقالوا : لوكنا نعلم قتالاً لاتبعناكم . أو كما حدث في غزوة تبوك حينما انسحبوا واعتذر من اعتذر منهم بأعذار واهية كاذبة ، وكانوا إذا اشتركوا في غزوة من الغزوات بغية التجسس ، أو إشاعة الفشل ، أو التفريق بين المؤمنين أو للفساد بين الناس أو طلباً للغنيمة وليس حباً فى الجهاد في سبيل الله .

وكان الرسول عليه السلام إذا نادى للجهاد غشيهم الخوف والحيرة والإضطراب كأنهم في غشية الموت .

قال تعالى : (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ،فأولى لهم . طاعة وقول معروف فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم . فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . (١)

وقال تعالى : (لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون .) (٢)

يبين الله السبب الذي منع المنافقين من الخروج هو أنهم لم يتوقعوا سفراً قريباً ولا غنيمة قريبة حيث كان السفر إلى الشام التي تبعد عنهم والتي يشق عليهم السفر إليها بالإضافة إلى الخوف من الأعداء ،لذلك أخذوا يحلفون للرسول ويعتذرون وهم كاذبون .

قال تعالى : (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا في الحر) (٣)

---

(١) محمد آية ٢٠ - ٢٢

(٢) التوبة آية ٤٢

(٣) التوبة آية ٨١

من هذه الآيات يتبين لنا كيف كان المنافقون يكرهون الجهاد في سبيل الله بالأموال أو بالنفس ، ويوصي بعضهم بعضاً بعدم الخروج في الحر حيث كان الجو صيفاً والجو شديد الحرارة والقيظ.

وليس المراد الخوف من الحر ، ولكن مرادهم هو عدم القتال وعدم مساعدة المسلمين ، وماكان الحر إلا ستاراً يستترون به ككل معاذيرهم التي اعتذروا بها والسبب الحقيقي أن العقيدة الإسلامية لم تملك قلوبهم بل كانوا من أعدائها ، ولم تكن لديهم القدرة والشجاعة ليظهروا كفرهم ويتحملوا نتائجه فأصبح حالهم بين هؤلاء وهؤلاء .

موقف الإيذاء للرسول عليه السلام وللمؤمنين :

حاول المنافقون برئاسة ابن سلول إيذاء الرسول عليه السلام وصحابته بشتى أنواع الإيذاء ومن ذلك الإيذاء ماحدث في غزوة بني المصطلق حينما حدث نزاع بسيط بين المهاجرين والأنصار ، فغضب لذلك عبدالله بن سلول وقال : (أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ماعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجن الأعز منها الأذل) ثم قال لمن حضره من قومه : (هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم مابأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .) (١)

قال تعالى : (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) (٢)
وحينما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أذن في الرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه ليقضي على الفتنة التي أرادها إبن سلول ولكن لم يكتف هذا المنافق بذلك وإنما حاول أن يؤذي الرسول عليه السلام في أحب نسائه إليه وهي السيدة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها حيث اتهمها كذباً وزوراً بالفاحشة مع صحابي جليل . من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٢٩١

(٢) المنافقون آية ٨

وتبدأ القصة كما ترويها السيدة عائشة فتقول : (كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم وانما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتمل وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطىء يدها فركبتها فانطلق يقودني الراحله حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا معرسين في نحو الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراًوالناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ... فقام الرسول عليه السلام من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ماعلمت على أهلي إلا خيراً . وقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا ، وماكان يدخل على أهلي إلا معي ،فقام سعد بن معاذ ،فقال : يارسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من أخواننا من الخزرج أمرت ففعلنا فيه أمرك .) (١)

ومن إيذاء المنافقين ماتحدثوا به في غزوة تبوك حينما ضلت ناقة الرسول عليه السلام

---

(١) صحيح البخاري جزء٣ ،ص ١٥٤ - ١٥٦

فقالوا : (أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم بخبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته؟) فقال : (عليه السلام : (والله إني لا أعلم إلا ماعلمني الله وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا وجاءوا بها .) (١)

وكذلك من إيذاء المنافقين للرسول عليه السلام قولهم : أيظن أن يفتح قصور الروم وحصونها ؟ ؟ هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه على ماقالوا ، فقال : (على بهؤلاء النفر) فقال : (قلتم كذا وكذا ، فحلفوا ماكنا إلا نخوض ونلعب قال تعالى فيهم (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون) (٢)

وكذلك كان المنافقون يؤذون المؤمنين بقولهم : ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فبلغ ذلك الرسول عليه السلام فجاء المنافق يعتذر إلى الرسول عليه السلام قائلاً : إنما كنا نخوض ونلعب ومن ضمن إيذاء المنافقين للمؤمنين الإستهزاء والسخرية حيث كانوا يسخرون من الذين يقدمون صدقاتهم في سبيل الله قال تعالى : (والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم .) (٣)

يقول إبن عباس رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات ، فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وقال : كان لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت لنفسي وعيالي أربعة وهذه الأربعة أقرضتها ربى فقال له الرسول عليه السلام : بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت ، وجاء عمر بنحو ذلك وجاء عاصم بن عدي الأنصاري بسبعين وسقا من تمر الصدقة ، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة ، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر ، وقال : آجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لإرسال الماء الى نخيله ، فأخذت صاعين من تمر ، فأمسكت أحدهما لعيالي وأقرضت الآخر

---

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ، ص ٥٢٢

(٢) التوبه آيه ٦٥ - ٦٦

(٣) التوبه آية ٧٩

ربى ، فأمر الرسول عليه السلام بوضعه في الصدقات فقال المنافقون على وجه الطعن ماجاءوا بصدقاتهم إلا رياءً وسمعة وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر مع الأكابر والله غني عن صاعه .) (١)

ومن إيذاء المنافقين للرسول عليه السلام ماقام به رئيس المنافقين أثناء حصار بني قينقاع ، وكيف أغضب الرسول عليه السلام :

قال إبن اسحق : (فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه أى (بنى قينقاع) فقام عبد الله بن أبى بن سلول ، حين أمكنه الله منهم ، فقال يامحمد أحسن في موالي ، وكانوا حلفاء الخزرج ، قال : فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرسول عليه السلام : أرسلني ، وغضب حتى رأوا لوجهه ظللاً ، ثم قال : ويحك أرسلني ، قال إبن أبي : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربع مائة حاسر ، وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأحمر ، والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة إني والله إمرؤ أخشى الدوائر ، قال : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هم لك .) (٢)

وكذلك كان المنافقون يؤذون الرسول عليه السلام ويقولون : هو أذن .

<u>موقف الموالاة لأعداء الله :</u>

كان المنافقون يوالون أعداء الله من الكافرين ، ويعادون الرسول عليه السلام والمؤمنين ، ومن موالاتهم ماحدث أثناء حصار بنى النضير فأرسل إليهم المنافقون قائلين لهم : (أن إثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم .) (٣)

فأنزل الله قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم .) (٤)

---

(١) تفسير الرازي جزء ١٦ ، ص ١٤٥

(٢) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ٤٨

(٣) سيرة إبن هشام جزء ٢ ، ص ١٩١

(٤) الحشر آية ١١

ومن موالاتهم لهم كما تقدم ماحدث لبني قينقاع حينما حاصرهم الرسول عليه السلام حتى نزلوا على حكمه، وتمكن منهم ،فقام بن أبى للرسول عليه السلام وقال : أحسن في مواليي ،ومازال يلح على الرسول عليه السلام، وهو معرض عنه حتى قال له: هم لك . فأنزل فيهم قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون .) (١)

ومن موالاة المنافقين لأعداء الله ماتقدم من إتخاذهم مسجد الضرار ليكون مرصداً لأعداء الله، وتفريقاً بين المؤمنين .

والموالاة تكون بالمال أو النصرة، أو بالحب، أو التودد أو بالمودة ،أو بالتأييد وهذه جميعاً قدمها المنافقون لأعداء الإسلام والمسلمين .

---

(١) المجادلة آية١٤

الفصل الحادي عشر

الرَّدُّ على المنافقين

الفصل الحادي عشر

الرد على المنافقين

لقد ذكرنا صفات المنافقين المخزية ومواقفهم ضد الرسول عليه السلام وضد المؤمنين وهذه المواقف مليئة حقداً وبغضا وعداوة وكيداً ومكراً وخبثاً للإسلام والمسلمين .

ولقد بين القرآن صفاتهم ومواقفهم السيئة وكان يفضحهم أولا بأول ويرد عليهم كيدهم ومكرهم وخداعهم في آيات عديدة من القرآن الكريم .

لقد ذكرنا موقف الخداع والكذب وكيف كانوا يدعون كذباً أنهم مؤمنون بالله وباليوم الآخر وذلك لكي يخدعوا الرسول عليه السلام والمؤمنين ولكنهم نسوا بأنهم يخدعون أنفسهم دون يشعروا .

قال تعالى : (يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم ومايشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بماكانوا يكذبون .) (١)

فرد الله عليهم بأنهم لايخدعون المؤمنين إنما يخدعون أنفسهم ، والسبب الذي دعاهم إلى الخداع هو المرض الذي في قلوبهم وهو النفاق فزادهم الله مرضاً على مرضهم ولهم عذاب أليم يوم القيامة نتيجة كذبهم على المؤمنين وخداعهم .

ومن كذب المنافقين أنهم كانوا يدارون مافي قلوبهم من كفر ، ويعلنون إسلامهم وشهادتهم بأن النبى عليه السلام رسول الله ، ويحلفون كذباً على ذلك ليصدقهم الرسول والمؤمنين .

قال تعالى : (إذاجاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله .) (٢)
فهم كانوا يشهدون باللسان وقلبهم كاذب لأنهم لايقصدون الحق ، إنما يقولون ذلك للتقيه وليخفوا أمرهم وحقيقتهم عن المسلمين فيرد الله عليهم

---

(١) البقره آيه ٩ - ١٠

(٢) : المنافقون

مثبتاً لهم ومؤكداً بأنه يعلم بأن محمداً رسوله وبأنهم كاذبون في مايقولون من الشهادة لأن الله يعلم حقيقتهم وكذبهم وخداعهم لذلك فضحهم أمام الرسول عليه السلام وأمام المؤمنين .

قال تعالى : (والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون .)(١)

ثم بين الله كيف كان المنافقون يحلفون الأيمان الكاذبة ليتستروا تحتها وتكون لهم وقاية وجنة ليواصلوا كيدهم ومكرهم ويخدعوا بها المخدوعين فيهم وليصدوا غيرهم كما يصدوا أنفسهم عن إتباع الإيمان .

قال تعالى : (إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله .) (٢)

فرد الله عليهم موبخاً لهم بقوله : (إنهم ساء ماكانوا يعملون) (٣)

وبين الله كذبهم وخداعهم وصدهم عن سبيل الله وسوء عملهم هو أنهم كفروا بعد الإيمان واختاروا الضلال بعد الهدي .

قال تعالى : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون .) (٤)

ولم يكتف هؤلاء بالكذب إنما أضافوا إليه الفساد والعناد وتبرير أعمالهم الفاسدة التي كانوا يقومون بها .

قال تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون .) (٥)

فالمنافقون يبررون فسادهم بقولهم : إنهم مصلحون .

فرد الله عليهم بقوله : (ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .) (٦)

فنجد أن الله هو الذى يتولى الرد عن المؤمنين ويدافع عنهم وينصرهم فى كل زمان ومكان كما قال تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) (٧)

---

(١) المنافقون آية ١ -٢

(٢) المنافقون آية ٢

(٣) المنافقون آية ٣

(٤) المنافقون آية ٢

(٥) ، (٦) البقرة آية ١١ - ١٢

(٧) الروم آية ٤٧

وأما عن كبرهم وغرورهم وتعاليهم واحتقارهم للمؤمنين فالله يبين فعلهم القبيح في القرآن حيث يقول : (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء .) (١)

فرد الله عليهم بقوله : (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون .) (٢)

فكان هذا الرد من الله عز وجل رداً حاسماً وتقريراً حازماً عليهم ويوضح القرآن الصلة التي كانت بينهم وبين اليهود فهم لا يكتفون بالكذب والسفه والخداع والتعالي والتبرير إنما إضافة إلى ذلك اللؤم والمكر والكيد في الخفاء كما هو حال المنافقين واليهود في القديم والحديث .

والله عز وجل يبين الصلة والقرابة بين المنافقين وأخوانهم اليهود .

قال تعالى : (ألم ترَ إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم .) (٣)

فرد الله عليهم مبيناً لهم كذبهم قال تعالى : (والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون .) (٤)

ثم بين الله للمؤمنين حقيقة المنافقين واليهود وهي الخوف والرهبة من المؤمنين أشد من الخوف من الله فهم لا يفقهون بأن الله العزيز القوى الذي يجب أن يخاف ويرهب منه وليس المخلوق الضعيف.

قال تعالى : (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .) (٥)

فاليهود والمنافقون متصفون بالجبن وضعف النفوس لذلك اتفقوا على الدس والمكر والخداع للإسلام والمسلمين .

---

(١) ، (٢) البقره آيه ١٣

(٣) ، (٤) ، (٥) الحشر آيه ١١ - ١٣

قال تعالى : (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون .) (١)

فيرد الله عليهم بقوله : (الله يستهزئ بهم ويمد هم في طغيانهم يعمهون .)(٢)

فالله عز وجل يجعل المنافقين في ضلالهم يتخبطون بلا هدى ولا رشاد ويملي لهم حتى يتمادوا في الضلال والفساد ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

ويخبرنا الله بأن هؤلاء المنافقين عدلوا عن الهدى والإيمان إلى الضلال والكفر وبذلوا الهدى ثمناً للضلال والكفر فاختاروا الكفر والضلال برغبتهم واختيارهم وبذلوا له نفوسهم وأموالهم .

قال تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) (٣)

فلم يربحوا ولم يكونوا من المهتدين بل كانوا من الخاسرين الضالين لذلك دعا الله عليهم بقوله : (فماربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين .) (٤)

وبالفعل تحقق ما أراده الله فلم يربح المنافقون ولا اليهود بل خسروا وكانوا من الضالين الكافرين الخاسرين .

ويصور القرآن حيرتهم واضطرابهم في قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون .) (٥)

يقول إبن كثير : (أن الله سبحانه شبههم في إشترائهم الضلالة بالهدى وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى بمن استوقد ناراً فلما أضاءت ماحوله وإنتفع بها وأبصر بها ماعن يمينه وشماله وتأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلام شديد لايبصر ولايهتدى وهو مع هذا أصم لايسمع أبكم لاينطق أعمى ولو كان ضياء لما أبصر ،فلهذا لايرجع إلى ماكان عليه قبل ذلك ،فكذلك هؤلاء المنافقون في إستبدالهم الضلالة عوضا عن الهدى واستحبابهم الغي على الرشد .) (٦)

---

(١) ، (٢) البقرة آية ١٤ - ١٥

(٣) ، (٤) البقرة آية ١٦

(٥) البقره آية ١٧- ١٨

(٦) تفسير إبن كثير جزء ١ ،ص ٥٣

فهم لم يعرضوا عن الإيمان من البداية كما أعرض الكافرون بل اختاروا الكفر بعد أن تبين لهم الإيمان وعرفوه فهم أضاءوا النار فلما أضاءت وكانوا في حاجة إليها لم ينتفعوا بها لذلك ذهب الله بنورهم وتركهم في الظلام والضلال والشك والحيرة والإضطراب والله عز وجل يصور حال المنافقين وماهم عليه من حيرة وخوف وقلق وشك واضطراب وذعر وفزع. قال تعالى :
(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير .) (١)

فهذه الآيات المباركات صورت لنا حال المنافقين بين لقائهم للمؤمنين وخلوهم بالشياطين فهم مترددون حائرون بين الهدى والإيمان وبين الضلال والكفر بين النور وبين الظلام وهم في ذعر وخوف شديد كما قال تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم .) (٢)

وحذر الله منهم وبين بأنهم أعداء للرسول وللمؤمنين .

وقال تعالى : (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون .) (٣)

فالله مقاتلهم حيث ماكانوا وأينما اتجهوا والدعاء من الله بمثابة الحكم وهو الذي يتحقق في النهاية إن شاء الله . فالله هو القادر على كل شيء وقضاؤه لا مرد له وإرادته نافذة لا معقب لحكمه ولاراد لأمره وهؤلاء المنافقون إذا ماتوا على النفاق ولم يتوبوا فلا تنفع الشفاعة ولا الإستغفار لهم لأن الله لا يغفر لهم ولا يهديهم لأنهم فاسقون .

قال تعالى : (سواء عليهم إستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين .) (٤)

وقال : (إستغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين .) (٥)

---

(١) البقره آية ١٩ - ٢٠

(٢) ، (٣) المنافقون آية ٤

(٤) المنافقون آية ٦

(٥) التوبة آية ٨٠

وقد بين الله للمؤمنين بأنه لا فائدة من خروج المنافقين إلى الغزوات معهم لأن ضررهم أكثر من نفعهم ولأنهم لو خرجوا مع المسلمين لم يزيد وهم قوة بخروجهم بل يزيد لهم إضطراباً وفوضى ولأوقعوا بينهم الفتنة والتفرقة والتخذيل وفي المسلمين من يسمع لهؤلاء المنافقين .

قال تعالى : (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين .) (١)

وقد بين الله كيف كان نزول القرآن يزيد المنافقين كمداً على كمدهم ورجساً إلى رجسهم ويزيد المؤمنين إيماناً على إيمانهم . وبأن المنافقين ماتوا على الكفر والضلال .

قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون . وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون .) (٢)

وحينما كان ينزل القرآن ينظر المنافقون بعضهم لبعض هل يراهم المؤمنون ويلتفتون ثم يتولون عن الحق وينصرفون فهذا حالهم في الدنيا لا يقبلون الحق ولا يستمعون إليه بل يعرضون عنه .

قال تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون .) (٣)

صرف الله قلوبهم عن الحق والهدى فهم في ضلالهم يعمهون وذلك لأنهم عطلوا عقولهم عن الحق وعن الإيمان .

لقد رد الله على المنافقين الذين كانوا يتقاعسون عن الجهاد ويعتذرون بأعذار واهية ويحلفون الأيمان الكاذبة لكي يصدقهم الرسول عليه السلام ولكي يبرروا موقفهم السيء .

وأمر المؤمنين بعدم تصديقهم قال تعالى : (يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .) (٤)

---

(١) التوبة آيه ٤٧

(٢) التوبة ١٢٤ - ١٢٥

(٣) التوبة آية ١٢٧

(٤) التوبة آية ٩٤ - ٩٥

والله عز وجل سيظهر أعمال المنافقين للناس في هذه الدنيا ويوم القيامة سيعيدهم ثانية ليخبرهم بأعمالهم السيئة ويجازيهم عليها العذاب الشديد فهو العليم الخبير الذي لا يغيب عن علمه شيء في الدنيا والآخرة فلا فائدة من الإعتذار ولكن اعملوا الأعمال الصالحة التي توافق قولكم وتصدقه ولقد أعلم الله رسوله والمؤمنين بما كان يعمله المنافقون وذلك لكي يحترسوا منهم والله عز وجل أمر الرسول عليه السلام بالإعراض عن المنافقين وإهمالهم فإنهم رجس يجب أن يبتعد عنهم ويجتنبهم ويحتقرهم فإن جزاءهم يوم القيامة جهنم بما كسبت أيديهم من أعمال .

قال تعالى : (سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون .) (١)

يقول إبن كثير : (سيحلفون لكم معتذرين لتعرضوا عنهم فلا تؤنبوهم فأعرضوا عنهم احتقاراً لهم إنهم رجس أي خبث نجس بواطنهم واعتقاداتهم ومأواهم في آخرتهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون من الآثام والخطايا . (٢)

وأمر الله المؤمنين بأن لا يرضوا عن المنافقين لأنهم قوم فاسقون والله لا يرضى عنهم لأنهم خارجون عن طاعته إلى معصيته .

قال تعالى : (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين .) (٣)

والله عز وجل أخبر الرسول عليه السلام والمؤمنين بأن هؤلاء المنافقين مردوا على النفاق وبأن الرسول لا يعلمهم فهؤلاء تمرنوا واستمروا على النفاق والله عز وجل يعلم هؤلاء المنافقين ويعرفهم بأن الله سيعذبهم مرتين مرة فى الدنيا بالقتل والسبي ، وقيل بالجوع وعذاب القبر ويوم القيامة يعذبهم العذاب الشديد في نار جهنم خالدين .

قال تعالى : (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم .)(٤)

---

(١) التوبة آية ٩٤ - ٩٥

(٢) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٣٨٣

(٣) التوبة آية ٩٦

(٤) التوبة آية ١٠١

يقول إبن عباس أن العذاب الأول حينما أُخرج الرسول عليه السلام المنافقين من المسجد وفضحهم والعذاب الثاني عذاب القبر . (١)

ولقد أخبر الله رسوله والمؤمنين عن صفات المنافقين وهى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف ، وكذلك البخل وعدم الإنفاق في سبيل الله ونسيان الله حيث نسوا أوامره وفسقوا عنها فرد الله عليهم بقوله : (نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (٢) .

ثم أخبر الله بأنه أعدّ للمنافقين والمنافقات وكذلك الكفار نار جهنم خالدين مخلدين فيها فهي كفايتهم من العذاب وبأنه طردهم من رحمته ولهم عذاب دائم لا ينقطع .

قال تعالى : (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم .) (٣)

وقد أخبر الله بأن المنافقين قد أعماهم الطمع المادي عن كل عمل قيم ، ولو أنهم رضوا بنصيبهم لكانوا حقيقين بما أعده الله للمؤمنين من الفضل .

قال تعالى : (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون .) (٤)

فقد كان المنافقون يعيبون على الرسول عليه السلام فى تقسيم الصدقات ويتهمونه بعدم العدل فى القسمة ويسخطون لذلك ويتذمرون . وقد أخبر الله بأن المنافقين ستكون أموالهم وبالاً عليهم حيث سيستدرجهم الله بهذه الأموال فى الدنيا ثم بعد ذلك يعذبهم بها في الدنيا ويميتهم على الكفر .

قال تعالى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون .) (٥) .

---

(١) تفسير إبن كثير جزء ٢ ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦

(٢) ، (٣) التوبة آية ٦٧ - ٦٨

(٤) التوبة آية ٥٩

(٥) التوبة آية ٥٥

والمنافقون لايقبل الله منهم فدية ولا من الكفار يوم القيامة بل سيكون مأواهم ومرجعهم ومقرهم ومثواهم النار وبئس هذا المصير وذلك لأنهم أغتروا وتربصوا وإرتابوا وفتنوا أنفسهم . وخدعوها في الدنيا حتى جاءهم الموت بغتة وهم مخدوعون مغرورون بالأماني والأوهام .

قال تعالى : (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا إنظرونا نقتبس من نوركم قيل إرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . ينادونهم ألم تكن معكم قالوا : بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وإرتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور . فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير .) (١)

إن المنافقين كان غرضهم من البخل وعدم الإنفاق على المؤمنين هو أن ينفض المؤمنون عن رسول الله ويتركوه فرد الله عليهم بأن إطعام المسلمين لايتوقف على المنافقين وإنما فضل من الله الذى بيده خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون ذلك حيث أعماهم حقدهم وبغضهم وكفرهم عن ذلك .

قال تعالى : (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون .) (٢)
وحينما إتفق المنافقون على إخراج الرسول عليه السلام من المدينة ذليلاً حيث إعتقدوا أن العزة لهم رد الله عليهم بقوله : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون .) (٣)

فالمنافقون لايعلمون أن الله له العزة وبأنه يعز الرسول والمؤمنين ويؤيدهم بنصرهم ويذل المنافقين والكافرين ويخذلهم . وذلك لأنهم ماقدروا الله حق قدره .

---

(١) الحديد آية ١٣ - ١٥

(٢) المنافقون آية ٧

(٣) المنافقون آية ٨

وحينما كان المنافقون يستهزءون بالرسول عليه السلام ويعتذروا عن ذلك بأنهم كانوا يخوضون ويلعبون رد الله عليهم بقوله : (قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين .) (١)
فالله عز وجل لم يقبل من المنافقين عذرهم واعتبرهم كافرين وسوف يعذب طائفة منهم يوم القيامة لأنهم مجرمون كافرون .

ولقد رد الله على المنافقين الذين كانوا يؤذن النبي ويقولون بأنه أذن بأنه أعد لهم عذاباً أليماً في نار جهنم خالدين فيها ولهم خزى عظيم في ذلك اليوم لأنهم حادوا الله ورسوله .

قال تعالى : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم .) (٢)
وقال : (ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزى العظيم .) (٣)

والله عز وجل يسلي الرسول عليه السلام ويواسيه عما قام به المنافقون من إستهزاء وسخرية وأذى وكيد ومكر وخداع ، ويزيل عنه الحزن قائلا :
(ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم .) (٤)
فالله عز وجل يبين ما أعده للمنافقين من الخزي والذل والهوان إضافة إلى العذاب العظيم الذي سيكون يوم القيامة جزاءاً لأعمالهم السيئة والحقيرة التي قاموا بها ضد الرسول عليه السلام وضد المؤمنين .

وحينما اتخذ المنافقون مسجد الضرار للكيد للإسلام والمسلمين وللاضرار بهم وللكفر بالله وستر الخونة المتآمرين على الإسلام والمتعاونين مع أعداء الله والمؤمنين ،أمر الله عز وجل رسوله عليه السلام بهدمه وإزالته غير عابئ بهم ،وهنا يتضح أمر الله بمقاومة أعداء الله باليد والقوة ،حيث قام الرسول عليه السلام بهدمه ،لذلك يجب مقاومة المنافقين ومن على شاكلتهم باليد ،وباللسان ،وبكل أنواع المقاومة حتى لا يستشرى شرهم . ويجب أن تزال أماكن الضرار في الوقت الحاضر والتي تتمثل في المدارس الأجنبية ،والمستشفيات الاجنبية التي ظاهرها خير وباطنها شر حيث تهدف للقضاء على الإسلام .

(١) التوبة آية ٦٥-٦٦ (٢) التوبه آية ٦١ (٣) التوبة آية ٦٣
(٤) المائدة آية ٤١

لقد أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بعدم الصلاة على المنافقين إذا ماتوا وعدم القيام على قبورهم وذلك لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا على الفسق .
قال تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون .) (١)

وأخبر الله عز وجل بأن المنافقين في أسفل دركات جهنم جزاء أعمالهم الفاسدة وبأنه لا ناصر لهم ولا ولي لهم من دون الله .
قال تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً .) (٢)
واستثنى الله التائبين الذين تابوا من النفاق وعملوا الأعمال الصالحة وأخلصوا أعمالهم وعباداتهم لله فسوف يجازيهم الله كما يجازى المؤمنين بالأجر العظيم وصحبة المؤمنين ومرافقتهم في الجنة .

ولقد رد الله على المنافقين الذين اصطنعوا حادثة الإفك حيث برأ السيدة عائشة رضوان الله عليها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

قال تعالى : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين . لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون .) (٣)
ويرد الله على المنافقين الذين إتخذوا أعداء الله من الكافرين أولياء وبين ما أعده الله لهم من العذاب الأليم الشديد جزاءً لأعمالهم السيئة وموالاتهم للكفار .
قال تعالى : (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون .) (٤)

---

(١) التوبه آية ٨٤
(٢) النساء آية ١٤٥ - ١٤٦
(٣) النور آية ١١ - ١٢
(٤) المجادلة آيه ١٤ - ١٥

وقال : (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً .) (١)

وقد أمر الله عز وجل نبيه عليه السلام بمجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم وأخبره بأن مرجع ومأوى المنافقين والكفار جهنم وبئس هذا المرجع والمصير .

قال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير .) (٢)

والمتتبع لموقف القرآن الكريم من المنافقين يجد أنه يقف معهم وقفات أطول من وقفاته مع الكفار المصرحين بكفرهم ، ونلمس ذلك واضحاً مما ذكر في أوائل سورة البقرة من وصف الكفار والمنافقين ، فنجد أن ماجاء في شأن الكفار آيتان فقط وأما ماجاء في شأن المنافقين فانه يبلغ ثلاثة عشر آية ، وذلك يبين لنا خطر المنافقين لأن الكفار معروفون بأنهم أعداء وأما المنافقون فلا يدرك أمرهم هل هم أعداء أم أصدقاء : هذا بالنسبة للظاهر أما بالنسبة للباطن فهم أعداء لا غير . من هنا كان خطر النفاق على الدعوة في كل عصورها شديداً . إن الاسلام قد تغلب على أعدائه حينما كانوا ظاهرين أما حينما إتخذوا لأنفسهم ستاراً هو الإسلام ، وأبقوا باطنهم خرابا يدبرون المؤامرات حينما فعل أعداء الاسلام هذا كانوا هم المرض الحقيقي الذي أصاب الأمة الإسلامية ، يعرف ذلك واضحاً من تتبع آثار الفرق الباطنية على مر العصور . أليس ذلك كله يرينا خطر النفاق على الأمة الاسلامية ، ويجعل من الواجب على الدعاة أن يعملوا لذلك حساباً ، ويصرفوا أكثرهمهم إلى تنقية المجتمع من هذه الفئات التي تعلن الإسلام وتبطن غيره والتي أخذت الآن تتشكل في أشكال متعددة ، فالذين ينطقون بالشهادتين ومع ذلك يفضلون حكم غير الله على حكم الله وأخلاقيات الأعداء على أخلاقيات الإسلام مدعين أن ذلك هو التطور والحضاره بماذا نسمي هوءلاء ؟ أليس هو شر أنواع النفاق . الباطنية فيما مضى ، والمنافقون من قبلهم كانوا يشككون في التكاليف التي جاء بها الشرع فلا يوءدون الصلاة إلا وهم كسالى رئاء

---

(١) النساء آية ١٣٨ - ١٣٩

(٢) التوبة آية ٧٣

الناس وعند ما يخلو أحد هم بنفسه يتخلص من كل التكاليف وهو في الظاهر ينطق بالشهادتين ما الفرق بين هوءلاء ، وبين من ينطق بالشهادتين الآن ثم هو تحت ستار الحرية ينادى بحرية المرأة في جسد ها وكذلك الرجل ، ولا يوءدي الفرائض ولا يلتزم بالأوامر ، أليس هو شر أنواع النفاق يظهر من جديد ؟ ثم مافائدة ترديد الشهادتين بأطراف اللسان من غير أن تحتل قلبه وتسيطر على أعماله ؟ هل لو وقف المريض يردد اسم الدواء دون ان يستعمله هل يفيده شيئا ؟ .

بماذا نسمي إنساناً ينطق بالشهادتين ثم هو يعيش فى بيته كما يعيش الكفار ويتعامل معمجتمعه كما يتعامل الكفار ويحتكم إلى قوانين الكفار ، فإذا ماظهر الإسلام الحقيقى أمامه ينظر إليه نظرته إلى كائن غريب لايعرف عنه شيئاً .

هذه مظاهر النفاق فى العصر الحديث التي أصبح من الواجب على الدعاة أن يعدوا العدة لمقاومتها ، وينبهوا الناس إلى خطرها .

الخاتمة

الخاتمة

وبعد : فقد إستطاع البحث بمنهجه الذي إلتزمت به أن يأتي بالعديد من النتائج العلمية، لا أستطيع ذكرها كلها هنا، ولكن سأذكر نماذج منها .

فقد استطاع البحث في الباب الاول الذى تحدث فيه عن عناصر الإيمان أن يؤكد على حقيقة الإيمان بالله وأنه هو أساس العقيدة، وروح الدين والأصل الأصيل والركن الركين، وكل أركان العقيدة بعد ذلك متفرعة عنه، ومضافة إليه، وتابعة له .

فالقرآن حين يتحدث عن أركان الإيمان يجعل الإيمان بالله أولها وأصلها فيقول عز من قائل : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله . .) (١)

وهكذا كانت مهمة الأنبياء والرسل جميعا هي هداية الناس الى الإيمان بالله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن إعبدوا الله وإجتنبوا الطاغوت) (٢) .
فالرسل جميعاً وظيفتهم الأساسية لأقوامهم/(إعبدوا الله مالكم من إلهغيره) (٣)

وقوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٤)

فإذا عرف البشر ربهم على هذه الصورة، وانتفى كل وهم باطل عن أذهانهم وفي مشاعرهم، بقيت القضية الثانية التي يضل البشر بشأنها فيجاهليتهم، وهى الطريقة الصحيحة للعبادة، فإن العبادة ليست فقط في الإعتقاد بأن الله واحد لاشريك له، ولافي تقديم شعائر التعبد من صلاة ونسك ودعاء لله وحده دون شريك ، بل هناك أمر آخر : (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون .) (٥)

---

(١) البقره آية ٢٨٥
(٢) النحل آية ٣٦
(٣) الاعراف آية ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥
(٤) الانبياء آية ٢٥
(٥) الأعراف آية ٣

إنه لابد من إتباع ما أنزل الله وإلا فقد بطلت العبادة ولم يصبح المعبود إلهاً واحداً وإنما إلهين إثنين ، واحد تقدم له شعائر التعبد وواحد يشرع وتطاع تشريعاته من دون الله (وقال الله لاتتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد) (١)

تلك هي المهمة الكبرى للرسل جميعاً : أن يهدوا البشرية لإلهها الواحد ويدلوهم على الطريقة الصحيحة لعبادته . وبذلك تقوم حياتهم على قاعدتها الصحيحة : إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية ، وتوحيد العبادة له في الإعتقاد وشعائر التعبد ، واتباع ما أنزل من التشريع ، أي الحكم بما أنزل الله .

كما إنني بينت بعد ذلك وجوب الإيمان بأن لله أسماء وصفات وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهذا الإيمان لايكون باللسان فحسب بل بالعمل بها وبما تقتضيه .

وتوحيد الألوهية بني على إخلاص العبادة لله وحده ، في باطنها وظاهرها بحيث لايكون شيء فيها لغيره سبحانه . فالمؤمن بالله يعبد الله وحده ولا يعبد غيره ، فيخلص لله المحبة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والطاعة والتذلل والخضوع ، وجميع أنواع العبادة بأشكالها .

وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله في ربوبيته ، وتوحيده في أسمائه وصفاته ، وليس العكس فإن توحيد العبد لله في ربوبيته لايعني أنه يوحده في ألوهيته ، فقد يقر بالربوبية ، ولا يعبد الله عز وجل ، وكذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى .

ومن هنا كانت شهادة أن (لا إله إلا الله) متضمنة لجميع أنواع التوحيد فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته .

ولما كان هذا التوحيد هو حقيقة الدين فقد كانت الشهادتان أول ركن من أركان هذا الدين .

---

(١) النحل آية ٥١

ومن أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره .
ومن أجله خلقت الخليقة كما قال تعالى : (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .) (١)
أما الركن الثاني من أركان الإيمان فهو الإيمان بالملائكة . . وقد بينت مايجب أن يعتقده المؤمن بالنسبة للملائكة بأنهم موجودون مخلوقون من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون مايؤمرون ، وأنهم قائمون بوظائفهم التى أمرهم الله بالقيام بها .

فلا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله وسنة نبيه ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف ، ومن أنكر شيئاً من ذلك فقد كفر .

وأما حقيقة الملائكة ، وكيف خلقهم ، وتفصيلات أحوالهم فقد استأثر بها الله سبحانه ، وهذه خصيصة عامة من خصائص العقائد الإسلامية ، تناولت العقائد الكونية ، والتعريف بها فى حدود مايحتاج إليه البشر ، ويصلح أحوالهم في المعاش والمعاد وماتطيقة عقولهم ، فلم يطلعنا الله جل جلاله على جميع المغيبات سواء منها مايتعلق بجلاله وصفاته وأسمائه ، وماتعلق بمخلوقاته الغيبية .

وقد بينت أثر الايمان بالملائكة في حياة الإنسان بأن هذا الإيمان يجعله يمتنع عن المعاصي قدر المستطاع ، ويقدم على التضحية في سبيل الله بالمال والنفس ويتخذ من الملائكة قدوة له في الطاعة واجتناب المعصية . . الخ .
ومن أركان الإيمان : الإيمان بالأنبياء والمرسلين .
فيجب علينا أن نؤمن بأن الله بعث رسله إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته ، إن آمنوا به وبرسله وأطاعوه ، وإنذارهم من غضب الله إن كفروا وعصوا . قال عز وجل (ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون .) (٢)

---
(١) الذاريات آية ٥٦

(٢) الانعام آية ٤٨ - ٤٩

كما يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله عز وجل ، وإقامة دينه ، وتوحيده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته .

ويجب علينا تصديق رسل الله جميعاً ، وأن لا نفرق بين أحد منهم ، فمن فرق بين رسل الله ، فآمن ببعضهم ، وكفر بالآخرين ، كان من الكافرين بنص القرآن الكريم (إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا) (١)

كما يجب علينا أن نؤمن بأن رسل الله جميعاً كانوا رجالاً من البشر فلم يكونوا من الملائكة ، ولم يبعث الله أنثى قال تعالى ، (وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم .) (٢)

هذا ، وقد بينت حاجة البشرية إلى الرسل يرشدونهم إلى ما فيه الخير والصلاح ، وأن العقل البشرى عاجز كل العجز أن يصل وحده إلى الهداية الروحية والأمور الغيبية .

ومن أركان الإيمان : الإيمان بكتب الله عز وجل التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله . ويجب أن نؤمن بأن هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى وتوحيد الله سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأن ما نسب إليها مما يخالف ذلك إنما هو تحريف البشر وصنع أيديهم .

ويجب علينا أن نؤمن بأن القرآن الكريم هو آخر ما نزل من عند الله وأن الله اختصه بمزايا تميز بها عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة ، ومن أهمها :ـ

أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية وجاء مؤكداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة . وأنه هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (٣) وهذه مزية متفرعة عن مزية

---

(١) النساء آية ١٥٠ - ١٥١

(٢) الأنبياء آية ٧

(٣) الحجر آية ٩

أخرى ، وهى أن القرآن أنزله الله على رسوله محمد للناس كافة ، وليس خاصاً بقوم معينين كما كانت تنزل الكتب السابقة .

إن الكتب التي نزلت قبل القرآن ، قد ضاعت نسخها الأصلية ، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها أما القرآن فإنه لايزال محفوظاً بسوره وآياته وكلماته وحركاته ، كما تلاه جبريل على رسول الله ، وكما تلاه رسول الله على صحابته .

وقد بينت كيف حفظ الله القرآن الكريم ، وكيف حصل التحريف فى الكتب الأخرى بالأدلة القاطعة ، بما تضمنته هذه الكتب من العقائد الفاسدة ، والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه ، ورسله الكرام .

وقد بينت في الفصل الخامس معنى الإيمان باليوم الآخر ، وقلت إن معناه بصورة إجمالية هو الإيمان بكل ما أخبر الله به في كتابه ، وأخبر به رسوله ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار ، وما أعده الله لأهلهما جميعا .

وقد أهتم القرآن الكريم والسنة المطهرة بهذا الركن لما له من بالغ الأثر في حياة الإنسان ، ذلك أن الإيمان به له أشد الأثر في توحيد الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ، وقد ذكرت أدلة الإيمان باليوم الآخر ورد شبه المنكرين له كما جاءت فى القرآن الكريم . لما فى ذلك من الفائدة للإنسان فى كل زمان ومكان .

وفي الفصل الأخير من الباب الأول تكلمت عن الإيمان بقضاء الله وقدره وقلت إن هذا الإيمان هو أحد أركان العقيدة الإسلامية ، فمن كفر بقضاء الله وقدره خرج من دين الله .

وبينت أنه يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره . ويقصد بالإيمان بالقدر الإيمان بعلم الله القديم ، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة .

وقد بينت كيف أبطل القرآن إحتجاج الكفار بقدر الله ومشيئته على شركهم وأنه لو لم يشأ لهم الشرك لما وقعوا فيه .

كما أوضحت كيف أبطل القرآن حجة المتذرعين بقدر الله على فعل المعاصي . . قوله تعالى : (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله مالا تعلمون)(١)

وقد بينت أثر الإيمان بالقضاء والقدر في عقيدة المسلم ، فهي تسكب في قلب المؤمن السكينة ، وتفيض على نفسه الطمأنينة .

أما الذي فقد الإيمان بهذه العقيدة فنصيبه ضياع السعادة ، وتمزق الأعصاب ، وضنك العيش ، وتوتر الأعصاب في الدنيا ، والخلود في النار والعذاب المهين في الآخرة . وأوضحت أن الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب . فالمؤمن يأخذ الأسباب ويتوكل على مسبب الأسباب دون إفراط أو تفريط .

أما الباب الثاني : من أبواب هذه الرسالة والذي جعلته للحديث عن المعوقين للدعوة الإسلامية وموقف الإسلام منهم . فقد قدمت فيه للحديث عن ديانة العرب وضلالاتهم وإنحرافاتهم الشركية ، ومدى حاجتهم للهداية الربانية .

وبينت حتمية الصراع واستمراره بين الحق والباطل والخير والشر والنور والظلام . وكيف وقف الشرك معانداً ومكابراً لا تلين له قناة أمام نور الإيمان ، وما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى والإضطهاد هو والذين آمنوا معه مالا يحتمله إلا من أمده الله بمدد من عنده .

واتضح لي أن الصراع بين الوثنية والإيمان أمر لا بد منه عبر تاريخ الإنسانية الطويل مع أنبيائها ودعاتها ومصلحيها . وفي ذلك تعليم وعبرة وموعظة وذكرى لكل من يتصدى لإعلان كلمة الحق ، ورفع راية لا إله إلا الله .

وإن استعراضنا للعقائد الوثنية ، والوقائع التاريخية ليؤكد حتمية هذا الصراع مصداقاً لقوله تعالى : " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) . (٢)

---

(١) الأعراف آية ٢٨

(٢) البقرة آية ١٩٠

ولقد تبين لي من خلال دراستي للمعوقين للدعوة سواء أكانوا مشركين أو من أهل الكتاب اليهود أو النصارى . . إن هدفهم جميعاً واحد هو القضاء على الإسلام والمسلمين ، فقد أعلن الله سبحانه عن وحدة الهدف عند هؤلاء جميعا تجاه الإسلام والمسلمين بقوله في أهل الكتاب (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (١) فقوله في هدف أهل الكتاب (ولن ترضى) وقوله عن هدف المشركين (ولا يزالون) ينبئ عن قوة الإصرار على هذا الهدف واستمراره حتى قيام الساعة .

فلن يقف الصراع العقائدي بين المسلمين وهؤلاء المعوقين أبداً ، وقد أبان الحق سبحانه عن مكنونات ضمائرهم بقوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق .) (٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى الطبيعة العدوانية في المشركين وأهل الكتاب ضد أهل الإيمان ، وأنهم لن يتركوا المسلمين وحالهم بل يبدأونهم بالحرب والقتال والإعتداء دائماً .

قال تعالى : (ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين) (٣) .

وقد أبان القرآن عن حقيقة موقف أهل الكتاب من المسلمين ، ومايكنونه للمسلمين من حقد وحسد وعداوة وبغضاء في العديد من السور والآيات .

ولقد استنفذ اليهود في مناصبة الدعوة الإسلامية كل ماجبلوا عليه من اللؤم والمكر والدس والخديعة والتآمر والوقيعة ، فقد تآمروا مع المشركين ومع المنافقين للإيقاع بالمسلمين والقضاء عليهم من الداخل والخارج .

وقد كشف القرآن الكريم عن عدائهم الشديد ومكرهم ، ونية الشر والكيد والغيظ والبغض فيهم ضد المسلمين ، ونهى الله عن موالاتهم والإختلاط بهم فقال عز من قائل :-

---

(١) البقرة آية ١٣٠

(٢) البقرة آية ١٠٩

(٣) التوبه آية ١٣

(يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودواما عنتم قد بدت البغضاء من أفواهم وماتخفى صدورهم أكبر .) (١)

وقد عرض القرآن صورة للتضامن والتحالف الوثيق بين أهل الكتاب والمنافقين كأثر من آثار التآمر الموطد بينهما ضد الإسلام والمسلمين : قال تعالى : (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون) (٢)

وتآمر أهل الكتاب مع المشركين للقضاء على المسلمين (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له سبيلا) (٣)

وخلاصة القول : إذا نحن راجعنا التقريرات الربانية عن المشركين وأهل الكتاب (يهود ونصارى) وعن المنافقين وجدنا أن الأهداف النهائية لهؤلاء جميعا تجاه الإسلام والمسلمين هي بعينها بل تكاد تكون بألفاظها مما يجعل طبيعة مواقفهم من الإسلام واحدة .

وتدل الآيات القرآنية بصياغتها على مايجب أن تكون عليه طبيعة العلاقات الدائمة بين المسلمين وأعداء الدين جميعا . . فقد جمع فى آية واحدة المشركين وأهل الكتاب فقال (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم .) (٤)

وهكذا يتضح لقارئ هذا البحث أن ملة الكفر واحدة فى معتقداتها ومواقفها وأهدافها سواء أكانوا من المشركين أم من اليهود والنصارى أم من المنافقين ،فجميعهم أهل كفر وضلال وانحراف عن الحق ، وموقفهم هو الصد عن سبيل الله ، ومحاربة من آمن بالله بكل الوسائل مشروعة وغير مشروعة ،

---

(١) آل عمران آية ١١٨ - ١٢٠

(٢) الحشر آية ١١

(٣) النساء آية ٥١ - ٥٢

(٤) البقرة آية ١٠٥

وهدفهم هو إطفاء نور الله، واستئصال شأفة من آمن بالله لا يرعون في ذلك عهداً ولا ميثاقاً، ولا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة. والتاريخ كله شواهد على عداوتهم الظاهرة وما دبروه ويدبرونه من كيد ومؤامرات للقضاء على الإسلام والمسلمين في كل آن وحين فهم جميعا أعداء لدين الإسلام (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) (١)

وعلى الجملة.. فرسالتي تعد محاولة للعودة بالدراسات الاسلامية إلى البساطة والوضوح، وذلك بالتعويل فيها قبل كل شيء على النصوص، وجعل ماسوى ذلك من المراجع مفاتيح لما يمكن أن يستغلق فهمه، ومصابيح لما يمكن أن تخفى معرفة حقيقته أو يدق سببه. فقد اختفيت وأخفيت العلماء وراء النصوص التي تركت لها وحدها فرصة التعبير عن كل ماجاء في هذا البحث من حقائق ومعتقدات.

فالله أسأل أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.. إنه أكرم مسئول وأعظم مأمول.

سميرة محمد عمر جمجوم

---

(١) المنافقون آية ٤

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

هذه أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها :-

١ - كتب التفسير وعلوم القرآن :-

١ - القرآن الكريم .

٢ - الإتقان في علوم القرآن . جلال الدين السيوطي ، دار الفكر بيروت .

٣ - إعجاز القرآن . الباقلاني ، تحقيق السيد احمد صقر .

٤ - البرهان في علوم القرآن . بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، بيروت .

٥ - تفسير الفخر الرازي الشهير (بالتفسير الكبير) . الإمام محمد فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران .

٦ - تفسير القرآن الحكيم الشهير (بتفسير المنار) . السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، القاهرة .

٧ - تفسير القرآن العظيم . إبن كثير ، دار المعرفه للطباعة والنشر ، بيروت .

٨ - تفسير القرطبي . أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ، مكتبة الشعب ، القاهرة .

٩ - المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم يحي الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني .

١٠- مناهل العرفان في علوم القرآن . الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، دار احياء الكتب العربيه .

١١- في ظلال القرآن . سيد قطب ، الطبعه السابعه ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م .

٢ - **كتب الحديث الشريف :-**

١ - سنن ابن ماجه . مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢م .

٢ - صحيح البخارى . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيره بن بردزبه البخارى .

٣ - صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة .

٤ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى . الإمام احمد بن محمد بن حجر العسقلانى ، إخراج وتصحيح وإشراف محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفيه ومكتبتها .

٣ - **كتب السير والتاريخ والعلوم الأخرى :**

١ - البدايه والنهايه . الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، دار الفكر ، بيروت .

٢ - تاريخ الطبرى . محمد بن جرير الطبرى .

٣ - التعريفات ، على بن محمد الشريف الجرجانى .

٤ - السيرة النبوية . الإمام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهره .

٥ - السيره النبويه . أبو محمد عبد الملك بن هشام ، تقديم وتعليق طه عبد الرءوف سعد ، دار الجبل ، بيروت .

٦ - الكامل فى التاريخ . إبن الاثير ، مطبعة ذات التحرير ، مصر ، ١٣٠٣ هـ .

٧ - إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . إبن القيم الجوزيه .

٨ - إمتاع الاسماع بما للرسول من الأبناء والاموال والحفده والمتاع . المقريزى . القاهرة ، ١٩٤١م

٩ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه ، دار المعـــارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

١٠- شفاء العليل . إبن القيم الجوزيـــه .

١١- اللـه يتجلى في عصر العلم . مجموعة من الأساتذة المتخصصيـــن الغربيين . ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ،

١٢- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر . إبن الجوزى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد .

٤ - **كتب العقيدة والعلوم الاخرى :**

١ - إظهار الحق . الشيخ رحمة الله بن خليل الكيرانوى ، إخراج وتحقيـق عمر الدسوقي ، عنى بطبيعة ومراجعته عبد الله بن ابراهيم الانصارى ، الدوحه ، قطر .

٢ - أعلام النبوة ، أبو الحسن على محمد الماوردى الشافعي ، دار الكتب العلميه ، بيروت .

٣ - الإسلام يتحدى . وحيد الدين خان .

٤ - الأصنام . أبو منذر هشام بن محمد السائب الكلبي ، تحقيق احمـــد زكريا .

٥ - الإفحام لأفئدة الباطنيه الطغاة . يحيى بن حمزه العلوى ، تحقيـــق فيصل بدير ، مراجعة الدكتور سامى النشار ، منشئة المعـــــارف ، الاسكندرية .

٦ - الإيمان والحياة . يوسف القرضاوى .

٧ - التوراة السامرية . تحقيق الدكتور احمد السقا .

٨ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . أبو العباس تقي الديـــن إبن تيميه ، مطابع المجد التجارية .

٩ - الوحدانيه مع دراسة في الأديان والفرق . بركات عبد الفتـــاح دويدار ، مكتبة النهضة العربية .

١٠- المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جينير . ترجمة الامام الدكتور عبد الحليم محمود ، دار المعارف . بيروت.

١١- الفصل فى الملل والأهواء والنحل . ابو محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى ، وبهامشة الملل والنحل للامام ابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت.

١٢- الكتاب المقدس (اى كتب العهد القديم والعهد الجديد) ترجم من اللغات الأصلية ، دار الكتاب المقدس فى العالم العربى ، بيروت، ١٩٦٦م.

١٣- الملل والنحل ، الشهرستانى ، تحقيق محمد سيد الكيلانى ، مصطفى البابى الحلبى ، القاهره.

١٤- مجموعة الرسائل النجديه - أبو العباس تقى الدين ابن تيميه.

١٥- مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ، ابن تيميه - جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد قاسم - مكتبة المعارف بالرباط - المغرب .

١٦- المواقف . عضد الدين الإيجى ، شرح السيد الشريف.

١٧- النبوات ، أبو العباس تقى الدين إبن تيميه.

١٨- الله واحد ام ثالوث. محمد مجدى مرجان ، دار النهضة العربيه.

١٩- درء تعارض العقل والنقل . إبن تيميه . دار الكتب الوطنيه . القاهره ، ١٩٧١م.

٢٠- دلائل النبوه . الحافظ الكبير أبو نعيم احمد عيد الاصبهانى ، دار المعارف للطباعة والنشر ، بيروت .

٢١- (اسبينوزا) رسالة فى اللاهوت والسياسه . ترجمة وتقديم الدكتور/ حسن حنفى ، مراجعة الدكتور فؤاد زكريا ، القاهرة ، ١٩٧١م.

٢٢- شرح العقائد النسفيه . سعد الدين التفتازانى .

٢٣- شرح العقيده الأصفهانية . إبن تيميه ، تقديم حسنين مخلوف .

٢٤- شرح العقيده الطحاوية . على بن على ابى العز الحنفى ، أخـــرج أحاديثها محمد ناصر الالبانى ، المكتب الاسلامى ، دمشق .

٢٥- محاضرات فى النصرانيه . محمد أبو زهره ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر العربى .

٢٦- مناهج الأدلة فى عقائد الملة . إبن رشد

٢٧- نقض تأسيس الجهميه . إبن تيميه ، تصحيح وتكميل محمد بن عبـــد الرحمن قاسم .

٢٨- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى . شمس الدين محمـــد بن أبى بكر إبن قيم الجوزيـه .

٥ - **كتب اللغـــة :**

١ - لسان العرب . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

٢ - قاموس الكتاب المقدس . طبعة مجمع الكنائس الأدنى ، الطبعـــة الثانيه ، بيروت .

٣ - القامـوس المحيط . محى الدين بن يعقوب الفيروز آبادى .

٤ - معجم الفاظ القرآن الكريم . مجمع اللغة العربيه .

وهناك مراجع اخرى مثبته على هوامش الصفحات .

واللـــه ولى التوفيـــق

الفهرس

الفهـــــــرس

الموضـــــــوع :	رقم الصفحه
المقد مـــــه	١
الباب الأول :	
الفصل الاول : الايمان بالرســل	٨
- التوحيـــــــد	١٧
- توحيه الألوهيه	٢٧
- توحيد الاسماء والصفات	٢٩
الفصل الثانى : الملائكـــــــة	٣٠
- الجـــــــن	٤٢
الفصل الثالث:	
الايمان بالكتـــــب	٤٩
الفصل الرابع: الايمان بالرسل عليهم السلام	٥٦
- تعريف النبى والرسول	٦٠
- صفات الأنبياء والمرسلين	٦٥
- محمد صلى الله عليه وسلم	٧٣
- وجوه اعجاز القرآن	٨٣
- المعجزات الحسيه	٨٩
الفصل الخامس:	
اليـــــوم الآخـــــر	٩٢
الفصل الساد س:	
القضاء والقـــــــدركما ورد فى القرآن	١١٩
الباب الثانى :	
الفصل الأول :	
الوثنيون وعقائد هـــــــم	١٣٩

تابع الفهـرس

الموضوع: رقم الصفحة

الفصل الثاني : وسائل الوثنين فى المعارضة
ومواقفهم ضد الاســـلام ١٤٩
الفصل الثالث:
الرد على الوثنييـــن ١٦٦
- رد القرآن على المشركين الذين
أنكروا البعث ١٧٨
الفصل الرابع :
اليهـــود ١٨٧
- تعريف اليهود للتوراة ١٩٤
الفصل الخامس:
اليهود وموقفهم من الاسلام ٢٠٣
الفصل السادس:
الرد على يهـــود ٢٢٣
الفصل السابع :
المسيحيـــة ٢٥٨
- الأناجيل المعتبرة عند النصارى ٢٦٢
- رسائل الرســـل ٢٦٦
- عقيدة النصارى في الله عز وجل ٢٧٠
الفصل الثامن :
موقف النصارى من الاسلام والمسلمين ٢٧٦
الفصل التاسع:
الرد على عقائد النصارى المحرفه
ومواقفهم ضد الاســـلام ٢٨٤
الفصل العاشر:
المنافقـــون ٣١٢
وموقف الإسلام منهم

تابع الفهرس

الموضوع:	رقم الصفحة
الفصل الحادى عشر:	
الرد على المنافقين	٣٢٨
الخاتمة	٣٤١
قائمة المصادر والمراجع	٣٥٠